

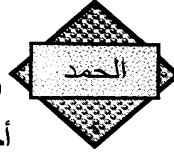
دراسات لغوية فى فقه العربية

تأليف الدكتور
عبد رب النبى عبد الله إبراهيم

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

مقدمة

لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق
وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه
أجمعين .



وبعد

فمما لا شك فيه أن كل بحث أو دراسة تقدم في مجال اللغة العربية
تعد دفعة قوية للنهوض بها لتأخذ مكانتها اللائقة بها بين اللغات
السامية الأم .

وهذا الكتاب اشتمل على بعض القضايا أو الظواهر اللغوية المهمة
والتي تقوم بدورها في إثراء ألفاظ اللغة ونموها والتي ينبغي على
دارس اللغة أن يحيط بها علماً حتى تتعمق معرفته باللغة العربية
فيزداد حبه وتعلقه بها .

ولقد تناولت في هذا الكتاب التعريف باللغة و بفقها اللغة وذكر
مباحث فقه اللغة، والعلاقة بين علم اللغة و فقه اللغة، كما تناولت فيه
مناهج البحث اللغوي مبينا المنهج الوصفي أو الملاحظة المباشرة،
والمنهج التاريخي، والمنهج المقارن، والمنهج المعياري .

كما عرضت لظاهرة الإبدال، وظاهرة القلب المكاني وتصنيف لغات
البشر، وظاهرة الإعراب والمناسبة بين الألفاظ والمعاني .
ومن الظواهر اللغوية التي تناولتها والتي تعمل على نمو اللغة
ظاهرة الاشتراك اللفظي، وظاهرة التضاد والترادف وظاهرة التعريب .

وقد راعيت فى عرض هذه الظواهر وهذه المباحث اليسر والإيجاز.

والله أسأله أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وخدمة للعربية وأبنائها وأن يجعله فى ميزان حسناتى إنه على كل شئ قدير وبالإجابة جدير إنه نعم المولى ونعم النصير.

دكتور/ عبد رب النبى عبدالله إبراهيم

مَبْنًى :

١ - اللغة ووظيفتها وطلابها الاجتماعي:

تعريف اللغة:

أما اللغة فإن دلالتها المعجمية تدور حول السقط وما لا يعتد به من كلام وغيره ولا يحصل منه على فائدة ولا نفع^(١)، يقال: اللغو واللغا واللغوى: ما كان من الكلام غير معقود عليه ، ويقال: لغا فى القول يلغو ويلغى لغواً، ولغى يلغى لغا إذا أخطأ وقال باطلاً، وكلمة لأغية: باطلة. وتطلق اللغة ويراد بها الطريقة الخاصة فى النطق ومنه قولهم: سمعت لغاتهم، أى اختلاف كلامهم، وقول أبى سعيد: إذا أردت أن تنتفع بالأعراب فاستلغهم أى: اسمع من لغاتهم من غير مسألة^(٢).

معانى لفظ اللغة فى الاصطلاح^(٣):

استعمل لفظ "اللغة" فى معنيين أساسيين:

-
- (١) اللسان: ٥ / ٤٠٤٩، ٤٠٥٠ (لغا) بتصرف .
(٢) نفسه: ٥ / ٤٠٥٠ وينظر فقه اللغة العربية — أصلاته ومباحثه للدكتور/ محمد حسن جبل ص ٧٨ .
(٣) ينظر فقه اللغة العربية د/ محمد حسن جبل : ص ٨٠، ٨٢ بتصرف .

أ - الدلالة على اللسان العام، أى على المفهوم الأشهر
للفظ اللغة فى زماننا، وهذا الاستعمال واضح فى قول عمر
بن الخطاب - ؓ - "لا يقرئ الناس إلا عالم باللغة"^(١).

ب - الدلالة على اللهجة، وهى طريقة خاصة فى أداء
اللغة العامة واستعمالها، وذلك كقولة عمر - ؓ - لابن
مسعود: "إن القرآن لم ينزل بلغة هذيل فأقرئ الناس بلغة
قريش"^(٢) وقد استمر هذا الاستعمال أيضا.

ج - هناك استعمال ثالث أدى إلى تولده انقسام
الاهتمامات فى دراسة اللغة إلى ما هو خاص بمفردات اللغة
من الألفاظ وما إليها من عبارات، وإلى ما هو خاص بتركيب
المفردات والعبارات فاختص لفظ "اللغة" فى هذا الاستعمال
المتولد بالدلالة على مفردات اللغة تلك من حيث جمعها
وحفظها ومعانيها فوصف من له سهم كبير فى هذا المجال
بأنه (لغوى) فى حين وصف من يهتم بالتراكيب بأنه نحوى
أو عالم بالعربية .

(١) تفسير القرطبي : ٢٤ / ١ .
(٢) تاج العروس : ١٠ / ٢٣٤ "عنا" .

وقد وضع العلامة ابن جنى تعريفا لمصطلح "اللغة" من حيث هو معبر عن اللسان العام فقال: "إنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"^(١)، وهذا التعريف من أجمع التعريفات التى عرفت بها اللغة، فقد حدد طبيعتها ووظيفتها وطابعها الاجتماعى ووضح ذلك الأستاذ الدكتور محمد حسن جيل فقال: "أما بالنسبة لبيان طبيعة اللغة وهى: "أصوات تعبر عن الأغراض" فهذا لا اختلاف حقيقيا فيه ما دمنا نتكلم عن اللغة بالمعنى العرفى العام"^(٢).

وأما بالنسبة لبيان وظيفة اللغة وهى "التعبير عن الأغراض" فهذا أيضا ليس فيه اختلاف حقيقى لأن الاجتماعيين الذين يجعلون التعبير عما فى النفس من أفكار وعواطف وظيفه ثانوية للغة، يناقضون أنفسهم حين يقولون: "إن اللغة نتيجة للاتصال الاجتماعى ثم ينكرون وظيفتها فى التعبير، لأن الناس ليسوا قطعاً معدنية تصطدم فتتولد أصوات لا معنى لها، وإنما هم أحياء ذوو مشاعر وحاجات (حاجة للطعام، والشراب، وتجنب الألم.. الخ) وهم يتصلون بعضهم

(١) الخصائص : ٢٣ / ١ .

(٢) ينظر قضايا لغوية: ص ٦٦ بتصرف .

ببعض ليشبعوا هذه الحاجات التى يعبرون عنها
بالأصوات" (١) .

كما أن تعريف ابن جنى أشار ضمنا لكافة مجالات
الدراسة اللازمة للغة وتجنب إبراز مجال على حساب
المجالات الأخرى فقد اشتمل على كلمة "الأصوات" ويشمل
علوم الأصوات واللهجات والمعاجم والنحو والصرف،
وتتاول لفظ "التعبير" وهذا يقتضى دراسة المعانى بكل
مستوياتها اللغوية والبلاغية وتتاول صدور التعبير عن القوم
وهذا يقتضى دراسة المجتمع فى تكوين اللغة وتطويرها من
حيث نظرة الناس إلى البيئة وتكيفهم لها .

كما تتاول الأغراض وهى حاجات النفس ومطالبها
الدافعة للكلام وهذا يقتضى دراسة الجانب النفسى لتبين قسطه
فى التأثير فى اللغة (٢) .

(١) قضايا لغوية: ص ٦٧ .

(٢) ينظر: قضايا لغوية : ٦٧ بتصرف .

٢ - تعريف فقه اللغة :

وهو منهج للبحث استقرائي وصفى يعرف به موطن اللغة الأولى وفصيلتها وعلاقتها باللغات المجاورة أو البعيدة الشقيقة أو الأجنبية وخصائص أصواتها وأبنية مفرداتها وتراكيبها وعناصر لهجاتها وتطور دلالتها ومدى نمائها قراءة وكتابة^(١).

٣ - مباحث فقه اللغة^(٢):

- ١ - دراسة الأصوات ونشأة الحروف ومعرفة مخارجها وصفاتها.
- ٢ - الكلام على أصل اللغة الإنسانية الأولى وكيف نشأت، أبطريق التوقيف والإلهام أم بطريق الموضوعة والاصطلاح أم بطريق المحاكاة والتقليد أم بغير ذلك.
- ٣ - البحث عن التطور الذى يلحق الكلمة العربية وما يحدث فيها من أنواع القلب ولإبدال أو الزيادة أو التركيب أو النحت أو الأصالة أو الفرعية أو الإحياء أو الإماتة.
- ٤ - دراسة لهجات اللغات من حيث منشأها وتاريخها وصراع اللغات واللهجات وعوامل قوتها أو ضعفها واللهجات الفصيحة والمذمومة وسبب ذلك.

(١) دراسات فى فقه اللغة د/ صبحى الصالح ص ٢١، ٢٢.
(٢) من قضايا فقه العربية د/ محمد بكر ص ١٧ - ١٩ بتصرف.

٥ - دراسة عوامل نمو اللغة وزيادة ثروتها ومدى مواكبتها للحياة المتقدمة وما فيها من نمو وعمران وحضارة.

٦ - دراسة اللفظ ومعناه وما يتعلق بذلك من ظواهر لغوية كدلالة اللفظ على أكثر من معنى وهو ما يعرف بالمشترك أو دلالة مجموعه من الألفاظ على معنى واحد وهو ما يعرف بالترادف أو دلالة اللفظ على معنى وضده وهو ما يعرف بالتضاد .

٧ - دراسة الكلمات التى تقاربت حروفها فأدى ذلك إلى تقارب فى المعنى وعلاقة الألفاظ بالمعانى ومدى تحققه فى اللغة.

٨ - دراسة الألفاظ العربية وعلاقتها بالدخيل والمصنوع والمعرب.

٩ - تداخل اللغات .

١٠ - معرفة القوانين العامة التى تيسر لنا إرجاع كثير من كلمات إلى أصول قليلة وإرجاع معانى الألفاظ التى اتحدت حروفها واختلفت أوضاعها إلى معنى كلى ويسهل علينا معرفة الأطوار التى مرت بها الألفاظ العربية وبذلك نتمكن من معرفة الفروق الدقيقة بين الألفاظ^(١).

٤ - بين علم اللغة وفقه اللغة :

(١) من قضايا فقه العربية ١٩ نقلا عن فقه اللغة د/ العزازى ١٦، ١٧ واللغة العربية وخصائصها وسماتها د/ هلال ص ٧.

اشتهر فى مجال الدراسات اللغوية مصطلحان لتسمية هذا اللون من الدراسة اللغوية هما : (علم اللغة وفقه اللغة)، وقد ذهب بعض العلماء إلى القول بأن مصطلح فقه اللغة يرادف قرينه علم اللغة لأن مباحثها متداخلة عند علماء المشرق والمغرب قديما وحديثا، وذهب فرق آخر من العلماء إلى أن علم اللغة أعم وفقه اللغة أخص بمعنى أن مباحث فقه اللغة ما هى إلا جزء من مباحث أعم وأشمل هى مباحث علم اللغة، إلا أننا لا نرى أنه لا فرق بين المصطلحين علم اللغة وفقه اللغة إلا فى الهدف والغرض من دراسة اللغة، وفقه اللغة عند العرب كما استبان لنا هو دراسة اللغة كوسيلة لدراسة الثقافة والأدب وخدمة للقرآن الكريم.

أما علم اللغة بنظرياته وأساليبه الحديثة وكما عرفه الغربيون : فهو دراسة اللغة لذاتها ومن أجل ذاتها^(١).

٥ - أطوار التأليف فى فقه اللغة عند العرب^(٢):

الطور الأول : وهو طور الظهور والوضع وتمثل هذا الطور دراسة الخليل بن أحمد ١٠٠ - ١٧٥ هـ فى كتابه العين الذى رتب فيه كلام العرب ووضع باكورة علم الأصوات العربية.

(١) علم اللغة د/ إبراهيم أبوسكين، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م، دار الزهراء للطباعة والنشر، ص ٥.

(٢) فقه اللغة د/ إبراهيم أبوسكين، مطبعة الفاروق الحديثة بالقاهرة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م، ص ١٠، ١١ بتصرف.

الطور الثانى : وهو ظهور الاستنباط وإيداء الملاحظات الموجزة ولم تلبث حتى اتسع القول فيها، وتمثل هذا الطور مباحث الأصمعى ١٢٢هـ - ٢١٦هـ عن الاشتقاق.

الطور الثالث : وهو طور وصول الدراسات الفقهية اللغوية إلى درجة راقية من البحث ومعرفة خصائص اللغة وأسرارها وتعليل الظواهر اللغوية بعللها الحقيقية، وتمثل هذا الطور دراسة ابن جنى المتوفى ٣٩٨هـ فى كتابه الخصائص وسر صناعة الإعراب ودراسات ابن فارس ٣٢٩ - ٣٩٥هـ فى مقاييس اللغة والصاحبى .
الطور الرابع : وفيه بدأ العلماء يتجهون إلى معرفة الألفاظ المعربة من اللغات الأخرى بالإضافة إلى الموضوعات اللغوية الأخرى وتمثل هذا الطور دراسات أبى منصور الثعالبى ٣٥٠هـ - ٤٢٩هـ فى كتابه فقه اللغة، ودراسات الجوالقى ٤٤٦ - ٥٤٠هـ فى كتابه المعرب.

الطور الخامس : وهو طور التنوع فى الأبواب والتوسع فى الأغراض وتمثل هذا الطور دراسات السيوطى فى كتابه المزهى فقد حوى الكثير من الموضوعات فى أغراض مختلفة كأصل اللغة والترادف والمشارك اللفظى، والتضاد، والمناسبة بين اللفظ ومدلوله، ومعرفة لغات العرب، وتداخل اللغات، وتطور الدلالة وغيرها.

الطور السادس : وتمثله الدراسات اللغوية الحديثة، وهى دراسة بدأت من نقطة انتهاء دراسات القدماء، ومن هنا رأينا المقارنة بين اللغات المختلفة وترجمة المؤلفات الحديثة من مختلف اللغات فى هذا

العلم الذى سما وتلأ فى عالم اليوم على يد رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه فدرسوا تراثنا اللغوى العربى بعمق ودقة من جميع أطرافه
وجوانبه وأوضحوا معطيات العلم العربى وأضافوا إليها ما جاء به
العلم الحديث وفى هذا أصالة وتجديد وستظل الأجيال تذكرهم بالثناء
والعرفان .

من مناهج البحث اللغوى

ملخص:

المنهج: الطريقة ولكل إنسان منهج أى طريق يسير عليه للوصول إلى هدفه ومناهج البحث فى اللغة أى الطرق التى يسلكها عالم اللغة لتسجيل الظواهر اللغوية وعلاجها للوصول إلى الهدف الذى يرمى إليه^(١).

ولعلم اللغة منذ نشأته طرق مختلفة للبحث وقد تطورت هذه الطرق فى العصر الحديث حيث التقدم العلمى والإمكانيات المادية.

وهذه المناهج التى سنتحدث عنها بعضها عام بين اللغة وغيرها وبعضها خاص باللغة.

ولعلم اللغة أيضا فروع لا تتفق مع كل مناهج البحث بل لابد لها من طريقة خاصة حتى ندرس الظاهرة ونصل فيها إلى نتائج سليمة.

(١) انظر علم اللغة د/ وافي ص ٣٣ .

ونستعرض فيما يلى أهم المناهج للبحث اللغوى
والوصف الدقيق لكل منهج مع بيان أفضل المناهج وما فيها
من محاسن وعيوب .

أولاً:

المنهج الوصفى أو الملاحظة المباشرة:

إن أهم ما يميز علم اللغة الحديث الذى يستخدم المنهج
العلمى فى دراسة اللغة عن المناهج التقليدية هو أنه ينظر إلى
اللغة نظرة وصفية تعتمد على الملاحظة المباشرة للظواهر
اللغوية الموجودة بالفعل ولا يهدف من ذلك إلى وضع قواعد
يفرضها على المتكلمين باللغة، بل كل ما يهدف إليه هو
وصف نظام اللغة الصوتى والصرفى، والنحوى ووضع
مناهجها^(١).

مفهوم هذا المنهج :

يعنى اللغويون بالمنهج الوصفى تلك الطريقة التى
توصف بها لغة ما فى فترة معينة لا تتجاوزها وبيئة محددة

(١) مدخل إلى علم اللغة د/ محمد حسن عبدالعزيز — دار الفكر
العربى سنة ٩٠ ص ١٣٥ .

لا تتعداها إلى غيرها^(١) أى أنه يبحث اللغة أو اللهجة بحثاً عرضياً لا طويلاً ويصف ما فيها من ظواهر مختلفة، ويسجل الواقع اللغوى تسجيلاً أميناً، دون تدخل بتفسير ظاهرة، أو تعليل لاتجاه لغوى هنا أو هناك^(٢) مع الالتزام بوحدة الفترة الزمنية ووحدة اللغة أو اللهجة المدروسة كأساس العمل بالمنهج الوصفى وحدة الفترة الزمنية ووحدة اللغة أو اللهجة المدروسة^(٣).

ومعنى هذا أن البحث الوصفى لا يجوز له أن يخلط المراحل الزمنية أو يخلط المستويات المختلفة.

وهذا المنهج حديث نسبياً إذ كانت الدراسات السابقة حتى أواخر القرن التاسع عشر تتسم بسمة تاريخية أو معيارية أو قل كانت الدراسات التاريخية مختلطة بالنظر الوصفى أو النظر المعيارى ولما جاء اللغوى السويسرى دى

(١) مدخل إلى علم اللغة الحديث د/ البركاوى ط/ ٢ سنة ١٩٩١ : ص ٩٩

(٢) المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوى د/ رمضان عبدالنواب مكتبة الخانجي ط/ الثانية ص ٨٢ .

(٣) التفكير اللغوى بين القديم والجديد د/ كمال بشر - ط / دار الثقافة العربية سنة ١٩٨٧م ص ٤١ .

سوسير فى أوائل هذا القرن فرق تفريقاً حاسماً بين الدراسات الوصفية والدراسات التاريخية^(١).

وهذا لا يعنى بحال أن الطريقة الوصفية لم تكن معروفة قبل ذلك فقد اتبعها علماء اللغة القدامى فى بحوثهم اللغوية وإن كانت تلك البحوث فى بادئ الأمر لم تقصد لذاتها بل كان الغرض منها خدمة النص القرآنى ومن ذلك محاولة ابن عباس (المتوفى سنة ٧٨هـ) جمع الكلمات الغريبة فى القرآن وشرحها فى الكتاب المنسوب إليه: "غريب القرآن".

ومحاولة أبى الأسود الدؤلى ضبط المصحف بالشكل ثم بدأت الدراسات اللغوية تأخذ طابع الاستقلال وذلك منذ أن أسس الخليل بن أحمد (ت سنة ١٧٥هـ) هذا العلم بوضعه "معجم العين" وأخذت الدراسات اللغوية بعد ذلك تقوى جذورها على يد سيبويه (ت سنة ١٧٧هـ) وابن جنى (ت سنة ٣٩٢هـ) واستمر العلماء على هذا النحو من الدراسة فى كل عصر من العصور إلى عصرنا الحديث وهو فى أغلب دراساته يعتمد على المنهج الوصفى للغة^(٢).

(١) نفسه / ٤٠ .

(٢) ينظر دراسات فى علم اللغة د/ فتحى أنور الدابولى ١٤٠٤هـ — سنة ١٩٨٤م ص ٢ .

وتنقسم الدراسات الوصفية المعتمدة على الملاحظة إلى أقسام كثيرة واعتبارات متنوعة^(١).

فتقسم باعتبار اللغات التي تدرسها إلى :

١ - الدراسة الوصفية للغات الحية ويقصد بها اللغات التي يتكلم بها الآن .

٢ - الدراسة الوصفية للغات الميتة ويقصد بها اللغات التي اندثرت .

وأصبحت في طي النسيان ولذلك يستخدم هذا المنهج في أضيق الحدود وتكون وسيلة الباحث ما أثار عنها من مخطوطات ومؤلفات وآثار بهذه اللغات، ولهذه الدراسات أهمية كبرى في ميدان الدراسات اللغوية على العموم وفي دراسة نشأة اللغات وتطورها على الخصوص .

(١) ينظر علم اللغة د/ وافي ص ٣٤ ، ٣٥ ، وعلم اللغة العلم د/ توفيق شاهين - مكتبة وهبة ١٤٠٠ - ١٩٨٠م ص ٢٢ ، ودراسات في علم اللغة د/ فتحي الدابولي ٣ ، ٤ ، ودراسات في علم اللغة والمعاجم د/ محمد عزت ود/ محمد بكر ط ١ - ١٩٨٠م : ٧٨ ، ٧٩ .

وتنقسم باعتبار الباحث إلى قسمين:

١ - **الملاحظة الذاتية:** وهى أن يلاحظ الباحث ما يصدر عنه هو من ظواهر لغوية ويدون ملاحظاته ويحللها ليصل على ضوئها إلى تحقيق ما يرمى إليه، أو أن يكلف شخصا آخر أن يلاحظ ما يصدر عنه (عن ذلك الشخص الآخر) من ظواهر لغوية ويطلب إليه أن يصفها له، فيدون هذا الوصف ويحلله ويوازنه بملاحظات أخرى، ويستخدمه فى علاج ما تعنيه دراسته.

٢ - **الملاحظة الخارجية:** وهى ملاحظة الباحث لما يصدر عن شخص آخر من ظواهر لغوية دون أن يكون لهذا للشخص الآخر أى دخل فى الملاحظة.

والملاحظة الخارجية تنقسم قسمين:

أ - ملاحظة خارجية إيجابية .

ب - ملاحظة خارجية سلبية فالإيجابية هى ما يعمل فيها الباحث على توجيه الشخص الذى تجرى عليه للملاحظة وجهة معينة، بأن يلقى عليه أسئلة خاصة فى الموضوعات التى يهتم بحثها ليصل على ضوء إجاباته إلى الوقوف على ما يعنيه الوقوف عليه.

والسلبية هي ما يترك فيها الملاحظ على حالته الطبيعية بأن يقتصر الباحث على الاستماع إليه وهو يتحدث حديثاً عادياً^(١).

وطريقة الملاحظة هي أقدم طريقة استخدمها الباحثون في علم اللغة ولا تزال إلى الآن من أهم طرقهم، وإليها يرجع الفضل في معظم ما وصلوا إليه. فعلى ضوء الملاحظة استطاعوا أن يقسموا الظواهر اللغوية إلى أقسام متميزة ويرجعوها إلى طوائف محددة ويردوا الفروع إلى أصولها، فنظمت بذلك موضوعات العلم ونسقت فروعه وسهلت دراسته.

وبفضل هذه الطريقة كذلك كشف العلماء عن كثير من الحقائق المتصلة بنشأة اللغة وحياتها وتطورها ووظائفها والعلاقات التي تربط ظواهرها بعضها ببعض والتي تربطها بما عداها والقوانين الخاضعة لها في مختلف نواحيها^(٢).

وعلى الرغم من كل هذه الفضائل لطريقة الملاحظة فإن كثيراً من علماء اللغة قد أخذوا عليها مأخذ كثيرة هي^(٣):

-
- (١) علم اللغة د/ وافي: ص ٣٦ .
 - (٢) السابق: ٣٥ .
 - (٣) علم اللغة د/ وافي ص ٣٧، ٣٨ ، ودراسات في علم اللغة د/ فتحي الدابولي ص ٥٥، ٦ ودراسات في علم اللغة والمعاجم ص ٧٩، ٨٠ .

١ - عدم الثقة بالملاحظة الذاتية والشك فى كل ما يصل عن طريقها من حقائق وذلك لأن قوى العقل فى أثناء ملاحظة الإنسان لما يصدر عنه ويقوم به من ظواهر لغوية تكون موزعة مشتتة. إذ أنها تقوم بالإشراف على ما يصدر عن الباحث من ظواهر لغوية وفى الوقت نفسه تقوم بملاحظة هذه الظواهر وتسجيلها وتكون النتيجة أن كلا الأمرين (الإصدار والملاحظة) يكون ناقصا غير طبيعى لعدم تفرغ القوى العقلية له ولاشتغالها بشىء آخر فى أثناء قيامها به، هذا إذا لاحظ الباحث نفسه فى أثناء قيامها بالظواهر اللغوية. أما إذا لم يشغل نفسه بالملاحظة إلا بعد الفراغ من الظاهرة اللغوية، فإن ملاحظته فى هذه الحالة تكون منصبة على ما تستعيده ذاكرته من عناصر الظاهرة التى فرغ منها.

وملاحظة كهذه لا يوثق بها، لأنه من المتعذر أن يتذكر الإنسان كل ما أصدره أو قام به تذكرًا صحيحًا لا نقص فيه ولا زيادة ولا تغير ولا تبديل.

٢ - أن توجيه انتباه الباحث إلى ما يصدر عنه ومحاولة الوقوف عليه وتسجيله يجعله مضطربًا. ألا ترى أنك لو حاولت أن تعرف مثلاً كيف تكتب أو كيف تمشى

لاعتراك اضطراب فى أعصابك، فتتشوه كتاباتك وتعثّر فى مشيتك •

٣ - أن كثيرا من الباحثين يتأثرون فى أثناء ملاحظاتهم لما يصدر عنهم من ظواهر لغوية ببعض مبادئ ونظريات فمهما حاولوا الدقة فى الملاحظة فإن هذه المبادئ والنظريات تفسد عليهم أحكامهم وتبعدها عن الحقيقة من حيث لا يشعرون •

٤ - كثيرا ما تغرى الملاحظة الذاتية الباحثين بالتسرع فى أحكامهم فقد يكون بعض ما يصدر عنهم من ظواهر لغوية خاصا بهم لا يشترك معهم فيه غيرهم من الأفراد . مما يجعل نتائجهم وأحكامهم وقوانينهم لا تنطبق إلا عليهم ومثل هذه النتائج لا تصلح فى البحث العلمى الذى يهدف إلى القوانين العامة التى تحكم الظواهر كلها أو بعضها •

٥ - أن منهج الملاحظة الذاتية لا يصلح للبحث فى اللغة فى كل مراحل العمر فهو لا يصلح فى مراحل الطفولة حيث إن الطفل لا يشعر بما يصدر عنه وما يقوم به من ظواهر لغوية شعورا دقيقا ولا يستطيع أن يصفه وصفا يعتد به •

٦ - كثير من العلماء لا يطمئن كذلك إلى الملاحظة الخارجية في شكلها السلبي والإيجابي أما شكلها السلبي فلبطئه وضآلة محصوله، فإذا اقتصر الباحث على ملاحظة الناس في حالاتهم العادية فقد ينقضى عمره قبل أن يتم له تحقيق مسألة لغوية معينة.

وأما شكلها الإيجابي فلأنه عرضة للزلل وخطأ التأويل فقد لا يفهم الملاحظ حق الفهم ما يلقي عليه من أسئلة فيجيب إجابات مضللة.

هذا إلى أن شعوره بأن لغته موضوع ملاحظة يغير من اتجاهها ويخرج بها عن حالاتها الطبيعية.

ويمكن علاج المآخذ السابقة بالأمر التالي^(١):

١ - عدم الاقتصار على شكل واحد من أشكال الملاحظة المباشرة وينبغي أن تتضافر جميع أشكال هذه الطريقة ويدعم بعضها بعضا ليسد ما في كل منها من نقص ويصلح ما به من فساد.

(١) انظر دراسات في علم اللغة د/ فتحي الدابولي : ص ٦ و قارن بما جاء في علم اللغة د/ وافي ص ٤٠، ٤١، ٤٢ .

٢ - عدم الاقتصار على طريقة الملاحظة المباشرة فى دراسة المظهر الصوتى فى اللغة ، بل الواجب أن تضم إليها طرق أخرى أدق منها فى علاج هذه الظواهر كطريقة الأجهزة الصوتية الحديثة.

٣ - ينبغى على الباحث فى اعتماده على هذه الطريقة أن يكون دقيق الحس مرهف السمع يتبع طريقة الكتابة السمعية وذلك بأن يعنى بتدوين الكلمات عند سماعه لها مباشرة بالشكل الذى يتفق مع الأصوات التى نُطقت بها وبدون أن يدع لرسمها العادى أى أثر على نفسه فى أثناء ذلك .

فمثلا حرف الجيم يختلف نطقه وشكله تبعا لاختلاف الأفراد والمناطق وباختلاف الكلمات: ففي البلاد العربية له أكثر من نطق وشكل فهناك الجيم الأصلية العربية من وسط اللسان وما يقابله من الحنك الأعلى وهناك الجيم القاهرية التى تنطق كالقاف من أقصى اللسان وأقصى الحنك والجيم التى ينطق بها أهالى الصعيد كالدال: من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا كما أن هناك الجيم المعطشة التى ينطق بها أهل الشام والمغاربة .

قواعد المنهج الوصفي وأصوله :

أولاً: اختيار العينة الكلامية:

فالمنهج الوصفي يعنى عناية مطلقة بلغة الكلام مكتوبة أو منطوقة فإن من واجب الدارس أن يحسن اختيار العينة الكلامية التى تدور حولها الدراسة الوصفية، بحيث تمثل اللغة المدروسة تمثيلاً صحيحاً، فيأخذ عينة من الأسوياء المقيمين فى موطن اللغة المدروسة^(١).

ثانياً: تحديد البيئة الزمانية:

ينبغى على الباحث الاهتمام باللغة أو اللهجة فى مرحلة خاصة وزمن معين فلا يتعدى ذلك، بالنظر فى اللغة أو اللهجة فى زمنين مختلفين حتى لا يقع فى الخلط بين الطرائق التى تتعدد باختلاف الأزمان مع اختلاف الأحوال السياسية والاجتماعية والثقافية وغيرها.

وبذلك تكون الحقائق التى يصل إليها واحدة فى صورة متشابهة ويساعد على ذلك علم اللغة الجغرافى، وعلم

(١) ينظر الموجز فى البحث اللغوى د/ محمد سعد ١٤١٥هـ —
١٩٩٥م، ص ٤٢، ٤٣، والبحث اللغوى بين النظرية والتطبيق د/
محمد العفيفى ١٩٨٦م ص ٤٦ .

الأجناس البشرية فمثلاً حين جاء الإسلام أحدث ثورة فى
الألفاظ والمعانى^(١)

يقول ابن فارس : "كانت العرب فى جاهليتها على إرث
من إرث آبائهم فى لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم، فلما
جاء الله تعالى بالإسلام حالت أحوال، ونسخت ديانات،
وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع إلى مواضع
أخرى بزيادات زیدت، وشرائع شرعت، وشرائط شرطت،
فعَفَى الآخرُ الأول، وشغل القوم بعد المغارات والتجارات،
وتطلب الأرباح والكدح للمعاش، فى رحلة الشتاء والصيف
وبعد الإغرام باصيد والمُعَاقرَة، والمُيَاسِرَة بتلاوة الكتاب
العزیز الذى ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ﴾^ط
تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ وبالتفقه فى الدين وحفظ حديث
رسول الله ﷺ مع اجتهدهم فى مجاهدة أعداء الإسلام ...
فكان مما جاء فى الإسلام ذكر المؤمن، والمسلم والكافر،
والمنافق، ومما جاء فى الشرع الصلاة وأصلها فى لغتهم

(١) مناهج البحث فى اللغة والمعاجم د/ عبدالغفار هلال (ط الأولى)

الدعاء، وكذلك الصيام عندهم الإمساك وكذلك الحج والزكاة
لم يكن فيه عندهم غير القصد^(١).

ثالثاً: تحديد البيئة المكانية:

يعتمد الباحث في ذلك على ما يسمى بالراوى اللغوى
الذى يرجع إلى طبيعة المكان الذى تنتشر فيه هذه اللغة أو
تلك اللهجة، فلا بد أن يكون أحد أبناء تلك اللغة التى يتكلمون
بها.

ويتوقف الحكم بشأنه على حال مجتمعه إذا كان بدائياً
متخلفاً أو كان مجتمعاً متحضراً.

ففى المجتمع البدائى لا يشترط شيء مما يشترط فى
حال المجتمع المتحضر من درجة تفاهم معينة لتحديد الطبقة
الاجتماعية التى ينتمى إليها.

فينظر فى البيئات المتحضرة إلى الطبقة التى ينتمى إليها
الراوى إذا أريد دراسة لهجة معينة لطبقة خاصة.

والطبقات الفقيرة والمتوسطة والغنية لكل منها من
يمثلها، وطبقات الصنائع والتجار وأضرابهم لها من يمثلها
كذلك وطبقات العلماء كذلك.

(١) ينظر الصحابى فى فقه اللغة/ ٧٨ تحقيق السيد صقر ط/ عيسى
الحلبى ١٩٧٧م، والمزهر للسيوطى تحقيق محمد أحمد جاد المولى
ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى مطبعة الحلبي :
٢٩٥ ، ٢٩٤ / ١

وكذلك تحديد البيئة الجغرافية أمر مهم للراوى الممثل لبيئته من مناطق السهول أو الصحارى، أو الصناعة أو الحضارة، وأهل الأطراف من البلاد يختلطون بغيرهم مما سبب خلطا فى لغتهم مع لغات أخرى^(١).

يقول الجرجانى: "لین الحضارة وسهولة طباع الأخلاق من أعوان الأسباب على ملابسة الركاکة والوقوع فى العجمة، واستعمال اللین من الكلام والسهل من الألفاظ"^(٢).

رابعاً: المستوى اللغوى:

مما لا شك فيه أن المستويات اللغوية تختلف باختلاف القول واختلاف الطبقات الاجتماعية فتعالج اللغة الأدبية أو لغة الشعر أو لغات الطبقات المختلفة علاجا وصفيا خاصا بكل منها فللغة الأدب ألفاظها وأسلوبها وصورها الأدبية التى ينبغى أن تراعى فى وصفها وطبقات الصناع والتجار والزراع واللصوص والمتقفين وغيرهم لهم لهجاتهم التى يستعملون لها مصطلحات خاصة تراعى عند وضعها^(٣).

(١) مناهج البحث فى اللغة والمعاجم د/ هلال : ص ١٦، ١٧ .
(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه للقاضى الجرجانى تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلى محمد البجاوى — مطبعة الحلبي ص ١٨
(٣) مناهج البحث فى اللغة والمعاجم د/ هلال : ص ١٨ .

وبعد مراعاة هذه الخطوات اللازمة لتنفيذ المنهج الوصفي يبدأ عمل الدارس الوصفي فيقوم بفحص ما جمعه من نصوص واصفا إياها ومحللا لها إلى مستويات اللغة من أصوات، وصرف ونحو، ودلالة، ملتزما بالحيدة والموضوعية في تحليله، فلا يقع تحت تأثير عاداته اللغوية الخاصة^(١).

الدراسات اللغوية عند العرب والمنهج الوصفي :

تعد دراسة اللغة العربية دراسة وصفية دقيقة قامت على وصف أصواتها وتحديد مفرداتها وقواعدها الصرفية والنحوية وقد اتبعت الطرق الدقيقة للباحث اللغوي في وصفها فقد ذهب العلماء إلى البادية جامعين للغة من منابعها الصافية وقد كانت منطوقة آنذاك^(٢).

والدليل على ذلك ما رواه ابن جني في الخصائص في الباب الذي عقده بعنوان (باب في أن العرب قد أرادت من العلل والأغراض ما نسبناه إليها وحملناه عليها)^(٣)، إذ يقول: "والذي يدل على أنهم قد أحسوا ما أحسستنا وأرادوا

(١) الموجز في البحث اللغوي د/ محمد سعد ص ٤٤ .

(٢) مناهج البحث في اللغة والمعاجم : ٥٠ - ٢٣ .

(٣) الخصائص تحقيق الأستاذ/ محمد علي التجار (دار الهدى للطباعة والنشر بيروت) ١/ ٢٣٧ - ٢٥١ .

وقصدوا ما نسبنا إليهم إرادته وقصده شيئان أحدهما حاضر معنا والآخر غائب عنا، إلا أنه مع أدنى تأمل فى حكم الحاضر معنا. فالغائب ما كانت الجماعة من علمائنا تشاهده من أحوال العرب ووجوهها وتتنظر إلى معرفته من أغراضها وقصودها من استخفافها شيئا أو استتقاله أو تقبله أو إنكاره والأنس به ، أو الاستيحاش منه، والرضا به أو التعجب من قائله، وغير ذلك من الأحوال الشاهدة بالقصود، بل الحالفة على ما فى النفوس، ألا ترى إلى قوله:

تقول — وصكت وجهها بيمينها — أبعلى هذا بالرحى المتقاعس ، فلو قال حاكيا عنها: أبعلى هذا بالرحى المتقاعس — من غير أن يذكر صك الوجه — لأعلمنا بذلك أنها كانت متعجبة منكورة، لكنه لما حكى الحال فقال: وصكت وجهها ، علم بذلك قوة إنكارها، وتعاضم الصورة لها. هذا مع أنك سامع لحكاية الحال، غير مشاهد لها، ولو شاهدتها لكنت بها أعرف ولعظم الحال فى نفس تلك المرأة أبين ، وقد قيل: ليس المخبر كالمعاين)ولو لم ينقل إلينا هذا الشاعر حال هذه المرأة بقوله: وصكت وجهها، لم نعرف به حقيقة تعاضم الأمر لها^(١).

(١) الخصائص : ١ / ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

وقد روى ابن جنى - أيضا - حكاية أبى عمرو بن العلاء فقد سمع رجلا من اليمن يقول: فلان لغوب، جاءتته كتابى فاحتقرها فسأله أبو عمرو كيف أنث المذكر؟ فقال الأعرابى : أليس بصحيفة؟ وكذلك أورد ابن جنى قصة عمارة بن عقيل حين سمعه أبو العباس المبرد يقرأ: ﴿ولا الليل سابقُ النهار﴾ بنصب النهار وعدم تنوين سابق - فقال له أبو العباس: ما تريد؟ قال: أردت "سابقُ النهار" بتنوين سابق ونصب النهار، فقال له أبو العباس: فهلا قلتها؟ فقال: لو قلتها لكان أوزن.

ثم يعقب ابن جنى على هذه الحكاية قائلا: ففى هذه الحكاية لنا ثلاثة أغراض مستنبطة منها: أحدهما تصحيح قولنا أن أصل كذا كذا، والآخر قولنا: أنها فعلت كذا لكذا ألا تراه إنما طلب الخفة ، يدل عليه قوله: لكان أوزن أى أثقل فى النفس وأقوى، والثالث: أن العرب قد تتطرق بالشىء، غيره فى نفسها أقوى منه لإيثارها التخفيف^(١) "أفلا تراه كيف جنح إلى لغة وغيرها أقوى فى نفسه منها"^(٢).

(١) الخصائص: ١/ ٢٤٩ .

(٢) السابق: ١/ ١٢٥ .

فعلماؤنا جمعوا العربية وهى منطوقة حية. ثم دونت مخارج أصواتها، وطرق تركيب الكلمات منها ووقوع الجمل فيها وقد وضع علماء العربية وباحثوها قواعد صارمة لمن تؤخذ عنه وهو الراوى اللغوى الذى يمثل اللغة أصدق تمثيل بأن يكون عربى الجنس والمولد والزمان ، والمكان، فلقد أخذت اللغة عن الفصحاء الذين عاشوا بالجزيرة فى فترة زمنية محددة لا تعد والقرن الرابع الهجرى فى البادية، ومنتصف القرن الثانى الهجرى فى المدن العربية.

وقد استبعدوا الأخذ ممن اختلط بغيره من القبائل المتطرفة أو التى دعته ظروفها إلى الاتصال بغير العرب فلم تتحقق المحافظة اللغوية^(١).

وقد ذكر السيوطى فى المزهـر "الذين نقلت عنهم اللغة العربية وبهم اقتدى، وعندهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب هم: قيس، وتميم، وأسد، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل فى الغريب وفى الإعراب والتصريف، ثم هذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين ولم يؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم وبالجملة فإنه

(١) مناهج البحث فى اللغة والمعاجم د/ هلال ص ٣٥ .

لم يؤخذ عن حضرى قط، ولا عن سكان البرارى ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قضاة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرءون بالعبرانية ولا من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين لليونان، ولا من بكر لمجاورتهم للقبط والفرس ولا من عبد القيس وأزد عمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والفرس، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، ولا من بنى حنيفة وسكان اليمامة ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز، لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدؤوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم^(١).

(١) المزهر: ١/ ٢١١، ٢١٢ .

أوجه الإفادة من المنهج الوصفي في دراسة العربية:

بإمكاننا أن نحاول النظر في بعض القضايا اللغوية والمعجمية عن طريق وصف الظواهر اللغوية، واستدراك ما لم ينبه إليه القدماء كبعض الألفاظ التي لم تذكر في المعاجم ولكنها وردت في نصوص شعرية ونثرية لم تصل إليهم كما في إكمال الماضي من:

"يذرو يدع لتوقع أن الرواة لم يصلوا إلى الفعل الماضي من هذين الفعلين، ويتوقع أنه كان موجودا في الجزيرة بدليل وقوعه في بعض الشعر كقول الشاعر^(١):

ليت شعري عن خليلي ما الذي .. غاله في الحب حتى ودعه

وقرئ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ بتخفيف دال ودع وقد

أجاز هذا الإكمال المجمع اللغوي.

وفي معجم أقرب الموارد لسعيد الشرتوني، استعمال ألفاظ بمعان لم تعرفها المعجمات الشائعة مثل لفظ "تبَدَّى" بمعنى ظهر في مثل قول الشاعر:

(١) قيل هو أبو الأسود الدؤلي وقيل هو أنس بن زعيم الليثي . اللسان (ودع) ٤٧٩٧/٦ .

وبدت لميس كأنها .: بدر السماء إذا تبدى

مع أن المعنى المعروف فى المعاجم: تبدى الرجل: أقام البادية^(١) فإذا درسنا اللغة دراسة وصفية جديدة من خلال ما وصلنا من شعر ونثر ولغة، مضمنة فى بطون أمهات الكتب القديمة فإننا نصل إلى نتائج تفيدنا فى أشياء جديدة لم تعرف من قبل^(٢).

المنهج الوصفى عند غير العرب:

تمتد حدود المنهج الوصفى إلى الدراسات الفلسفية التى أثارها الفلاسفة الإغريق والتى تتعلق بطبيعة اللغة ومشكلاتها بوجه عام كما تمتد جذور المنهج الوصفى عند النحويين الصينيين والهنود والإغريق فيما قاموا به من جهود مبكرة فى وصف لغات مستقلة.

وقرب نهاية القرن الثامن عشر بدأ المنهج الوصفى فى الغرب يأخذ صورة عملية، فقد وجه اهتمامه إلى العناية بالقواعد النحوية والمعاجم ذات الطابع الإرشادى المعيارى الواضح، وكان التركيز — فى بادئ الأمر — على الجانب

(١) اللسان (بدا) ١ / ٢٣٥ .

(٢) مناهج البحث فى اللغة والمعاجم د/ هلا: ص ٢٩ .

المكتوب للغة أما اللغة المتكلمة فقد صورت على أنها شىء متغير خداع، وأن الجزء الثابت منها الذى يستحق الدراسة هو ذلك الموجود فى اللغة المكتوبة، والذى ظهر فى عدة أشكال منها النقوش المحفورة على الحجارة، والصخور، وجوانب الجبال والألواح الطينية وألواح الشمع ، وأوراق البردى والرقائق .

ثم وجه المنهج الوصفى جل اهتمامه بعد ذلك إلى المادة الكلامية لمتكلمين أحياء^(١) وقصر اللغويون الوصفيون الدراسة الوصفية على اللغة الكلامية المنطوقة، وقالوا إن صلة هذا اللون من الدراسة باللغة المكتوبة أمر باطل .

وربما جاز هذا بالنسبة للغات التى ماتت أومرت فى مراحل تطويرية كثيرة أبعدتها عن أصلها كبعض اللغات الأوربية .

ومع ذلك فقد درست بعض اللغات المكتوبة دراسات وصفية عن طريق الوصف والتحليل كاللغات اليونانية والفرنسية والألمانية وغيرها^(٢) .

(١) أسس علم اللغة . ماريوباي: ١٦٣، ١٦٤ .
(٢) مناهج البحث فى اللغة والمعاجم د/ هلال: ٢٣ .

وأصبحت اللغة المكتوبة فى المقام الثانى فى المنهج
الوصفى بعد أن كانت فى المقام الأول .

وقد حقق المنهج الوصفى فى القرن العشرين نهضة
كبرى أدت إلى كثير من التطورات المهمة فى عالم اللغة
المعاصر وكان من أكبر الباحثين الذين أثروا فى مجال
الدراسات الوصفية العالم السويسرى: فردينان دى سوسير
(ت ١٩١٣) فقد أثار فى كتابه: محاضرات فى علم اللغة
العام ، والذي نشر بعد وفاته سنة ١٩١٦م وجهة نظر جديدة،
إذا اعتبر اللغات الوصفية لا تقل أهمية عن اللغات التاريخية،
كما حدد وظيفة كل منهج وحدوده^(١).

محذورات المنهج الوصفى:

من محذورات المنهج الوصفى أن على الباحث الوصفى
ألا يقتصر على الوصف فقط لما يجده فى النصوص بل لابد
له من معرفة وخبرة بما يحيط باللغة والمتكلمين بها من
أحوال اجتماعية ونفسية .

(١) المدخل إلى علم اللغة د/ رمضان عبدالنواب ١٨٢ و ١٨٣ .

والمعاني القاموسية وحدها لا تكفى لإعطاء المعرفة كما
أن بعض المتكلمين قد يعتريه الخطأ و الخلط فيوقع الدارس
الوصفي في خطأ الاستنتاج إلا إذا تبين من ملابسات أخرى .

ومن ذلك قول الشاعر:

لَمْ تَدْرِ مَا نَسَجَ الْيَرَنْدُجُ قَبْلَهَا .: وَدِرَّاسُ أَعْوَصَ دَارِسٍ مَتَخَدِّدِ

فقد جعل (اليرندج) من أنواع المنسوجات . قال ابن
دريد قد ظن أن اليرندج ينسج، وإنما هو جلد يصبغ وقال
بعض أهل العلم إن هذه لغرتها وقلّة تجاربها ظنت أن
اليرندج منسوج وإنما هو جلد^(١) فالدلالة اللغوية تقتضي
دراسة أمور كثيرة متعلقة بها قبل إصدار الحكم والنتيجة،
ومن هنا ينبغي عدم الاختصار على النصوص وحدها
والاعتماد على ما يحيط بها وقراءة النقود الموجهة إلى بعض
الشعراء في مجال المعنى .

كما ورد في طبقات فحول الشعراء لابن سلام والموشح
للمرزبانى والشعر والشعراء لابن قتيبة والموازنة للأمدى
والوساطة للجرجاني وكذلك الأغاني للأصفهاني وغير ذلك
مما أوضح بعض المآخذ في مجال المعنى على الشعراء
العرب جاهليين وإسلاميين^(٢) .

(١) اللسان: ٢ / ١٦٢٠ .

(٢) مناهج البحث في اللغة والمعاجم د/ هلال : ٢٩ ، ٣٠ .

ثانيا: المنهج التاريخي :

من أهم الأفكار التي تميز علم اللغة الحديث أن اللغات تتغير باستمرار وأن هذا التغير ليس بالضرورة فسادا فى اللغة أو انحرافا عن التعبير الصحيح كما يعتقد اللغويون التقليديون — إن التغير اللغوى فى أغلب أحواله ضرورة ملحة ، وهو أيضا حقيقة واقعة لا يمكن إنكارها أو التغاضى عنها^(١)، والمنهج التاريخي هو الذى يقوم بدراسة هذا التغير .

مفهوم المنهج التاريخي:

يقصد بالمنهج التاريخي ذلك النوع من البحث اللغوى الذى يعنى بدراسة لغة ما فى فترات زمنية مختلفة لمعرفة ما تعرضت له هذه اللغة من تغير فى الأصوات أو الصيغ الصرفية أو التراكيب النحوية كما يهتم أيضا بمعرفة ألوان التطور التى لحقت بمعانى المفردات ، ويطلق على الدراسة التى تلتزم بهذا المنهج فى البحث اللغوى اسم "علم اللغة التاريخي"^(٢) .

-
- (١) مدخل إلى علم اللغة د/ محمد حسن عبدالعزيز / ١٤٧ .
(٢) مدخل إلى علم اللغة الحديث د/ البركاوى ص ٩٥ .

فهذا المنهج يدرس اللغة دراسة طولية، بمعنى أنه يتتبع الظاهرة اللغوية في عصور مختلفة وأماز متعددة ليرى ما أصابها من التطور، محاولا الوقوف على سر هذا التطور وقوانينه المختلفة.

أى أنه عبارة عن بحث التطور اللغوى فى لغة ما عبر القرون فى دراسة أصوات العربية الفصحى دراسة تاريخية تبدأ من وصف القدماء لها من أمثال الخليل بن أحمد، وسيبويه وتتبع تاريخها منذ ذلك الزمن إلى عصرنا الحاضر، ومثل ذلك يقال عن تتبع الأبنية الصرفية ودلالة المفردات، ونظام الجملة^(١).

مما سبق يتضح لنا أن الوظيفة الأساسية للمنهج التاريخى هى أن يمر الباحث بالأزمان المتعددة والأماكن التى عاشت فيها اللغة، وأن يكشف عن التغيرات أو التطورات التى مرت بها فى تاريخها الطويل^(٢).

(١) ينظر المدخل إلى علم اللغة د/ رمضان عبدالنواب ص ١٩٦، ١٩٧.

(٢) منهج البحث فى اللغة والمعاجم د/ هلال ص ٣١.

الفرق بين المنهج التاريخي والمنهج الوصفي:

من العسير الفصل بين المنهج التاريخي والمنهج الوصفي في مجال التطبيق العملي وذلك لأن كل المصطلحات التي استعملت تحت العنوان الوصفي قابلة من الناحية العملية للاستعمال مع الفرع التاريخي^(١).

فكلا المنهجين لا يختلفان في الحقيقة لأن كل وصف هو تاريخ والأيام دائبة واللغة متطورة والحوادث متلاحقة متواكبة^(٢)، وقد فرق بعض العلماء بين المنهجين فيها هو ذا: دى سوسير لم يجر خلط الدراسة الوصفية بالدراسة التاريخية بحال من الأحوال وذكر أن الوصفي بالذات لا يصح اعتماده على التاريخي.

وإن كان الأخير يعتمد في بعض وجوهه على الوصفي لأن الدراسة التاريخية بمعناها العام تعنى بسبقها بدراسات وصفية لكل فترة ، ومعنى ما تقدم أنه لا يجوز للوصفي أن

(١) ينظر أسس علم اللغة ماريوباي بترجمة د/ أحمد مختار عمر : ص ١٣٧، والمدخل إلى علم اللغة ص ١٩٧، ومدخل إلى علم اللغة الحديث ص ٩٨ .

(٢) علم اللغة العام د/ توفيق شاهين - مكتبة وهبة ط/ ١ سنة ١٩٨٠م ص ٢٤ .

يلجأ إلى التاريخي رغبة في تفسير الحاضر بالماضي فذلك أمر مرفوض عند الوصفيين^(١).

وبذلك يجدر بالباحث أن يكون فكرة صحيحة عن المنهجين الوصفي والتاريخي لمعرفة ما بينها من صلات فكلاهما يمثل منهجا وطريقة ووسيلة لدراسة اللغة غير أن لكل منهما وظيفته التي تفرضها طبيعة الدراسة المقترحة ، فالمنهج الوصفي وظيفته: الوصف والتحليل والتقدير للحالة التي عليها اللغة أو اللهجة في زمن معين ومكان معين .

أما المنهج التاريخي:

فيتخطى مرحلة الوصف هذه إلى ملاحظة التطور والتغير الذي طرأ على اللغة أو اللهجة بالنظر إلى ما قبلها أو إلى ما بعدها من مراحل لغوية^(٢) كما أن المنهج الوصفي يتميز بالسكون إذ فيه توصف اللغة بوجه عام في حين أن المنهج التاريخي يتميز بفاعلية مستمرة فهو يدرس اللغة خلال تغيراتها المختلفة^(٣).

(١) التفكير اللغوي بين القديم والجديد د/ كمال بشر / ٤٢ .
(٢) في مناهج البحث اللغوي د/ أحمد سلطان ط ١ - ١٩٨٨ ، ص ٧٣
(٣) ينظر المدخل إلى علم اللغة ص ١٩٧ .
٤١

أهمية المنهج الوصفي بالنسبة للمنهج التاريخي:

المنهج الوصفي مهم جدا للمنهج التاريخي فالدراسة التاريخية للغة تركز على الدراسة الوصفية لها، لأن الدراسة اللغوية التاريخية لا تقوم إلا بعد الفراغ من دراسة المراحل المختلفة التي مر بها تاريخ اللغة دراسة وصفية ومن النظر في هذه الدراسات الوصفية للمراحل المتعاقبة يأتي تدوين تاريخ هذه اللغة صوتيا وفونولوجيا، ونحويا وقاموسيا ودلاليا^(١)، الخ .

وتدرس أية لغة أو لهجة دراسة تاريخية من خلال عناصرها التي تكونها في مراحل تاريخية لمعرفة التغيرات التي اعترتها وأسبابها ونتائجها، وقد يكون هذا راجعا إلى انتقال اللغة من جيل إلى جيل آخر أو إلى عوامل اجتماعية ونفسية وأدبية أو إلى التأثير باللغات الأخرى فمن الناحية الصوتية تدرس نماذج الأصوات لتحديد خصائص كل منها في اللغة الأصلية، وما حدث من تطور لحياة هذا الصوت أو موته أو تغيره وتحوله .

(١) ينظر علم اللغة د/ السعران : ص ٢٤٣، والموجز في البحث اللغوي د/ محمد سعد ص ٤٧ . ٤٢

ففى العربية نلاحظ أن صوت الضاد العربية الأصلية حدده سيبويه ممثلاً للنطق الفصيح بأنه من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس إلا أنك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن، وإن شئت تكلفتها من الجانب الأيسر، وقد صار فى النطق المتداول على لسان كثير من القراء والمتحدثين بالعربية إلى ما يسمى بالضاد المصرية وهذا النطق المصرى هو فى الحقيقة صورة الطاء العربية الأصلية. وإذا رفعنا التفخيم أو الإطباق من الضاد المصرية صارت دالا مما يعنى أن هذا النطق هو فى الأصل صوت الطاء العربى القديم ولا يزال بعض العرب فى الجزيرة كأهل اليمن ينطقون الطاء بصوت الضاد المصرية حين يقولون فى طلع: ضلع.

فالدراسة التاريخية — على هذا — تثبت أن النطق المصرى الآن للطاء نطق حديث غير معهود فى اللغة القدمى وقد حل نطقه الأصلى محل صوت الضاد على حين أن نطق الضاد الفصيح قد مات من لسان معظم العرب الآن وكذلك صوت القاف الذى اعتراه تغير فى بعض البيئات العربية اتغوا الله، وكذلك فى نطق السودانين، وصار همزة وجيما فى بعض اللهجات المصرية.

أما أصوات الثاء والذال والجيم فقد اعتراها كذلك التغير فتتطق الثاء سينا، والذال دالا والجيم خلت من التعطيش فى لهجات مصر كذلك واعتري أصوات المد كثير من صور التقصير والتحريف والحذف فلم تعد تمتد الأصوات المدية بما يجب لها من الوقت المقرر فى النطق بل اختصروا من النطق على لسان المتحدثين بالعربية وفى العامية ذهب معظمها واختلف اختلافا بينا فى مثل (جه) و(ويجه) و(جم) ومحمد وعلى راحم^(١) الخ.

وقد ينتقل مخرج الصوت إلى مكان آخر كما حدث من انتقال الجيم العربية من وسط اللسان إلى أقصاه وقد تحدث تغيرات فى صفات الحروف فينتقل من الهمس إلى الجهر كما فى سقر، وصقر، وزقر، والسرط، والصرط، والزراط، فنجد السين والصاد المهموستين تتحولان أحيانا إلى الزاى المجهورة^(٢).

وقد يتحول المجهور إلى صوت مهموس فى مواقع أخرى مثل: قشط، وكشط، وجذوت وجثوت فترى الانتقال

(١) ينظر مناهج البحث فى اللغة والمعاجم : ٣٢، ٣٣ .

(٢) السابق: ٣٤ .

من المجهور وهو القاف والذال إلى المهموس وهو الكاف
والثاء .

ومن التغيرات ما يعرف بالمماثلة والمخالفة والأولى
تعنى تحويل أحد الصوتين أو الأصوات المختلفة المتطورة
إلى نظيره ليتحقق التماثل بين الأصوات كما فى اثاقل وادارأ
أصلهما تتاقل وتدارأ وضجضجة أصلها ضجة ضجة، ومذكر
أصلها مذكر ويطوعون أصلها يتطوعون .

والمخالفة تحويل أحد المتماثلين أو المماثلات إلى صوت
آخر كما فى رس ورمس للدفن .

وقد يحدث الإبدال بين الأصوات سواء كان شائعا أو
نادرا كما هو فى العربية فيما سبق بين السين والصاد والزأى
وقد يكون نادرا كما فى إبدال اللام من الضاد فى مثل الطجع
.. وكذلك إبدال الياء جيما فيقال فى على عالج^(١) .

ومن ناحية الألفاظ التى تمثل متن اللغة ودلالاتها يدرسها
الباحث لتعرف الألفاظ التى ماتت والألفاظ التى كتبت لها

(١) السابق: ٣٤، ٣٥ . - ٤٥

الحياة والألفاظ التي تغيرت دلالتها، وقد ذكر ابن فارس أن الإسلام أحدث تغيرات كثيرة في مجال اللغة العربية^(١).

فمن الألفاظ التي زالت بزوال معانيها قولهم:

المرباع^(٢) ، والنشيط^(٣) والفضول^(٤)، وقولهم أنعم صباحا^(٥) وأنعم ظلاما وقولهم للملك: أبيت^(٦) اللعن^(٧).

وقد تغيرت دلالات كثيرة من ألفاظ المصطلحات كمصطلحات النحاة والبلاغيين والعروضيين وعلماء الكلام من المعتزلة وعلماء المنطق .

وفي تطور العربية، ألوان من التغيرات الدلالية الكثيرة مثل: استهتر بمعنى فتن بالشئ والمعنى الشائع: قليل العناية

(١) السابق: ٣٦ .

(٢) المرباع: ما يأخذه الرئيس وهو ربع الغنيمة . اللسان (ربع) ١٥٦٣/٣

(٣) النشيط: ما يغنمه القوم في طريقهم التي يمرون بها وذلك غير ما يقصدونه بالغزو. اللسان (٣/١٥٦٣) .

(٤) الفضول ما عجز أن يقسم لقلته وخص به الرئيس: اللسان ١٥٦٣/٣ .

(٥) وأنعم صباحا وأنعم ظلاما، أو عم صباحا ، وعم مساء: من تحيات العرب في الجاهلية . اللسان (نعم) : ٤٤٧٩ / ٦ .

(٦) وقولهم أبيت اللعن: من تحيات الملك في الجاهلية والدعاء لهم . اللسان: (أبى) ١ / ١٤ ، ١٥ .

(٧) المزهر للسيوطي: ١ / ٢٩٦ ، ٢٩٧ .

به فلم يجعل له شأنًا عنده واقتصد بمعنى توسط، والمعنى الشائع جعل منه فضله الخ، واحتج أقام الحجة والمعنى الشائع أنكر وعارض^(١).

وفي الجانب الصرفي والنحوي يتناول اللغات التصريفية واللغات اللاصقة والتحليلية والتركيبية ويمكن التوغل في معرفة تطور اللغة من البدائية إلى التحضر والرقى كالتحول من التركيبية إلى التحليلية إلى التصريفية وسبيل ذلك أن ترجع إلى المصطلحات المعروفة في هذا الصدد في الاشتقاق والإعراب وما لها من قواعد، وأثر ذلك في الصيغ والتراكيب والدلالة فيما ينسب إلى الشخص والعدد والجنس والزمن والبناء للمعلوم أو المجهول، وما يجرى في ذلك من التغير والتطور.

ويلاحظ سير هذا التطور في الصيغ واشتقاقها فقد صيغت بعض المصطلحات صدرا كالكيفية والكمية، من كيف وكم ... الخ

وهناك إدخال (أل) على بعض الكلمات كاللا شيء واللا وعى، والإنساني إلخ.

(١) مناهج البحث في اللغة والمعاجم : ص ٣٦ .
٤٧

وقد ظهرت صيغ في بعض البلدان العربية كتلك التي وجدت عند أهل البصرة من استعمال الألف والنون للدلالة على النسب مكان ياء النسب المشددة فيقولون في نسبة ضياع إلى الحكم بن العاص كانت بالبصرة (حكمان) وهكذا سموا ضيعة باسم زادوا عليه ألفا ونونا كما وجدت صيغ للأفعال مع اعتبار الحرف الزائد أصليا فكلمة مكان توهمت الميم أصلية فقل منها: تمكن كما قالوا من المسكين ، تمسكن وعليها تمذهب وتمنطق من المذهب والمنطق .

وشاع كذلك التأنيث اللفظي فيما استعمل للمؤنث بالتاء مثل طموحة وكحيلة، والمعروف أن فعلا وفعولا تأتي بغيرها إلا عند قصد المبالغة .

والنحت أن تؤخذ كلمة من كلمتين أو أكثرها وهذا ورد مسموعا في كلمات مثل تيملى وعبدري في تيم اللات وعبدالدار. وقد نشأت كلمات إسلامية على هذا القياس مثل الحوقلة والبسمة والحيلة، وكله سماع ومع ذلك أجاز المجمع اللغوى أن يلجأ إليه عند الضرورة إذا أعوز الأمر نواحى نمو اللغة الأخرى كالاشتقاق والقياس والمجاز والنقل^(١) .

(١) السابق : ص ٣٦ - ٤١ .

ولا شك أن الجوانب النحوية تحتاج إلى دراسة التغيرات
التي تطرأ على التركيب والإعراب ، فنحن نرى صوراً
متعددة . فالمثنى مثلاً يرفع بالالف وينصب ويجر بالياء
وأجاز قوم إلزام المثنى الالف فى جميع الأحوال، وجمع
المذكر السالم يرفع بالواو وينصب ويجر بالياء، ولعل هذا
الإعراب للمثنى والجمع كان أولاً يلزم طريقة واحدة فى
طائفة من العرب على معنى أن طائفة كانت تستعمل المثنى
بالالف دائماً والجمع بالواو دائماً فى جميع حالات الإعراب،
وعلى الطرف الآخر طائفة أخرى كانت تستعملها بالياء جراً
ونصباً ثم — فيما بعد — جمعت بينهما العرب تلفيقاً

ونجد بعض الاستعمالات النحوية لبعض الألفاظ
والتركيب خارجة على ما عهدناه من قواعد، فقد سمعنا على
ألسنة بعض المعاصرين أن يقول فى الاستفهام كم ذا فعلت؟
مع أن المسموع كم فعلت؟ مثل ما فعلت؟ لكن التعبير
الاستفهامى الثانى أجاز فيه العلماء — فيما نقل عن العرب —
أن تقول: ماذا فعلت وزيادة اسم الإشارة بعد كم من عمل
المولدين، ولعلمهم زادوه تأثيراً بقولهم ماذا فعلت؟ فهما فى ظنهم
متساويان .

ومن الأساليب الشائعة زيادة الواو بعد بل أو حتى فى مثل
أنصت الحاضرون إلى الخطيب بل وأثنوا عليه بعد الخطبة،
سأدافع عن وطنى حتى وإن أدى ذلك إلى الاستشهاد فى سبيله .
وزيادة الواو يجيزها الكوفيون لا غير .

ولأن بل وحتى من حروف الابتداء لا نجد معنى لوقوع
الواو عاطفة تقتضى المشاركة بين ما قبلها وما بعدها وهذا
يتنافى مع معنى الابتداء، والإضراب فى بل، ولا يجوز أن يقال
إن دخولها من باب التوكيد^(١) .

جدوى الدراسة التاريخية وحظ اللغة العربية منها:

الدراسة اللغوية التاريخية تمكنا من التغلب على حواجز
الزمن من وجوه، فهذه الدراسة هى اقتفاء أثر التطورات
والتغيرات من النواحي الفونولوجية، والنحوية، والقاموسية
والدالية الخ فى لغة واحدة خلال التاريخ^(٢) .

ولم تدرس اللغة العربية دراسة تاريخية، وكل ما قلناه
مسائل متناثرة، ونحن لا نجد عندنا دراسة تاريخية للمعجم بل
إن معاجمنا تذكر المعانى والمفردات بطريقة تجمع بينها دون

(١) السابق: ٤٢، ٤٣ .

(٢) علم اللغة د/ السمران : ٢٤٤، ٢٤٥ .

اتجاه إلى تسلسلها التاريخي، وكذلك الأصوات العربية، وكذلك قواعدها وأساليبها.

فلم نجد من تتبع نظامها في كل هذه النواحي تتبعاً تاريخياً يبين أوجه الاختلاف من عصر إلى عصر، أو يكشف عن التطور الذي اعتراها أو موت بعضها، وحياة آخر من العصر الجاهلي حتى العصر الحديث^(١).

ومما يجدر ذكره هنا أن أعظم حدث في تاريخ العربية خلال عصورها المختلفة هو القرآن الكريم يقول يوهان فك : "لم يحدث حدث في تاريخ العربية أبعد أثراً في تقرير مصيرها من ظهور الإسلام ... وقد بدأ التطور إلى العربية المولدة حينما انتقلت العربية بعد وفاة الرسول (عليه الصلاة والسلام) مباشرة عن طريق الغزوات الكبرى في العهد الإسلامي الأول إلى خارج حدودها القديمة في موطن لغوية أجنبية^(٢)".

(١) مناهج البحث في اللغة والمعجم د/ هلال : ٤٣ .
(٢) العربية دراسات في اللغة واللهجة والأساليب ص ١٣ - ١٧ .

ثالثاً : المنهج المقارن :

رأينا أن الدراسة الوصفية للغة محدودة بفترة معينة من تاريخ لغة معينة مستعملة في بيئة معينة، وأن الدراسة التاريخية حركة تطورية تظهرنا على ما يمر به تاريخ لغة ما من تغير، ولكن هذين النوعين من الدراسة لا يفسران الظواهر اللغوية جميعاً فتحة ظواهر لغوية تحتاج إلى منهج خاص فالتطور اللغوي يظهرنا على أن هذه اللغة أو تلك تنسحب إلى لهجات متعددة ثم ترتقى إحدى هذه اللهجات أو بعضها إلى مستوى اللغة العربية الأدبية الفصحى وقد تلحق هذه اللهجات واللغات تطورات وتغيرات كثيرة بعدها من أصلها أو أصولها، لا الدراسة الوصفية وحدها تصلح لتفسير هذه الظواهر، ولا تصلح لتفسيرها الدراسة التاريخية وحدها. إن الذي يستخدمه اللغوي في هذه المجال هو "المنهج المقارن" ولقد كانت "الدراسة اللغوية المقارنة" هي الشغل الشاغل في القرن التاسع عشر للغويين جميعاً^(١).

(١) علم اللغة د/ السمران : ص ٢٤٥

مفهوم المنهج المقارن:

هو المنهج الذى يدرس الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية فى اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة أو فرع من أفرع الأسرة اللغوية الواحدة^(١).

وهو يجرى فى اللغات القديمة معتمدا على المنهج التاريخى كما يجرى فى اللغات الحديثة ويكشف عن وجوه الصلة والشبه بين لغتين أو أكثر ليرجعها إلى أصل عام واحد يسمى باللغة الأم التى تفرعت منها هذه اللغات كما يمكن معرفة عدم المشابهة بين اللغات فلا تنتمى إلى أسرة لغوية واحدة^(٢).

ويتناول المنهج المقارن المجالات المذكورة لعلم اللغة: (الأصوات، بناء الكلمة، بناء الجملة، الدلالة) فيبحث من الناحية الصوتية الأصوات الموجودة فى هذه اللغات المنتمية إلى أسرة لغوية واحدة محاولا التوصل إلى قواعد مطردة تفسر التغيرات الصوتية التى طرأت على مدى الزمن

(١) علم اللغة العربية مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية د/محمود فهمى حجازى - دار غريب للطباعة والنشر ص ٣٥ .

(٢) مناهج البحث فى اللغة والمعاجم د/ هلال ص ٤٥ وقارن باللغة - فندريس ٣٧٠ ، ٣٧١ .

فانقسمت اللغة الواحدة إلى لهجات أو لغات كثيرة انقسمت بدورها إلى لغات أخرى.

وقد اتضح في إطار البحث الصوتي المقارن أن مجموعة من الأصوات مستمرة دون تغير يذكر في كل لغات الأسرة الواحدة، فكل اللغات السامية مثلا بها صوت الزاء دون تغير.

وعلى العكس من هذا، فقد اختلف صوت الضاد بعض الوقت من كل اللغات السامية باستثناء اللغة العربية (فمازال موجودا في نطقها الفصيح).

وعلى هذا فالبحت في أصوات الحلق، أو في أصوات الإطباق أو في الأصوات الشفوية في اللغات السامية من قضايا علم الأصوات المقارن في اللغات السامية.

أما من ناحية بناء الكلمة: فإن المنهج المقارن يتناول كل ما يتعلق بالأوزان، والسوابق واللواحق ووظائفها المختلفة، وعلى هذا فدراسة الضمائر في اللغات السامية تعد من دراسة علم الصرف المقارن، لأنها في مجال بنية الكلمة وتعد بمنهج مقارن.

وهذه حال البحوث فى أبنية الأفعال، أو اسم الفاعل، أو المصدر فى اللغات السامية فموضوعها هو علم البنية (الصرف) المقارن وكل القضايا المتعلقة ببناء الجملة فى اللغات السامية كدراسة الجملة الخبرية فعلية كانت أو اسمية، والمطابقة بين الفعل وفاعله وبين العدد والمعدود فى هذه اللغات تعد من مجالات البحث المقارن فى بناء الجملة^(١).

يتناول علم الدلالة المقارن فى اللغات السامية كل ما يتعلق بتاريخ الكلمات، فهناك عدد من الكلمات السامية المشتركة نجدها فى كل اللغات السامية تارة بنفس المعنى، وتارة أخرى بمعنى مقارب، مما يؤكد الصلة بين لغات هذه المجموعة.

وأهم جانب تطبقى لعلم الدلالة المقارن هو تأصيل المواد اللغوية فى المعاجم، وتأصيل المعجمية العربية بردها إلى أصولها السامية إن وجدت يعد من الإضافات المهمة التى نجدها مثلاً فى المعجم الكبير الذى يصدره مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وهذه التأصيلات تقوم على علم الدلالة المقارن فى اللغات السامية^(٢).

(١) مدخل إلى علم اللغة د/ محمود فهمى حجازى: ٢١: ٢٢ وقارن باللغة - فندريس/ ٣٧٢ .

(٢) مدخل إلى علم اللغة د/ محمود فهمى حجازى: ٢١، ٢٢ و ٢٣ .

نشأة للمنهج المقارن:

بدأ ظهور هذا المنهج فى القرن التاسع عشر^(١)، ويعتمد على وجود تصنيف واضح للغات إلى أسر لغوية ولم تكن القرابة بين اللغات معروفة على نحو علمى دقيق إلى أن اكتشفت اللغة السنسكريتية فى الهند. لقد قورنت السنسكريتية باليونانية واللاتينية، وثبت من هذه المقارنات وجود قرابة لغوية بين هذه اللغات وأنها ترجع إلى أصل قديم بائد. وتقدم البحث شيئاً فشيئاً فقورنت اللغات الأوروبية المختلفة واللغات الإيرانية واللغات الهندية وثبت بهذه المقارنات أن كثيراً من هذه اللغات تحمل أوجه شبه فى البنية والمعجم.

وبذلك اتضحت معالم أسرة لغوية كبيرة تضم لغات كثيرة فى الهند وإيران وأوربا وأطلق الباحثون على هذه الأسرة اسم أسرة اللغات الهندية الأوروبية^(٢).

كما أمكن انتقال البحث من تلك المجموعات إلى غيرها من اللغات الأخرى التى تتشابه فيما بينهما فطبق على

(١) دراسات فى علم اللغة د/ فتحى الدابولى ١٤٠٤هـ — ١٩٨٤م: ص ٧

(٢) مدخل إلى علم اللغة د/ محمود فهمى حجازى ط ١٩٧٨: ص ٢١

مجموعات اللغات السامية التى لا يزال العلماء يبحثون عن
الأصول التى تشترك فيها وترجعها إلى أم واحدة ثم امتد هذا
البحث المقارن إلى جميع اللغات الإنسانية .

وقد أمكن بمعرفة أوجه التشابه والاختلاف إيجاد طوائف
لغوية تنتمى إلى عائلة واحدة (١) .

فمن أهم الأسس التى قامت عليها الدراسات المقارنة
تصنيف اللغات البشرية إلى فصائل لغوية وكل فصيلة هى
عبارة عن مجموعة من اللغات تنتمى إلى أصل واحد وتربط
بينها صلات من القرابة اللغوية فى الأصوات ، والصيغ
والتركييب والدلالات .

ومن بين هذه الفصائل (٢) :

أ - مجموعة اللغات الهندية الأوروبية (٣) وهى :

- ١ - اللغات الهندية - الإيرانية ، أو اللغات الآرية .
- ٢ - اللغات الأرمنية .

(١) انظر مناهج البحث فى اللغة والمعاجم د/ هلال ص ٤٧ و ٤٨
واللغة فندريس ٣٧٢ .

(٢) الموجز للبحث اللغوى د/ محمد سعد ص ٥٢ .

(٣) علم اللغة د/ وافي - دار نهضة مصر للطبع والنشر ط/ ٩ :

١٩٧ - ١٩٩

- ٣ - اللغات الإغريقية، وتشمل اللغات اليونانية القديمة وأشهر هذه اللغات: اليونانية - الأتيكية - الدورية وتشمل كذلك اللغات اليونانية الحديثة فى العصر الحاضر .
- ٤ - الألبانية .
- ٥ - اللغات الإيطالية، وتشمل الأسكية والسمنية واللاتينية - واللغات الرومانية وهى المتفرعة من اللاتينية كالفرنسية والإيطالية والأسبانية ولغة رومانيا ... الخ .
- ٦ - اللغات السلتيّة، أو الكلتيّة التى كانت لغات شعوب السلّت أو الكلّت. وقد طغت عليها الآن اللغات الفرنسية والإنجليزية والأسبانية .
- ٧ - اللغات الجرمانية، وتشمل ثلاث شعب . أولاها شعبة اللغات الجرمانية الشرقية وهى اللغة الجونية، وثانيها: شعبة اللغات الجرمانية الشمالية، وهى لغات أيسلندا والدانمرك والسويد والنرويج وثالثها شعبة اللغات الجرمانية الغربية وتشمل: الإنجليزية السكسونية والإنجليزية الحديثة والهولندية واللغات الألمانية ... الخ .

٨ - اللغات البلطقية السلافية، وتشمل شعبتين إحداهما:
شعبة اللغات البلطقية، وهى الليتوانية، لغة ليتوانيا،
والليتونية لغة ليتونيا والبروسية القديمة.

والأخرى شعبة اللغات السلافية أو الصقلية: وهى
السلافية القديمة، والروسية والبولندية، والتشيكية والسربية،
والكرواتية والبلغارية الحديثة.

والبحث المقارن فى هذه المجموعة من اللغات يتعلق
ببحث الصلة والتشابه لبيان السمات المشتركة بينها.

ب - مجموعة اللغات الصينية التبتية^(١): وتضم معها
لغات لها صلة بها كالتيلاندية والبورمية والتبتية، وما دخل
بعض اللغات من ألفاظها كاليابانية والكورية، وهى عائلة
قديمة من اللغات ذات حضارة عريقة تماثل نظيراتها الهندية
الأوربية ومع أن لغتها المكتوبة تتصل بالصور العقلية أكثر
من صلتها بالأصوات المتكلمة أمكن بدراستها ودراسة معاجم
اللغات المتصلة بها التوصل إلى نتائج لغوية لها دلالة خاصة
تؤدى إلى معرفة اللغة الأم.

(١) ينظر مناهج البحث فى اللغة والمعاجم د/ هلال : ٤٩ .

ج - مجموعة اللغات الأورالية والألطائية: وتضم لغات متأخرة نسبيا كاللغات القوقازية ولغات أندونيسيا والفلبين ومدغشقر وساموا ونيوزيلانده وهاراي.

د - مجموعة أخرى: كالعائلة الدارفيديّة والعائلة الهندية الأمريكية ولغات زنوج أفريقية وغيرها فما تزال شواهد غامضة، ويعتبر الوصول إلى مادة مكتوبة لها أمرا لا أمل فيه^(١).

هـ - مجموعة اللغات السامية:

اللغات السامية عبارة عن:

١ - الأكادية أو البابلية (الأشورية) : وهي لغة كانت سائدة في أرض العراق وقد حلت محل لغة أخرى غير سامية هي اللغة السومرية وسميت بهذا الاسم (الأكادية) نسبة إلى بلاد أكاد^(٢).

(١) أسس علم اللغة (ماريوباي) ص ١٧٦ .
(٢) دراسات في فقه اللغة د/ صبحي الصالح - دار العلم للملايين
بيروت ١٣٧٩هـ - ١٩٦٠م ص ٤٩ .

٢ - الكنعانية: وهى لغة القبائل العربية الذين كانوا يقيمون فى بلاد فلسطين وسورية، وقد اشتملت على عدة لهجات هى:

الأجرينية، الكنعانية القديمة - المؤابية - الفينيقيّة - العبرية.

٣ - الآرامية: هى لغة الآراميين وكانت قبائلهم تنتقل منذ القرن الخامس عشر ق.م فى الصحراء المتاخمة لمنطقة ميزوبوتاميا وقد نزح بعضها من هذه الصحراء إلى بلاد سوريا فلسطين وما إليها حوالى القرن الخامس عشر ق.م^(١).

وتفرعت الآرامية إلى:

١ - السريانية . ب - الآرامية الغربية.

٤ - الحبشية: وهى لغة السكان الذين كانوا يقطنون بلاد الحبشة.

٥ - العربية: وتنقسم إلى قسمين:

أ - العربية الجنوبية . ب - العربية الشمالية.

(١) فقه اللغة د/ وافي ضياء ٥٦ بتصرف.

هل عرفت العربية الدراسات المقارنة؟

كان علماء العربية القدامى يعرفون أوجه الشبه، وصلة القرابة بين اللغات السامية ونبهوا على ذلك .

فقد فطن الخليل بن أحمد (ت ١٧٥هـ) إلى العلاقة بين الكنعانية والعربية فقال وكنعان بن سلم بن نوح إليه ينسب الكنعانيون، وكانوا يتكلمون بلغة تضارع العربية^(١) .

كما عرف أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) اللغة السريانية ، وأداة التعريف فيها هي الفتحة الطويلة في أواخر كلماتها^(٢) .

وكذلك أدرك ابن حزم الأندلسي (ت ٤٥٦هـ) علاقة القربى بين العربية والعبرية والسريانية ... ويقول الإمام السهيلي (ت ٥٨١هـ) وكثيرا ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي أو يقاربه في اللفظ^(٣) وقد كانوا على دراية بغير العربية أيضا فمكنهم ذلك من المقارنة بينها وبين بعض

(١) العين للخليل (كنع) : ١ / ٢٠٥ تحقيق د/ مهدي المخزومي، ود/ إبراهيم السامرائي - بيروت .

(٢) الزينة في الكلمات الإسلامية أبو حاتم الرازي ١ / ٧٧، ط الأولى ١٩٥٧م .

(٣) المدخل إلى علم اللغة د/ رمضان عبدالنواب : ٢٠٢ .

أخواتها الساميات أو الأجنيبات عنها كالفارسية والرومية والتركية، وهذا ونحوه أدى إلى اكتشاف أوجه التشابه والاختلاف بين ما هو من أصل واحد وما هو من أصول أخرى كالفارسية والتركية مما ينتمى إلى مجموعة اللغات الهندية الأوروبية أو غيرها وهى بعيدة عن أصول العربية واللغات السامية المشابهة لها ومن هنا يمكن أن نقول: إن المقارنة فى اللغات السامية كانت أسبق ظهوراً من نظيراتها فى اللغات الهندية الأوروبية وغيرها وقد تنبه الشرق إلى مثل هذه المقارنات فى المجموعة السامية فحكموا بانتماء أفرادها (الأكادية والآرامية والعبرية والعربية واليمنية القديمة والحبشية النخ) إلى فصيلة واحدة وقد اكتشفت هذه العلاقات بين بعض هذه اللغات على يد بعض الباحثين الأوروبيين فعرفت منذ القرن العاشر الميلادى وجوه الشبه بين العربية والعبرية إلى جانب علماء العرب الذين أدركوا هذه العلاقات ممن أشرنا إليهم من قبل .. وفى القرن السابع عشر اكتشفوا قرابة الحبشية والعربية بدراسة اللغة الجَعَزِيَّة (الحبشية القديمة) ومعرفة صلتها بالعربية^(١).

(١) مناهج البحث فى اللغة والمعاجم د/هلال ٥٢، ٥٣ .

ولكنه على الرغم من وجود هذه اللحات والإشارات فإن معطيات المنهج المقارن لم تتضح بحق إلا فى القرن التاسع عشر كما سبقت الإشارة إلى ذلك، وظهر ذلك جليا بالنسبة للعربية فقد ظلت نصوص الشعر الجاهلى عدة قرون أقدم نصوص عربية معروفة عند الباحثين ولكن البحث الحديث فى القرن التاسع عشر أوضح بعد اكتشاف اللغة الأكادية، وبحث اللغات السامية بالمنهج المقارن أن خصائص البيئة اللغوية للعربية ولهجاتها القديمة يمكن أن تؤرخ فى ضوء علم اللغات السامية المقارن وبذلك أمكن عن طريق الدراسة المقارنة تأريخ كثير من الظواهر العربية فى مرحلة أسبق من الشعر الجاهلى بأكثر من ألفى عام، فالظواهر المشتركة فى العربية والأكادية لا يمكن أن تكون موروثة عن اللغة السامية الأولى التى خرجت عنها كل اللغات السامية. ولذا يبدأ البحث فى تاريخ العربية ببيان علاقة العربية باللغات السامية الأخرى وباللغة السامية الأولى، فى محاولة لتأريخ الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية للغة العربية قبل تدوينها^(١).

(١) ينظر علم اللغة العربية - مدخل تاريخى مقارن فى ضوء التراث واللغات السامية ١٩٣، ١٩٤، والموجز فى البحث اللغوى: ٦٠، ٥٩.

وقد كتب بعض المحدثين من علماء العرب بعض المقارنات بين العربية وبعض أخواتها مثل:

"فقه اللغة المقارن" للدكتور إبراهيم السامرائي، و"فقه اللغات السامية" للأستاذ حامد عبدالقادر، و"النحو المقارن" للدكتور يعقوب بكر والمدخل للأستاذ عبدالمجيد عابدين، وبين العربية ولهجاتها والعبرية للدكتور محمد بحر^(١).

وليسَت الدراسة المقارنة بالأمر الهين، لأنها تحتاج إلى طراز خاص من الباحثين المجيدين الملمين بقواعد اللغات التي تقع في نطاق الفصلية اللغوية المدروسة، فالمقارن للعربية وسائر أخواتها الساميات لابد أن يكون ملماً بقواعد كل اللغات السامية كي تكون النتائج مرضية^(٢).

(١) ينظر مناهج البحث في اللغة والمعاجم : ٥٥ .

(٢) الموجز في البحث اللغوي : ٦٠ .

أهم النتائج التي تؤدي إليها المقارنة اللغوية^(١):

- ١ - معرفة درجة الصلة بين لغتين أو عدة لغات وضعت تحت الفحص إن كانت هناك صلة.
- ٢ - مقارنة الأصوات والصيغ تتجلى ضروب التجديد الخاصة بكل لغة في مقابلة البقايا الباقية من حالة قديمة.
- ٣ - إذا توصلنا إلى تحديد الروابط والعلاقات اللغوية في العناصر المختلفة للغة بين مجموعات اللغات المتشابهة نستطيع افتراض صورة للغة الأم أو ما يقرب منها، والتي تعد الأصل المشترك لهذه اللغات.
- ٤ - تصنيف اللغات وربطها بسلسلة نسبية على أسس تاريخية ولغوية والذي يهيئ السبيل إلى ذلك هو النحو المقارن.
- ٥ - استبعاد الاعتقاد التقليدي الذي كان سائدا وهو الذي يزعم أن كل اللغات قد انحدرت من أصل لغوي مشترك.
- ٦ - الإفادة من المقارنة بين اللغات الحديثة في مجال تعليم اللغات الأجنبية وتعلمها.

(١) ينظر في هذا علم اللغة د/ السعران: ٢٤٦ - ٢٥٤ ، مدخل إلى علم اللغة الحديث د/ أحمد سلطان: ١٠٠ ، ١٠١ ، والموجز في البحث اللغوي ٥٤ ، ٥٥

٧ - تأصيل دراسة اللهجات ومعرفة ما اعتراها من تغير والوقوف على أصلها.

ومع أهمية هذا المنهج فإن العمل به يكون عرضة للزلل والسبب في ذلك راجع إلى نقص الاستقراء والتسرع في ضوء القوانين العامة، ولذا يجب على الباحث ألا يتسرع في إصدار القوانين فقد يبدو له مثلا تشابه في بعض الكلمات في اللغتين فيتسرع في الحكم عليهما بأنهما من فصيلة واحدة مع أن الواقع قد يكون غير ذلك، فقد يكون سبب الاتفاق أن إحداهما قد اقتبست هذه الكلمات اقتباسا من الأخرى مع انتمائهما إلى فصيلتين مختلفتين، كما اقتبست السريانية عددا كبيرا من الكلمات الإغريقية مع أن السريانية من فصيلة اللغات السامية، والإغريقية من فصيلة اللغات الهندية الأوروبية، وكما اقتبست الفارسية الحديثة كلمات كثيرة من العربية مع أن أولاهما من اللغات الآرية، وثانيتها من اللغات السامية وكما اقتبست التركية قسما كبيرا من متن لغتها من العربية والفارسية ، مع أنها من فصيلة غير فصيلتي العربية والفارسية وهي الفصيلة التترية^(١).

(١) علم اللغة د/ وافي ص ٥٠ . ٦٧

العلاقة بين المنهج المقارن والمنهج التاريخي:

قليلا ما يفرق الناس بين المنهج "المقارن" والمنهج "التاريخي"
"لسببين:

- ١ - أن المنهج المقارن تاريخي في الأساس .
- ٢ - أنه متمم للعمل التاريخي أو هو الهدف من العمل التاريخي فإذا كان المنهج التاريخي يتتبع الظاهرة المعينة من فترة زمنية إلى أخرى، وتسجيل ما أصاب أو وقع بها من تغيير أو تطور فإن المنهج المقارن يقوم بالمقارنة بين هذه التغييرات أو بين الأصل وما تفرع منه، أو ما آل إليه من فترة إلى أخرى^(١).

ومن هنا يقول "فندريس" ليس المنهج المقارن إلا امتدادا للمنهج التاريخي في أعماق الماضي السحيق وينحصر في نقل منهج التفكير الذي يطلق على العهود التاريخية إلى عهود لا نملك عنها أية وثيقة^(٢).

هذا المنهج المقارن هو الذي يهتم بالبحث في الماضي السحيق ويحاول أن يكتشف ما كان عليه المجتمع في تلك العصور القديمة وما كان عليه الإنسان في تلك العصور القديمة وما كان عليه الإنسان في تلك العصور القديمة.

(١) التفكير اللغوي بين القديم والجديد د/ كمال بشر ٤٣ .

(٢) اللغة ص ٣٧٠، ٣٧١ . ٦٨

رابعاً: المنهج المعيارى

مفهومه:

هو المنهج التقليدى المتبع فى تعليم القواعد فى المدارس والمعاهد والجامعات العربية .
وأساسه محاولة استخلاص مجموعة محددة من القواعد والقوانين وجعلها نموذجاً أو معياراً ينبغى الأخذ به والسير على طريقه، فمن خرج عن هذا المنهج أو المعيار دخل فى دائرة الخطأ، ومن سار على هديه كان مصيباً فهذا المنهج فى الأساس وظيفته بيان الخطأ أو الصواب فى اللغة ومحاولة فرض قواعد على مستعملى اللغة حفاظاً عليها وعلى أصولها .

هل هو منهج تعليمى :

وهو فى الحق منهج تعليمى صرف وموقعه تعليم اللغات القومية والمنهج المعيارى كما يظهر فى أعمال اللغويين العرب يعتمد فى وضع قواعد على خليط من المبادئ والاتجاهات فقد يلجأ إلى الوصف أو الفروض العقلية أو مسائل القياس المنطقى أو كل هذه وغيرها مجتمعة، وهو من ثم — ليس منهج بحث — ، وإن صلح أن يكون منهجاً تعليمياً تقليدياً^(١) .

(١) ينظر التفكير اللغوى بين القديم والجديد د/ كمال بشر ص ٤٤ ، ٤٥ .

أهميته: مما سبق يتبين لنا أن هناك فرقا كبيرا بين مهمة الباحث اللغوى التى تتلخص فى وصف ما يلاحظه من ظواهر بدقة وموضوعية ومهمة المعلم الذى يصنع القواعد التى ترشد المتعلمين إلى الصواب وتجنبهم الخطأ فالأول يستخدم المنهج الوصفى وهو لذلك عالم، أما الثانى فينظر إلى اللغة نظرة معيارية، وهو لذلك معلم وكلاهما يقوم بدور له أهميته البالغة^(١).

والنظرة المعيارية إلى اللغة مقبولة بل ضرورية فى كثير من الأحوال فهى لازمة فى المراحل المختلفة لتعليم اللغة القومية، وهى أيضا لازمة للحفاظ على هذه اللغة المشتركة من مخاطر استخدام اللهجات المحلية، وقد حافظت الأعمال التى خلفها لنا النحاة العرب فى مجال وضع قواعد العربية حافظت على العربية الفصحى فترة طويلة من الزمن دون أن تتطور تطورات كبيرة كما حدث فى اللاتينية حين تشعبت إلى لهجات متعددة هى الآن لغات قومية.

وقد فعلوا ذلك بهدف المحافظة على القرآن الكريم والخوف من أن يتطرق إليه التغيير والتبديل، ولكن هذه

(١) مدخل إلى علم اللغة د/ محمد حسن عبدالعزيز ص ١٤١ .

النظرة مرفوضة حين نقوم بدراسة اللغة، إذ ينبغي على الدارس أن يصف ما يسمعه وصفا دقيقا موضوعيا، وليس من عمله أن يضع قواعد يستخدمها للحكم بالصواب أو الخطأ^(١).

المعيار والوصف :

ولقد ذكر الدكتور تمام حسان فروقا كثيرة بين المتكلم الذى يمثل النشاط المعيارى وبين الباحث الذى يمثل النشاط الوصفى ومن بين هذه الفروق قوله^(٢) .

"قالمتكلم صاحب عادات نطقية معينة يحددها العرف، الباحث صاحب منهج معين تحدده عوامل تتصل بطبيعة المادة المدروسة وللمتكلم استجابة لقواعد يراعيها فى الكلام ، ولا يستطيع إدراكها لا جملة ولا تفصيلا، والباحث طريقة يصل بها استخراج هذه القواعد حتى يستطيع أن يعبر عنها بالتفصيل، المتكلم خاضع للعرف، والباحث خاضع للمنهج، والمتكلم يستخدم أدوات لا يعرفها، والباحث يستخدم أدوات للكشف عن هذه الأدوات والمتكلم لاعب شطرنج يمسك

(١) مدخل إلى علم اللغة : ص ١٤٢ .

(٢) ينظر: اللغة بين المعيارية والوصفية — مكتبة الأنجلو المصرية سنة ١٩٥٨م ص ٣، ٤ .

بالقطع ويحركها على الرقعة، ولكن الباحث مراقب للعبة
يلحظها عن قرب، ويكشف عن قوانينها وأصول لعبها،
ونشاط المتكلم معيارى ولكن نشاط الباحث وصفى ... اللغة
بالنسبة للمتكلم معايير تراعى، وبالنسبة للباحث ظواهر
تلاحظ وهى بالنسبة للمتكلم ميدان حركة وبالنسبة للباحث
موضوع دراسة وهى بالنسبة للمتكلم وسيلة حياة فى المجتمع،
وبالنسبة للباحث وسيلة كشف عن المجتمع ، المتكلم يشغل
نفسه بواسطتها، والباحث يشغل نفسه بها، ويحسن المتكلم إذا
أحسن القياس على معاييرها، ويحسن الباحث إذا أحسن
وصف نماذجها .

وللغة عدد من الأجهزة تمثل فى نظر المتكلم معايير
معينة، فلها جهاز صوتى يتم استعماله حسب قواعد معينة هى
فى نظر المتكلم معايير لا بد له أن يطابقها حين الكلام ، ولها
جهاز تشكيلى معين يمثل نظام المقاطع والموقعيات ، ومنهجا
التفخيم، والنبر، والتنغيم. ولكل أولئك أصول صياغية معينة
هى معايير من وجهة نظر المتكلم.

ثم إن اللغة جهازا صرفيا هى مجموعة من الصيغ
والملاحظات يراعى فى استعماله أصول محددة بالعرف. ويقال

نفس الشيء عن النحو ، والمعجم، وفروع الدراسات اللغوية
الأخرى.

سنضرب الآن مثلا نوضح به أن الأجهزة اللغوية تمثل
معايير من وجهة نظر المتكلم، ولناخذ الجهاز الصوتي مثلا
فى اللغة العربية الفصحى إن كل تلميذ فى القاهرة لابد أن
يكون فى أثناء تعلمه اللغة العربية الفصحى فى المدارس قد
مر بمرحلة طلب إليه فيها أن يخرج لسانه فى الثاء والذال
والظاء وأن يعطش الجيم، وأن ينطق القاف بطريقة لم يألفها
فى وسط الأسرة ، تلك معايير يحددها المعلم للتلميذ، ويظل
التلميذ بعد ذلك طول حياته يراعى هذه المعايير فى
الاستعمال، إذا أراد أن يتكلم اللغة الفصحى كلاما صحيحا لا
خطأ فيه^(١).

ومن المحاولات المعيارية السعى إلى إيجاد لغة عالمية
مصطنعة ولقد بدأ الاتجاه إلى هذه المحاولة فى القرن السابع
عشر على يدلينز نتكون هذه اللغة فى خدمة التوسع
الاستعماري الأوربي، والكشوف العلمية ولقد فشلت المحاولة
حتى الآن فى خلق لغة عالمية ونشرها، وكان مرجع هذا

(١) اللغة بين المعيارية والوصفية: ص ٩ ، ١٠ .

الفضل إلى أسباب اجتماعية وسياسية، ولكن أمل أصحاب هذه
الفكرة ينتعش كلما زاد الاختلاط بين أجزاء العالم المختلفة،
فى منظمات عالمية كهيئة الأمم المتحدة، التى تمثل فى
نظرهم تعبير عن سلطة عالمية مركزية تستطيع فى المستقبل
أن تفرض ما تشاء حين تدعو إليه حاجات التعايش
العالمى (١).

الإبدال

الإبدال في اللغة: مصدر "أبدل" أى جعل شيئاً بديل شيء.

يقول ابن منظور: "الأصل في الإبدال جعل شيء مكان شيء آخر" (١).

وفي اصطلاح علماء اللغة: "جعل حرف مكان آخر مطلقاً" (٢)، أو حركة مكان أخرى (٣).

وبذلك يتضح لنا أن الإبدال عند اللغويين يتناول الإبدال في الحروف والإبدال في الحركات.

والإبدال في الحروف يشمل الإبدال النادر: كقولهم في "وكنه : وقنه"، وفي خطر: غطر، وفي جلد: جضد، وفي تلعثم: تلعزم (٤).

ويشمل الإبدال الصرفي وهذا النوع لا يهتم البحث لأنه يشترك فيه العرب جميعاً، كما أنه يقع في حروف معينة عدها ابن مالك تسعة حروف وجمعها في قوله: "هدأت موطياً" (٥).

(١) اللسان ١ / ٢٣١ (بدل) .

(٢) اللغة العربية خصائصها وسماتها، د/ عبدالغفار هلال : ١٢٥ .

(٣) اللهجات العربية ، د/ إبراهيم أبوسكين : ٨٠ .

(٤) شذا العرف في فن الصرف ١٠٩ .

(٥) شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك ٤٩٣ .

كما أن الإبدال فى الحروف يشمل الإبدال اللغوى، وهو الذى يعنينا هنا لأنه هو الذى يخص قوما دون قوم^(١).

وبين الإبدال الصرفى والإبدال اللغوى فروق هى كما يلى:

١ - الإبدال اللغوى يقع فى جميع الحروف، والإبدال الصرفى يقع فى حروف معينة، يقول أبوعلى القالى : "اللغويون يذهبون إلى أن جميع ما أمليناه إبدال، وليس هو كذلك عند علماء أهل النحو، وإنما حروف الإبدال عندهم اثنا عشر حرفا، تسعة من الزوائد، وثلاثة من غيرها ، وأما حروف الزوائد فيجمعها قولنا: "اليوم تنساه" وهذا عمله أبوعثمان المازنى، وأما حروف البديل فيجمعها قولنا: "طال يوم أنجدته" و"هذا أنا عملته"^(٢).

٢ - وقيل إن مفهوم الإبدال عند اللغويين، هو جعل حرف مكان آخر مع بقاء المعنى واحدا على نحو غير مطرد، أما مفهومه عند الصرفيين: فهو جعل حرف مكان آخر باطراد^(٣).

(١) مميزات لغات العرب لحفنى ناصف ط ٢ - ١٣٣٠هـ : ص ١٢ .
(٢) الأمالى : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م : ٢ / ٢٠٧ .
(٣) محاضرات فى فقه اللغة د/ عبدالفتاح البركاوى - مؤسسة الرسالة ط/ ١ - ١٤٠٢هـ : ص ١٤٤ .
٧٦

٣ - كما يختلف الإبدال اللغوى عن الإبدال النحوى فى أن صورتى الكلمة تستعملان معا عند اللغويين ، فيقال: التهتان، كما يقال: "التهتال" أما عند النحاة فلا تستعمل سوى صورة واحدة للكلمة، وهى التى وقع فيها الإبدال مثل: قال، أما الصورة الأخرى "قول" فإنها صورة افتراضية لا وجود لها إلا فى الذهن^(١).

شروط الإبدال عند اللغويين:

اشتراط اكثر القدماء فى الإبدال تقارب الصوتين فى المخرج والصفة معا، أو المخرج دون الصفة إذ يقول ابن سيدة : "فأما ما لم يتقارب مخرجاه البتة فقل على حرفين غير متقاربين فلا يسمى بدلا، وذلك كإبدال حرف من حروف الفم من حرف من حروف الحلق^(٢)".

ونص أبو على الفارسى على التقارب فى المخرج، وذكر ابن جنى أن إبدال الحاء من الثاء الوسطى فى "حثثوا" من "حثثوا" مردود ثم قال : "وسألت أبا على عن فساد فقل: العلة فى فساد أن أصل القلب فى الحروف، إنما هو فيما تقارب منها، وذلك كالدال والطاء والثاء، والذال والظاء والثاء، والهمزة والهاء، والميم والنون، وغير ذلك مما تداننت مخارجهم".

(١) نفسه ص: ١٤٥ .

(٢) المخصص - طبعة دار الفكر - بيروت ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م : ٢٧٤/١٣

فأما الحاء فبعيدة من الثاء، وبينهما تفاوت يمنع من قلب إحداهما إلى أختها^(١).

يتضح لنا من ذلك أنه لابد من وجود علاقة صوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه، وإن كان من القدماء من لم يلتزم بهذا الشرط أو القيد كابن السكيت في كتابه الإبدال، فقد أورد كلمات وقع فيها الإبدال، بين الجيم والحاء فيقال: "تركت فلانا يحوس بنى فلان ويجوسهم" ويقال "هم يحلبون عليه، ويجلبون عليه في معنى واحد، أى يعينون عليه"^(٢).

فالتبادل وقع بين الجيم والحاء وهما متباعدان في المخرج، لأن الجيم من وسط اللسان، والحاء من وسط الحلق، فالعلاقة الصوتية غير موجودة وهذا — أيضا — أبو الطيب اللغوى فقد رأيناه يورد كلمات وقع فيها الإبدال بين الباء والهاء^(٣) وبين الثاء والحاء^(٤).

ومن المحدثين من وافق أكثر القدماء في القول بضرورة التقارب الصوتي شرطاً للقول بالإبدال^(٥)، إذ يرى الدكتور إبراهيم أنيس أن الكلمات المتحدة في الحروف المختلفة في حرف واحد،

(١) سر صناعة الإعراب ١ / ١٩٧ .

(٢) الإبدال لابن السكيت : ٩٧ .

(٣) الإبدال لأبى الطيب ١ / ١٥٦ .

(٤) نفسه ١ / ١٥٧ .

(٥) من أسرار اللغة ط٧ — ١٩٨٥م — مكتبة الأنجلو المصرية ص٧٥ .

وفسرت على أنها من الإبدال حيناً، أو من تباين اللهجات حيناً آخر، إنما هي نتيجة التطور الصوتي، وفي ذلك يقول "حين نستعرض تلك الكلمات التي فسرت على أنها من الإبدال حيناً، أو من تباين اللهجات حيناً آخر، لا نشك لحظة في أنها جميعاً نتيجة التطور الصوتي، أي أن الكلمات ذات المعنى الواحد حين تروى لها المعاجم صورتين أو نطقين ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفاً من حروفها، نستطيع أن نفسرها على أن إحدى الصورتين هي الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها غير أنه في كل حالة يشترط أن نلاحظ العلاقة الصوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه ودراسة الأصوات كقيلة بأن توقفنا على الصلات بين الحروف وصفات كل منها"^(١).

كما أن الدكتور صبحي الصالح وافق القدماء في القول بضرورة التقارب في المخرج إذ يقول "فالمعول عليه في باب الإبدال — كما قلنا — على المخرج لا الصفة"^(٢).

فالمحدثون وافقوا القدماء في القول بضرورة التقارب الصوتي شرطاً للقول بالإبدال، وهذا هو الرأي الراجح عندي، فلا بد أن تكون هناك علاقة صوتية بين الحرف المبدل والمبدل منه، بأن يتقاربا في المخرج والصفة معا أو المخرج دون الصفة.

(١) من أسرار اللغة : ٧٥ .

(٢) دراسات في فقه اللغة ط ٩ — دار العلم للملايين بيروت ١٩٨١ م ص ٢٣٥ .

آراء العلماء فى نشأة الإبدال :

أولاً: رأى القدماء:

١ - من القدماء من يرى أن الإبدال يرجع إلى تعدد اللغات واختلافها، إذ يقول أبو الطيب اللغوى : "ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف، وإنما هى لغات مختلفة لمعان متفقة، تتقارب اللفظتان فى لغتين لمعنى واحد حتى لا يختلفا إلا فى حرف، قال : والدليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورا مهموزة، وطورا غير مهموزة ، ولا بالصاد مرة، وبالسین أخرى، وكذلك إبدال لام التعريف ميمًا، والهمزة المصدرة عينا كقولهم فى "أن" "عن" لا تشترك العرب فى شىء من ذلك، إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون" (١).

٢ - ومنهم من يخرج ما كان من اختلاف اللهجات من الإبدال، إذ يرى البطليوسى أن الكلمتين المتفقتين فى المعنى والحروف إلا فى حرف واحد لا يسمى هذا لاختلاف إبدالاً إذا كان من لغتين أو من لغات متعددة، أما إذا حدث هذا فى البيئة الواحدة فحينئذ يعد من الإبدال إذ يقول : "ليس الألف فى الأرقان ونحوه مبدلة من الياء ولكنهما لغتان، ومما يدل على أن هذه الأحرف لغات ما رواه اللحيانى قال: قلت

(١) المزهر ١ / ٤٦٠ .

لأعرابي: أتقول مثل حنك الغراب أو مثل حلكه؟ فقال: لا أقول مثل حلكه" (١) .

يتضح مما سبق أن أبا الطيب يعتد ما كان من اختلاف اللهجات من قبيل الإبدال ، كما يتضح لنا أن البطلاني يخرج ما كان من اختلاف اللهجات من الإبدال، على أن لكليهما نظرتيه ووجهته، فالذى اعتد ما كان من اختلاف اللهجات من قبيل الإبدال اعتبر أن اللغة العربية كلها وحدة واحدة، أى نظر إلى أن الجزيرة العربية كلها وحدة واحدة، والذى أخرج ما كان من اختلاف اللهجات من الإبدال، اعتبر كل لهجة مستقلة عن الأخرى وصاحب كل لهجة ينطق صيغة واحدة لا صيغتين مختلفتين .

٣ - ومنهم من يرى أن الكلمتين أو الكلمات المتحدة فى المعنى والحروف إلا فى حرف واحد لا تعد من الإبدال إلا إذا كانت إحدى الكلمتين أصلا، والأخرى فرعا لها، ومقياس الأصالة عنده أن تكون الكلمة أكثر تصرفا أو أدور استعمالا، أما إذا تساوت الكلمتان فى التصرف والاستعمال فلا يكون هناك إبدال، إذ يقول ابن جنى : "فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعا أصليين كل واحد منهما قائم بنفسه لم يسغ العدول عن الحكم بذلك، فإن دل دال أو دعت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه عمل

(١) نفسه ١ / ٤٧٤، و ٤٧٥ .

بموجب الدلالة، وصير إلى مقتضى الصنعة، ومن ذلك "سكر
طبرزل وطبرزن" هما متساويان في الاستعمال فلست بأن تجعل
أحدهما أصلاً لصاحبه أولى منك بحمله على ضده، ومن ذلك
قولهم: هَتَلَت السماء وهَتَّتَت: هما أصلان ألا تراهما متساويين في
التصرف، يقولون: "هَتَّتَت السماء تهَتَّن تهَتَّانا، وهَتَلَت السماء تهَلَل
تهَلَّالا"^(١).

غير أن مقياس الأصالة والفرعية عند ابن جنى محل نظر،
لأن "اللفظ قد يجوز أن يكون متصرفاً وأما العرب تصرفاته أو
بعضها أو استغنوا عنها، ونحن نطالع في كتب اللغة أحياناً أن هذا
البناء أو هذه الصيغة مماته أو لم ترد عن العرب"^(٢)، ومن ذلك
قولهم: "بله زيدا" أى دعه فإنه في الأصل مصدر فعل مهمل،
وذلك الفعل المهمل مرادف لدَعَّ و"دَعَّ" لا مصدر له من لفظه وإنما
له مصدر من معناه وهو الترك"^(٣).

وكذلك كثرة الاستعمال فقد تكون الكلمة التي حكم بفرعيتها
لقلة استعمالها قد تكون غير ذلك في الواقع "لأن ذلك يستلزم
معرفة الأوسع تصرفاً مع أن اللغويين لا يصرحون بذلك"^(٤).

(١) الخصائص ٨٢ / ٢ .

(٢) خصائص لهجتي تميم وقريش د/ الموافق ص ٣٦٦ .

(٣) شرح التصريح على التوضيح للشيخ/ خالد الأزهرى — دار إحياء الكتب
العربية — ط الحلبي ١٩٩ / ٢ .

(٤) خصائص لهجتي تميم وقريش د/ الموافق ص ٣٦٦ .

٤ - ومنهم من يرى إقامة الحروف مقام بعض دون قيد أو شرط
إذ يقول ابن فارس : "ومن سنن العرب إبدال الحروف
 وإقامة بعضها مقام بعض ... وهو كثير مشهور"^(١).

ثانيا : رأى المحدثين :

يرى الدكتور إبراهيم أنيس أن الكلمات المتحدة فى الحروف
والمختلفة فى حرف واحد، وفسرت على أنها من قبيل الإبدال
حيناً، أو من تباين اللهجات حيناً آخر، إنما هى نتيجة التطور
الصوتى^(٢).

واللهجات العربية الواردة فى "كتاب الحجة" قد اشتملت على
كل من الإبدال فى الحروف، والإبدال فى الحركات .
أولاً : الإبدال فى الحروف :

يتتبع اللهجات العربية الواردة فى "كتاب الحجة" وجدت هناك
ألفاظ أبدلت بعض حروفها من بعض وتقسيمها كما يلى :

١ - بين الهمزة والواو :

— قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا...﴾
البقرة/ ٢٦٠ .

(١) الصاحبى، تحقيق السيد أحمد صقر — مطبعة الحلبي ص ٣٣٣ .
(٢) من أسرار اللغة ص ٧٥ .

يقول ابن خالويه : "وفى «جَزَاء» أربع لغات: جَزُو بالضم والهمز، وجَزء بالإسكان والهمز، وجَزُو بالإسكان والواو، وجَزُو بضم الزاى والواو من غير همز، وهو ردئ لأنه ليس فى كلامهم اسم آخره واو قبلها حركة إلا "الرَبُو" وهذا شاذ ، فإن كان أراد: أن أصل الواو فيه الهمز جاز. وقرأ عاصم ذلك كله فى رواية أبى بكر بالهمز والتثقيب ، ولم يلتفت إلى اختلاف صورهن فى الخط لأن فيه ما قد أثبت فى موضع ، وحذف من نظيره لغير ما علة كقوله: «لَأُعَذِّبَنَّهُ»^(١) ، «أَوْ لَأَذْحَكَنَّهُ»^(٢) كتب الأول بغير ألف، والثانى بزيادة ألف، ولفظهما واحد ، فحملة على هذا .

وروى عنه حفص «جَزءا» ساكن الزاى مهموزا ، وهزواً وكفواً بالواو من غير همز اتباعاً للسواد»^(٣).

٢ - بين الزاى والسين :

يقول ابن خالويه : " ... وقيل: أصل الزاى فى الرجز السين كما تقول العرب : "الأزد" و"الأسد"^(٤).

(١) النمل / ٢١ .

(٢) النمل / ٢١ .

(٣) كتاب الحجة ص ٨٢ ، وينظر توثيق هذه القراءات فى كتاب السبعة ص ١٥٩، و ١٦٠ .

(٤) الحجة ص ٣٥٥ .

وذكر ابن منظور أن الأسد لغة في الأزدي، يقال : "هم الأسد"
، "أسد شنوءة"^(١).

وبين الزاى والسين قرابة صوتية تسوغ الإبدال بينهما فهما
متفقان فى المخرج إذ إنهما من طرف اللسان وفويق الثنايا^(٢) وهما
متحدان فى صفات: الرخاوة، والاستفال، والانفتاح والإصمات.

ثانيا: الإبدال فى الحركات :

الإبدال فى الحركات: هو إبدال حركة من أخرى، وذلك كإبدال
الفتحة من الكسرة، أو الكسرة من الضمة، أو الفتحة من الضمة.
والتبادل بين الحركات على المستوى اللهجى قد وقع فى اللغة
العربية، فلقد وجدنا قبيلة ما تؤثر حركة معينة فى لفظ بعينه بينما
تؤثر قبيلة أخرى فى نفس اللفظ حركة أخرى وأمثلة ذلك كثيرة
ومتنوعة:

١ - فمنها ما وقع التبادل فيه بين الفتحة والكسرة مثل
"الحج" بفتح الحاء لأهل العالية، وبكسرها لنجد^(٣)، ومثل "حصاد"
بفتح الحاء لنجد زتميم^(٤) وبكسرها للحجاز^(٥) ومثل "ولاية" بفتح

(١) اللسان ١ / ٧٧ (أسد) والمعجم الكامل فى لهجات الفصحى ص ٢٢ .

(٢) الكتاب ٤ / ٤٣٣ .

(٣) البحر ٣ / ١٠، والإتحاف ١٧٨ .

(٤) البحر ٤ / ٢٣٤، والمزهر ٢ / ٢٧٦ .

(٥) زاد المسير ٣ / ٩٢، و٩٣، والمزهر ٢ / ٢٧٦ .

الواو للحجاز^(١)، وبكسر الواو وفتحها لتميم^(٢)، ومثل "الوتر" بكسر الواو لتميم^(٣)، وبفتحها للحجاز^(٤).

٢ - ومنها ما وقع فيه التبادل بين الفتح والضم مثل "قَرَح" بفتح القاف للحجاز^(٥) وبضمها لتميم^(٦) وغير ذلك من أمثلة أخرى.

٣ - ومنها ما وقع فيه التبادل بين الكسر والضم مثل "رضوان" بضم الراء لقيس وتميم^(٧)، وبكسرها لقريش^(٨)، والحجاز^(٩)، وغير ذلك من أمثلة أخرى.

وقد ورد في كتاب الحجة كلمات حدث فيها إبدال حركة من أخرى والمعنى واحد وعزى ذلك إلى اختلاف اللهجات وهذه الكلمات بيانها كما يلي:

-
- (١) المزهر ٢ / ٢٧٧ .
 - (٢) المزهر ٢ / ٢٧٧ .
 - (٣) المزهر ٢ / ٢٧٧ ، والإتحاف ٤٣٨ .
 - (٤) الأمالي ١ / ٢٨٢ ، وزاد المسير ٨ / ٢٣٨ ، والمزهر ٢ / ٢٧٧ .
 - (٥) معاني القرآن للفراء ١ / ٢٣٤ ، والكشف ١ / ٣٥٦ .
 - (٦) لغات القبائل الواردة في القرآن ١ / ٦١ .
 - (٧) المصباح ٢٢٩ ، والمزهر ٢ / ٢٧٦ ، والبحر ٢ / ٣٩٨ .
 - (٨) زاد المسير ١ / ٣٠٩ .
 - (٩) المزهر ٢ / ٢٧٦ ، والبحر ٢ / ٣٩٨ .

١ - فى الأفعال :

أ - بين الفتح والكسر :

كلمة «يَحْسِبُهُمُ» قال تعالى: «...يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ...»
البقرة/ ٢٧٣ .

يقول ابن خالويه : "قرأ بكسر السين وفتحها، فالحجة لمن فتح: أنه أتى بلفظ الفعل المضارع على ما أوجبه بناء ماضيه، لأن "فعل" بالكسر يأتى مضارعه على "يفعل" بالفتح قياس مطرد، والحجة لمن كسر : أن العرب استعملت الكسر والفتح فى مضارع أربعة أفعال: يحسب، وينعم، ويبئس، ويبيس، حتى صار الكسر فيهن أفصح" (١).

والذين قرءوا بكسر السين «يَحْسِبُهُمُ» هم: ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، والكسائي، والذين قرءوا بفتحها هم: ابن عامر، وعاصم، وحمزة (٢).

وعزى فتح السين إلى تميم، وعزى كسرها إلى الحجاز (٣) وإلى قريش (٤).

(١) الحجة ص ١٠٣ .

(٢) الإتحاف ١٦٥ .

(٣) البحر ٢ / ٣٢٨ ، والإتحاف ١٦٥ .

(٤) لغات القبائل الواردة فى القرآن ١ / ١٤٨ .

ويعد هذا من تداخل اللغات، أو تركيب اللغات، وهو أن يؤخذ الماضي من لغة، والمضارع من لغة أخرى، والتركيب في هذا المثال يكون بأن تميما تقول: حسب يحسب، بكسر العين في الماضي وفتحه في المضارع، وتتطق قبيلة أخرى: حسب يحسب على مثال ضرب، يضرب، والحجاز أخذت الماضي من لغة، والمضارع من لغة أخرى، فانكسر الماضي والمستقبل^(١).

ب - بين الفتح والضم :

كلمة "سَنَفَرُغ" قال تعالى : ﴿ سَنَفَرُغُ لَكُمْ آيَةَ الثَّقَلَانِ ﴾

الرحمن / ٣١ .

يقول ابن خالويه : "يقرأ بالنون مفتوحة وضم الراء، وبالياء مضمومة وفتح الراء ، وقد تقدم القول في أمثاله ما يدل عليه، فأما ضم الراء وفتحها مع النون فلغتان فصيحتان، فأما الضم فعلى الأصل، وأما الفتح فلأجل الحرف الحلقى"^(٢).

واللذان قرءا بفتح الراء مع النون ﴿سَنَفَرُغ﴾ هما: الأعرج، وقتادة^(٣) والذين قرءوا بضم الراء مع النون هم: ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وعاصم^(٤).

(١) اللهجات العربية في التراث ٥٨٧ .

(٢) الحجة ٣٣٩ .

(٣) مختصر في شواذ القرآن صـ ١٥٠ .

(٤) كتاب السبعة صـ ٦٢٠ .

و"فَرَّغَ: من الشغل "فَرَّوْغًا" من باب قَعَدَ، و"فَرَّغَ يَفَرِّغُ" من باب تَعَبَ لغة لبنى تميم^(١).

وذكر الدكتور إبراهيم أنيس أن «سنفرغ» بفتح الراء لغة تميم^(٢) وجاء في المعجم الكامل في لهجات الفصحى أن فرغ يفرغ من باب فرح لغة تميم، ولغة أهل الحجاز : "فرغ يفرغ" من باب نصر^(٣).

وجاء فيه أيضا أن فَرَّغَ يَفَرِّغُ من باب فَرِحَ لغة تميم. وقال أبوحاتم هي لغة سفلى مضر، ولغة الحجاز: "فَرَّغَ يَفَرُّغُ من باب نَصَرَ"^(٤).

وعزا المبرد إلى أهل العالية وما والاها ، وهم قریش "فَرَّغَ يَفَرُّغُ" بفتح الراء في الماضي، وضمها في المضارع^(٥).

"والذى عزاه المبرد إلى أهل العالية وما والاها عزاه أبوحيان إلى الحجاز في تفسيره لقوله تعالى «سنفرغ لكم» ولا مناقضة في هذا فقد كانت الأماكن الجغرافية عند العرب غير محددة تحديدا كافيا، فقد كانوا يطلقون قریشا ويريدون الحجاز، أو العالية

(١) المصباح : ٤٧٠ (فرغ) .

(٢) في اللهجات العربية ص ٩٩ .

(٣) ينظر ص ٣٣٧ نقلا عن لهجة تميم (د) ص ١٧٥ بتصرف .

(٤) السابق نفس الصفحة نقلا عن معجم تميم "فرغ" .

(٥) اللهجات العربية في التراث ٥٦٦ نقلا عن الكامل ١/ ١٥، ١٦ .

ويريدون قريشا، أو كنانة، أحيانا ويريدون الحجاز كما قرأ قتادة والأعرج بالنون وفتح الراء، وهى تميمية، وقد ذكر أبو حاتم أنها لغة سفلى مضر .

وأرى أنه لا خلاف بين تميم وسفلى مضر، لأن سفلى مضر هى القبائل النجدية، أما عليا مضر فهى قريش وقيس، ويلاحظ أن لهجة تميم أثرت الفتح لوجود حرف حلقى وهو الغين لأنه كثيرا ما يقتضى الفتحة^(١).

جـ - بين الكسر والضم:

كلمة "فَاعْتَلَوْه" قال تعالى: ﴿حُذُوهُ فَاعْتَلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ﴾^(٢) الدخان/ ٤٧ .

يقول ابن خالويه: "يقرأ بكسر التاء وضمها وهما لغتان"^(٣) وقرأ نافع، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب ﴿فَاعْتَلَوْهُ﴾ بضم التاء وقرأ باقى القراء بكسرها^(٤).

قال الأزهري: هما لغتان فصيحتان معناه خذوه فاقصفوه كما يقصف الحطب^(٥)، وذكر مكى أنهما لغتان^(٥).

(١) اللهجات العربية فى التراث ص ٥٦٦، و ٥٦٧ .

(٢) الحجة ص ٣٢٤ .

(٣) كتاب السبعة ٥٩٢ ، والنشر ٣٧١ / ٢ .

(٤) اللسان ٢٨٠١ / ٤ (عتل) .

(٥) الكشف ٢٦٤ / ٢ .

كما جاء في إبراز المعاني أن الضم والكسر في تاء "فاعتلوه"
لغتان وهو القود بعنف^(١).

كلمتا «يُعرِشون» و«يُكفون» في قوله تعالى: «وَمَا
كَانُوا يَعْرِشُونَ» الأعراف/ ١٣٧ .

وقوله تعالى: «عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ...»
الأعراف/ ١٣٨ .

يقول ابن خالويه: "يقرآن بضم عين الفعل وكسرهما وهما
لغتان والحجة لذلك: أن كل فعل انفتحت عين ماضيه جاز كسرهما
وضمهما في المضارع قياسا إلا أن يمنع السماع من ذلك، وما
كانت عين ماضيه مضمومة لزمّت الضمة عين مضارعه إلا أن
يشذ شيء من الباب فلا حكم للشاذ، فالأصل ما ذكرته لك فاعرفه
إن شاء الله"^(٢).

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائي وحفص
عن عاصم «يُعرِشون» بكسر الراء، وقرأ عاصم في رواية
أبي بكر، وابن عامر: بضم الراء^(٣).

(١) ص ٦٨٢ .

(٢) الحجة ص ١٦٢ .

(٣) السبعة ص ٢٩٢ .

وقرأ ابن كثير، ونافع، وعاصم، وابن عامر،
وأبو عمرو «يَعْكُون» بضم الكاف، وروى عبد الوارث عن
أبي عمرو: «يَعْكُون» بكسر الكاف، وقرأ حمزة والكسائي :
«يَعْكُون» بالكسر^(١).

وعزى كسر الراء «يَعْرِشُون» إلى أهل الحجاز^(٢)، وضمها
«يَعْرِشُون» إلى تميم^(٣).

وعزى كسر الكاف «يَعْكُون» إلى أسد، والضم إلى باقي
العرب^(٤).

كلمة «يَطْمِئِنُّ» في قوله تعالى : «لَمْ يَطْمِئِنِّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ
وَلَا جَانٌّ» الرحمن / ٧٤ .

يقول ابن خالويه : "يقرأ بضم الميم وكسر ها، وهما لغتان
معناهما: الافتضاض للأبكار، وهذا دليل على أن الجن تنكح"^(٥).

(١) نفسه : نفس الصفحة.

(٢) البحر ٣٧٧ / ٤ .

(٣) المعجم الكامل في لهجات الفصحى ٢٩٢ .

(٤) الإتحاف ص ٢٢٩ .

(٥) الحجة ص ٣٤٠ . ٩٣

قال ابن مجاهد : قرأ الكسائي وحده : ﴿يَطْمِئْنَ﴾ بضم الميم
فى الحرف الأول (٥٦) وبكسرها فى الحرف الثانى (٧٤) كذلك
أخبرنى محمد بن يحيى الكسائى عن أبى الحارث عنه . وقال
أبو عبيد : كان الكسائى يرى الضم فىهما والكسر ، وربما كسر
إحدهما وضم الأخرى . وأخبرنى أحمد بن يحيى ثعلب عن سلمة
بن عاصم عن أبى الحارث عن الكسائى : ﴿يَطْمِئْنَ﴾ يقرؤهما
بالرفع والكسر جميعا لا يبالى كيف قرأهما .

وقرأ الباقون ﴿يَطْمِئْنَ﴾ بكسر الميم فىهما^(١) . والضم
والكسر لغتان فى مضارع طمئ كلمز^(٢) .

كلمة ﴿فَانْشُرُوا﴾ فى قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ أَنْشُرُوا فَأَنْشُرُوا﴾

المجادلة / ١١ .

يقول ابن خالويه : "يقرأ بضم الشين وكسرها ، وهما لغتان مثل
يلمزون ، ويلمزون ، وقد ذكر ، وأصل النشوز : التحرك والارتفاع ،
والتحول"^(٣) .

(١) السبعة ص ٦٢١ .

(٢) الإتحاف ص ٤٠٧ .

(٣) الحجة ص ٣٤٤ .

قرأ المدنيان، وابن عامر، وعاصم، إلا أبا حمدون: «وإذا قيل
انشزوا فانشزوا» بضم الشين فيهما، الباقون: بالكسر^(١) وضم الشين
لغة أهل الحجاز، والكسر لغة غيرهم^(٢).

٢- في الأسماء:

أ- بين الفتح والكسر:

كلمة «حَصَاد» في قوله تعالى: «وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ»
الأنعام/ ١٤١ .

يقول ابن خالويه: "يقرأ بفتح الحاء وكسرها فرقا بين الاسم
والمصدر على ما قدمنا القول فيه، أو على أنهما لغتان"^(٣).

قرأ ابن عامر، وعاصم، وأبو عمرو: بفتح الحاء، وقرأ ابن
كثير، ونافع، وحمزة، والكسائي بكسرها^(٤).

وعزيت القراءة بفتح الحاء «حَصَاد» لنجد وتميم^(٥)، كما عزى
كسر الحاء «حِصَاد» لأهل الحجاز^(٦).

(١) الكنز في القراءات العشر للواسطي ص ٢٤٨ .

(٢) اللسان ٦ / ٤٤٢٥ (نثز) .

(٣) الحجة ص ١٥١، و ١٥٢ .

(٤) النشر ٣ / ٦٧، ٦٨ .

(٥) البحر ٤ / ٢٣٤، وزاد المسير ٣ / ٩٢، ٩٣، والمزهر ٢ / ٢٧٦ .

(٦) نفس المصادر السابقة : نفس الصفحات .

ويلاحظ أن القراءة بفتح الحاء قد عزيت لنجد وتميم، ولا غرابة في ذلك، فتميم هي إحدى قبائل نجد .

— كلمة «وَلَايَتِهِمْ» في قوله تعالى: «مَا لَكُمْ مِنْ وَلِيٍّ لَهُمْ مِنْ

شَيْءٍ» الأنفال/ ٧٢ .

يقول ابن خالويه: "يقرأ بفتح الواو وكسرها هاهنا، وفي الكهف^(١) .

فالحجة لمن فتح: أنه أراد : ولاية الدين، والحجة لمن كسر أنه أراد: ولاية الإمرة، وقيل: هما لغتان، والفتح أقرب^(٢) .

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وعاصم، والكسائي: «وَلَايَتِهِمْ» بفتح الواو ، وقرأ حمزة بكسر الواو^(٣) .

— كلمة : "الْوَلَايَة" في قوله تعالى: «هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقُّ»

الكهف/ ٤٤ .

يقول ابن خالويه: "يقرأ بفتح الواو وكسرها فالحجة لمن فتح أنه جعله مصدرا من قولك: وَلِيٌّ بَيْنَ الْوَلَايَةِ . والحجة لمن كسر:

(١) الآية رقم ٤٤ .

(٢) الحجة ص ١٧٣ .

(٣) كتاب السبعة ص ٣٠٩ . ٩٥

أنه جعله مصدرا من قولك: وآل بَيِّن الولاية، أو من قولك: وآلَيْتُهُ
مُؤَالَاةً وَوَلَايَةً، وقيل: هما لغتان، كقولك: الوكالة، والوكالة^(١).

وذكر ابن السكيت أن "الولاية والولاية" في النصر، يقال هم
على ولاية جميعا^(٢)، وذكر ابن سيده أن الولاية والولاية في
النصرة ويقال هم على ولاية^(٣).

وقال اليزيدي: "أهل الحجاز: الولاية في الدين، والتولى
مفتوح، وفي السلطان مكسور، وتميم تكسر الجميع"^(٤).

— كلمة «نَعَمْ» قال تعالى: ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا

قَالُوا نَعَمْ﴾ الأعراف/ ٤٤ .

يقول ابن خالويه: "يقرأ بكسر العين وفتحها. فالحجة لمن
كسر: أنه فرق بين هذه اللفظة التي يجاب بها، وبين النعم من
الإبل إذا نكر ووقف عليه. والحجة لمن فتح: أنه قال: هما لغتان
فاخترت الفتح لخفته، ولم ألتفت إلى موافقة اللفظ.

فإن قيل: فما الفرق بين نَعَمْ وبَلَى؟ فقل: الفرق بينهما: أن
"نَعَمْ" يلفظ بها في جواب الاستفهام، و"بَلَى" يلفظ بها في جواب
الجحد"^(٥).

(١) الحجة ص ٢٢٤، وينظر عزو القراءتين في السبعة ص ٣٠٩ .

(٢) إصلاح المنطق ١١١ بتصرف .

(٣) المخصص ٩٠ / ١٥ .

(٤) المزهر ٢ / ٢٧٧ .

(٥) الحجة ص ١٥٤ و ١٥٥ .

قرأ الكسائي بكسر العين وافقه الشنوبذى ، والباقون بالفتح^(١)
وعزى الكسر (نعم) إلى كنانة وهذيل^(٢)، وقريش^(٣)، وعزى الفتح
"نعم" إلى باقى العرب^(٤).

— كلمة «غَلْظَةٌ» قال تعالى: «...وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً...»

التوبة/ ١٢٣ .

يقول ابن خالويه: "يقرأ بكسر الغين وفتحها، وهما لغتان،
والكسر أكثر، وأشهر"^(٥).

قرأ عاصم : «غَلْظَةٌ» بفتح الغين، وقرأ الباكون «غِلْظَةٌ»

بكسرها^(٦) وعزى كسر الغين لبنى أسد، وفتحها لأهل الحجاز^(٧) .

— كلمة «سَيِّئَاءٌ» قال تعالى: «وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ»

المؤمنون/ ٢٠ .

(١) الإتحاف صـ ٢٢٤ .

(٢) الإتحاف صـ ٢٢٤ .

(٣) البحر ٤ / ٢٨٧ .

(٤) الإتحاف صـ ٢٢٤ .

(٥) الحجة صـ ١٧٩ .

(٦) السبعة صـ ٣٢٠ .

(٧) البحر ٥ / ١١٥، والإتحاف ص ٢٤٥، والمعجم الكامل فى لهجات الفصحى

٣٢٥ نقلا عن معجم تميم "غلظ" ٩٧٠ .

يقول ابن خالويه : "يقرأ بكسر السين وفتحها، وهما لغتان وأصله سرياني، فالحجة لمن كسر قوله تعالى: ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾^(١) والحجة لمن فتح : أنه يقول: لم يأت عن العرب صفة في هذا الوزن إلا بفتح أولها، كقولهم : (حمرأ) و(صفرأ) فحملته على الأشهر من ألفاظهم، ومعناه: ينبت الثمار"^(٢).

قرأ ابن كثير، ونافع، وأبوعمر: ﴿طُورِ سِينَاء﴾ مكسورة السين، وقرأ عاصم، وابن عامر، وحمزة، والكسائي مفتوحة السين^(٣).

وعزى كسر السين في "سيناء" إلى بني كنانة^(٤)، وعزى فتح السين في "سينين" إلى التميميين والبكريين^(٥).

— كلمة ﴿الْوَتْرَ﴾ قال تعالى: ﴿وَالشَّفْعَ وَالْوَتْرَ﴾ الفجر/ ٣ .

يقول ابن خالويه: "يقرأ بفتح الواو وكسرها، فالحجة لمن كسر: أنه جعل الشفع: الزوج، وهما آدم وحواء، والوتر: الفرد، وهو: الله عز وجل، وقيل: بل الشفع: ما ازدوج من الصلوات

(١) التين / ٢ .

(٢) الحجة ص ٢٥٦ .

(٣) السبعة ٤٤٤ و ٤٤٥، والنشر ٣/ ٢٠٣، والإتحاف ٣١٨ .

(٤) النشر ٣/ ٢٠٣، والإتحاف ٣١٨ .

(٥) البحر ٨/ ٤٨٩، ٤٩٠ .

كالغداة، والظهر، والعصر، والوتر: ما انفرد منها كصلاة
المغرب، وركعة الوتر، والحجة لمن فتح: أنه طابق بين لفظ
الشَّفع ولفظ الوتر، وقيل الفتح والكسر، فيه — إذا كان بمعنى الفرد
— لغتان فصيحتان فالفتح لأهل الحجاز، والكسر لتميم^(١).

وقرأ حمزة، والكسائي، وخلف «والوتر» بكسر الواو، وقرأ
باقي القراء بفتحها^(٢).

وعزا الفراء الكسر لتميم وأسد، والفتح لأهل الحجاز^(٣)،
وعزا البناء للفتح لقريش، والكسر لتميم^(٤)، كما عزا السيوطي
الفتح لأهل الحجاز والكسر لتميم^(٥).

ومما سبق يتضح لنا أن الفتح عزى للحجاز ولقريش ولا
غرابية في ذلك، فقريش إحدى قبائل الحجاز^(٦).

وكذلك عزى الكسر لتميم وأسد ولا غرابية في ذلك أيضا فهما
من قبائل نجد^(٧)، وقال ابن منظور:

(١) الحجة ٣٦٩، ٣٧٠.

(٢) الإتحاف ٣٩٥.

(٣) معاني القرآن ٣/ ٢٦٠.

(٤) الإتحاف ٣٩٥.

(٥) المزهر ٢/ ٢٧٧.

(٦) في اللهجات العربية ص ٦٠.

(٧) نفسه: نفس الصفحة.

"قال اللحياني: أهل الحجاز يفتحون فيقولون وَتر، وتميم وأهل نجد يكسرون فيقولون «وِتر» ابن السكيت: قال يونس : أهل العالية يقولون: الوتر في العدد والوتر في الذَّلْ، قال: و تميم تقول وتر ، بالكسر في العدد والذحل سواء، الجوهري: الوتر بالكسر، الفرد، والوتر، بالفتح: الذَّلْ، هذه لغة أهل العالية ، فأما أهل الحجاز فبالضد منهم، وأما تميم فبالكسر فيهما"(١).

وذكر الأصمعي أن "كل فرد وتر، وأهل الحجاز يفتحون الوتر، ويكسرون الوتر من الذحل، ومن تحتهم من قيس و تميم يسوون بينهما"(٢).

ب - بين الفتح والضم:

— كلمة «مِسرَة» في قوله تعالى: «... فَتَنْظِرُهُ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ...» البقرة/ ٢٨٠ يقول ابن خالويه : "يقرأ بضم السين وفتحها، وهما لغتان، والفتح أفصح وأشهر"(٣).

وقرأ نافع «مِسرَة» بضم السين، وقرأ الباقر بفتحها(٤)، وعزا النحاس(٥)، وأبو حيان (٦) القراءة بفتح السين «مِسرَة» إلى نجد ، كما

(١) اللسان ٦ / ٤٧٥٨ "وتر" .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٤ / ٢١٨ .

(٣) الحجة ص ١٠٣ .

(٤) النشر ٢ / ٤٤٥ .

(٥) إعراب القرآن ١ / ٣٤٣ .

(٦) البحر المحيط ٢ / ٣٤٠ .

عزا أبوحيان^(١)، والبناء^(٢) القراءة بضم السين «ميسرة» إلى الحجاز .

— كلمة «قَرَحَ» في قوله تعالى: «إِنْ يَمَسُّكُمْ قَرَحٌ فَقَدْ

مَسَّ الْقَوْمَ قَرَحٌ مِثْلُهُ» آل عمران / ١٤٠ .

يقول ابن خالويه: يقرأ بفتح القاف، وضمها، فالحجة لمن فتح أنه: أراد الجراح بأعيانها، والحجة لمن ضم: أنه أراد ألم الجراح، وقيل هما لغتان فصيحتان كالجهد والجهد^(٣) .

وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وابن عامر، ونافع: «قَرَحَ» بفتح القاف وقرأ عاصم في رواية أبي بكر، وحمزة، والكسائي: «قَرَحَ» بضم القاف وروى حفص عن عاصم: «قَرَحَ» مفتوحة مثل أبي عمرو^(٤) .

واختلف العلماء هل معنى القراءتين واحد أم لا؟ فمنهم من ذكر أن المعنى مختلف بين القراءتين حيث قال أبو عبيدة: "القَرَح بالفتح: الجراح والقتل، والقَرَح بالضم: ألم الجراح"^(٥) .

(١) نفسه: نفس الصفحة .

(٢) الإتحاف ١٦٦ .

(٣) الحجة ص ١١٤ .

(٤) كتاب السبعة ص ٢١٦ بتصرف .

(٥) مجاز القرآن تعليق د/ محمد فؤاد سركين — مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٠٤/١

وقال ابن قتيبة : "والْقَرَح بالضم: يقال إنه وجع الجراحات،
والْقَرَح: الجراحات بأعيانها"^(١).

وقال ابن منظور: "وقيل هو بالضم الاسم، وبالفتح
المصدر"^(٢).

ومن العلماء من ذكر أنهما بمعنى واحد كالزجاج^(٣)، وابن
السكيت^(٤)، وصاحب المصباح^(٥)، والتفريق الذي ذهب إليه بعض
العلماء لا يسلم به لأنهما لغتان فقد عزى "قَرَح" بفتح القاف لأهل
الحجاز^(٦)، كما عزى "قُرَح" بضم القاف إلى تميم^(٧).

— كلمة «كَرَمًا» في قوله تعالى: «لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا

النِّسَاءَ كَرِهًا» النساء/ ١٩ .

(١) أدب الكاتب تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة ط/٢ — ١٤٠٥هـ —
١٩٨٥م ص ٣١١ .

(٢) اللسان ٩ / ٣٥٧١ "قَرَح" .

(٣) معاني القرآن وإعرابه ١ / ٤٧٠ .

(٤) إصلاح المنطق ص ٩٠ .

(٥) المصباح المنير "قَرَح" .

(٦) معاني القرآن للفراء ١ / ٢٣٤ ، ومعاني القرآن للأخفش دراسة وتحقيق
د/عبد الأمير محمد أمين الورد — عالم الكتب ، ط ١ — ١٤٠٥هـ — ١٩٨٥م

— ١ / ٤٢١ ، والكشف ١ / ٣٥٦ .

(٧) لغات القبائل ١ / ٦١ . ١٠٢

يقول ابن خالويه: "يقرأ بفتح الكاف، وضمها، فقل هما:
لغتان بمعنى وقيل: الفتح للمصدر، والضم للاسم، وقيل: الفتح لما
كرهته، والضم لما استكرهت عليه، أو شق عليك" (١).

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وعاصم وابن عامر:
﴿كُرْها﴾ بفتح الكاف، وقرأ حمزة والكسائي: ﴿كُرْها﴾ بضم الكاف (٢).

ومن العلماء من فرق بين ﴿كُرْها﴾ بضم الكاف و﴿كَرْها﴾
بفتحها، فقد ذكر الفراء أن الكَرْه ما أكرهت نفسك عليه، والكُرْه ما
أكرهك غيرك عليه تقول: جئتكَ كَرْها، وأدخلتني كُرْها (٣).

وقيل الفتح المصدر والضم الاسم ولكن هذا التفريق لا يسلم
به لأنهما لغتان .

قال النحاس: "والحجة في هذا قول من يعرف ويعتد به أن
"الكَرْه والكُرْه" لغتان بمعنى واحد" (٤).

وجاء في إبراز المعاني أن ﴿كُرْها﴾ بضم الكاف وفتحها،
والضم والفتح في هذا لغتان كالضَّعْف والضَّعْف (٥).

(١) الحجة ص ١٢٢ .

(٢) كتاب السبعة ص ٢٢٩ ، والنشر ٢ / ٢٤٨ .

(٣) اللسان ٥ / ٣٨٦٥ "كره" .

(٤) إعراب القرآن ٤ / ١٦٤ .

(٥) إبراز المعاني ٤١٤ .

كما ورد في اللسان أنه "قد أجمع كثير من أهل اللغة أن الكره
والكره لغتان" (١).

— كلمة «البخل» في قوله تعالى: «وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ»
النساء/ ٣٧ .

يقول ابن خالويه: "يقرأ بضم الباء وإسكان الخاء، وبفتحهما،
وهما لغتان، كالعَدَم والعَدَم، والحَزَن والحَزَن، قيل التحريك
المصدر والإسكان الاسم" (٢).

قرأ حمزة. والكسائي ، وخلف «البخل» بفتح الباء والخاء،
وقرأ باقي القراء بضم الباء وسكون الخاء (٣).

وعزى «البخل» بضم الباء وإسكان الخاء إلى تميم (٤)، وقد
ذكر أبوحيان أن تحريك الأصوات الحلقية بالفتحة من لهجة لبعض
بكر بن وائل (٥).

(١) اللسان ٥/ ٣٨٦٥ "كره".

(٢) الحجة ص ١٢٣ .

(٣) شرح طيبة النشر في القراءات العشر لأبي القاسم النبوي — تحقيق
عبد الفتاح السيد — القاهرة — الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٦هـ

— ١٩٨٦ م : ٤ / ٢٠٦ .

(٤) المعجم الكامل في لهجات الفصحى ص ٤٥ نقلا عن معجم تميم "بخل".

(٥) نفسه : نفس الصفحة نقلا عن اللهجات في القراءات ١١٣ .

— كلمة «بَزَعَمِهِمْ» فى قوله تعالى: ﴿...فَقَالُوا هَذَا إِلَهُ

بَزَعَمِهِمْ وَهَذَا لِشُرَكَائِنَا﴾ الأنعام/ ١٣٦ .

يقول ابن خالويه : "يقرأ بضم الزاى وفتحها ، فقيـل: هما لغتان. وقيل الفتح للمصدر، والضم للاسم" (١).

وقرأ الكسائى وحده : «بَزَعَمِهِمْ» مضمومة الزاى، وقرأ الباـقون: «بَزَعَمِهِمْ» بفتح الزاى (٢).

وعزى "الزَّعم" بفتح الزاى للحجاز، كما عزى "الزَّعم" بضم الزاى إلى أسد (٣).

— كلمة «ضَعَفَا» فى قوله تعالى: ﴿...وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ

ضَعَفًا...﴾ الأنفال/ ٦٦ .

يقول : "يقرأ بضم الضاد وفتحها، وهما لغتان" (٤) وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائى بضم الضاد، وقرأ عاصم، وحمزة بفتح الضاد (٥).

(١) الحجة صـ ١٥٠ .

(٢) كتاب السبعة صـ ٢٧٠ .

(٣) ينظر البحر ٤/ ٢٢٧ والمصباح "زعم" .

(٤) الحجة صـ ١٧٢ .

(٥) الإتحاف ٢٣٨ .

وقد فرق بعض العلماء بين الضم والفتح فقليل الضَّعْف بالضم
فى الجسد، و"الضَّعْف" بالفتح فى الرأى والعقل^(١).

وهذا لا يسلم به فهما لغتان فقد قال الفراء الضم لغة قریش
والفتح لغة تمیم^(٢)، وقيل إن الفتح لتمیم، والضم للحجاز^(٣)، وقریش
إحدى قبائل الحجاز.

— كلمة «لَدُنْ» من قوله تعالى: «... مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا»
الكهف / ٧٦ .

يقول : "إذا أفردت «لَدُنْ» ففيها ثلاث لغات: لَدُنْ، وَلَدُنْ،
وُلْدُنْ"^(٤).

— كلمة «وَلَدًا» من قوله تعالى: «مَالًا وَوَلَدًا» مريم / ٧٧ .

يقول ابن خالويه: "يقرأ بفتح الواو واللام، وبضم الواو
وإسكان اللام هاهنا فى أربعة مواضع^(٥) وفى "الزخرف"^(٦) وفى
"نوح"^(٧)، فالحجة لمن فتح: أنه أراد: الواحد من الأولاد .

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢ / ١٩٦، والبحر ٤ / ٥١٨ .

(٢) زاد المسير ٣ / ٢٥٧ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢ / ١٩٦، والبحر ٤ / ٥١٨، والمصباح "ضعف".

(٤) الحجة ص ٢٢٨ .

(٥) ينظر آيات ٨٨ ، ٩١ ، ٩٢ من سورة مريم .

(٦) الزخرف / ٨١ .

١٠٦

(٧) نوح / ٢١ .

والحجة لمن ضم : أنه أراد جمع "وَلَدَ" ، وقيل هما: لغتان في الواحد كقولهم : عُدَمَ وَعَدَمَ ، وَسَقَمَ وَسَقَمَ" (١) .

ويقول ابن خالويه أيضا : "قوله تعالى: ﴿مَالُهُ وَمَوْلَدُهُ﴾" (٢)

يقرأ بضم الواو وإسكان اللام، وبفتحةا معا، فالمفتوح واحد والضم جمع، كما قالوا: أَسَدَ وَأَسَدٌ، وقيل: هما لغتان في الواحد كما قالوا: عُدَمَ وَعَدَمَ" (٣) .

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: ﴿وَوَلَدًا﴾ بالفتح، وفي سورة نوح ﴿مَالَهُ وَمَوْلَدَهُ﴾ قراءة بضم الواو وسكون اللام ، وقرأ نافع، وعاصم، وابن عامر بفتح الواو في كل القرآن ، وقرأ حمزة، والكسائي: بضم الواو وسكون اللام في كل القرآن (٤) .

— كلمة ﴿الرَّهْبِ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَضْمَمَ إِلَيْكَ

جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ﴾ القصص / ٣٢ .

يقول ابن خالويه: "يقرأ بضم الراء، وفتحها، وبفتح الهاء، وإسكانها، فقليل: هن لغات ، ومعناها: الفرع" (٥) .

(١) الحجة ص ٢٣٩ .

(٢) نوح / ٢١ .

(٣) الحجة ص ٣٥٣ .

(٤) السبعة ص ٤١٢ .

(٥) الحجة ص ٢٧٧ .

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ، وابن عامر، وحمزة،
والكسائي: «من الرَّهَبِ» مضمومة الراء ساكنة الهاء، وروى
عمرو بن الصباح عن حفص عن عاصم: «من الرَّهَبِ» مفتوحة
الراء، ساكنة الهاء، وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو: «من
الرَّهَبِ» بفتح الراء والهاء^(١) ، وهذه القراءات كلها لغات صحيحة^(٢)
بمعنى الخوف .

— كلمة «فَوَاقٍ» في قوله تعالى: «مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ» ص / ١٥ .

يقول : "يقرأ بضم الفاء وفتحها، فقليل: هما لغتان بمعنى
واحد، وقيل: من ضم أراد : قدر ما بين الحلبتين للناقة ومن فتح
أراد: من راحة"^(٣) .

وقرأ حمزة، وخلف، والكسائي «فَوَاقٍ» بضم الفاء، وقرأ
الباقون بفتحها^(٤) .

ومن العلماء من فرق بين الفتح والضم فقال أبو عبيدة : من
قرأ «من فَوَاقٍ» بالفتح أراد ما لها من إفاقة ولا راحة، ذهب بها

(١) كتاب السبعة ص ٤٩٣، والنشر ٢٣٤ / ٣ .

(٢) شرح الطيبة ١٢٢ / ٥ ، والإتحاف ص ٣٤٢ .

(٣) الحجة ص ٣٠٤ .

(٤) ينظر السبعة ٥٥٢، والكشف ٢ / ٢٣١، والإتحاف ٣٧٢ .

إلى إفاقة المريض ومن ضمها جعلها فوق الناقاة، وهو ما بين
الحلبتين ، يريد ما لها من انتظار^(١) .

والقول بالفرق بين الفتح والضم هنا غير مرضى، لأنهما
لغتان منسوبتان، حيث عزى الضم لتميم وأسد، وقيس^(٢)، وعزى
الفتح لأهل الحجاز^(٣) .

ومن العلماء من ذهب إلى أنهما لغتان بمعنى واحد، وهو قول
الفراء، وابن قتيبة، والزجاج^(٤)، وابن السكيت^(٥) .

— كلمة «نُصِبَ» في قوله تعالى: «يُنْصَبُ وَعَذَابٌ» ص/٤١ .

يقول ابن خالويه: "أجمع القراء على ضم النون، إلا ما رواه
حفص عن عاصم بالفتح وهما لغتان، معناهما: ما يصيب البدن من
تعب الضر، وألم الوجع"^(٦) .

روى هبيرة عن حفص عن عاصم: «نُصِبَ» منصوبة النون
ساكنة الصاد، وقرأ الباقر، وأبو بكر عن عاصم: «نُصِبَ» بضم

(١) اللسان ٥/ ٣٤٨٩ "فوق" .

(٢) شرح طيبة النشر ٥/ ١٩٠، والإتحاف ٣٧٢ .

(٣) الإتحاف ٣٧٢، ولغة تميم ٢٤٠ .

(٤) زاد المسير ٦/ ٣٢٢ .

(٥) إصلاح المنطق ١٠٧ .

(٦) الحجة ص ٣٠٤ .

النون وتسكين الصاد^(١)، والنَّصْبُ، والنَّصْبُ لغتان كالضَّعْف
والضَّعْف^(٢).

— كلمة «شُرِبَ» من قوله تعالى: «شُرِبَ أَهْلِيمِ» الواقعة/ ٥٥ .

يقول ابن خالويه : "يقرأ بفتح الشين وضمها، فالحجة لمن
فتح: أنه أراد به المصدر، والحجة لمن ضم: أنه أراد: الاسم وقيل
هما لغتان، معناهما واحد"^(٣).

وقرأ نافع، وعاصم، وحمزة، وأبوجعفر بضم الشين، وافقهم
الحسن، والأعمش، وقرأ الباقر بفتحها، وهما مصدر شرب،
كالأكل، وقيل بالفتح المصدر، والضم الاسم^(٤).

والتفريق بين الفتح والضم لا يسلم به لأنهما لغتان فقد ورد
أن أهل الحجاز يقولون: هذا ماء شُرِب^(٥)، كما ورد أن أكثر أهل
نجد يقولون : «شربا» بالفتح^(٦).

— كلمة «وَدَّ» من قوله تعالى: «وَدَّ وَلَا سُوءًا وَلَا يَغُوتُ»
نوح/ ٢٣ .

(١) كتاب السبعة ص ٤٥٤ .

(٢) إبراز المعاني ٧٠٦ .

(٣) الحجة ص ٣٤١ .

(٤) الإتحاف ص ٤٠٨ .

(٥) المزهري ٢/ ٢٧٧، والمعجم الكامل في لهجات الفصحى ص ٢٣١ .

(٦) المعجم الكامل في لهجات الفصحى ٢٣١ نقلا عن معجم تميم "شرب".

يقول ابن خالويه : "يقرأ بفتح الواو والضم، وهما لغتان فى اسم الصنم، وقيل الضم فى المحبة، والفتح فى اسم الصنم" (١) .

وروى أبو الربيع عن بريدة عن أبي بكر عن عاصم : «وُدا» مضمومة الواو، وروى يحيى عن أبي بكر عن عاصم، وحفص عن عاصم : «وُدا» مثل أبي عمرو (٢) .

وعزى «وُدا» بضم الواو إلى تميم، كما عزى «وُدا» بفتح الواو إلى أهل الحجاز (٣) .

جـ - بين الكسر والضم :

— كلمة «رَضَوَان» من قوله تعالى : «وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ» آل عمران / ١٥ .

يقول ابن خالويه : "يقرأ بكسر الراء وضمها، فالحجة لمن كسرهما: أنه مصدر، والأصل فيه رضيت رضى، ثم زيدت الألف والنون، فردت الياء إلى أصلها، كما كان الأصل فى "كفران" كفرا .

ولمن ضم حجتان: إحداهما: أنه فرق بين الاسم والمصدر .

(١) الحجة ٣٥٣ .

(٢) السبعة ٦٥٣ .

(٣) المعجم الكامل فى لهجات الفصحى ٤٨٧ نقلا عن معجم تميم "ودد" .

والثانية: أن الضم في المصدر مع زيادة الألف والنون أكثر وأشهر كقوله: «فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيدٍ»^(١) ، «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ»^(٢) .

فإن قيل: فإن من قرأ بالضم هاهنا قرأ بالكسر في قوله: «مَنْ أَتَّبَعَ رِضْوَانَهُ»^(٣) فقل: إنما أتى باللغتين ليعلمك جوازهما^(٤) .

وقرأ أبو بكر عن عاصم «رِضْوَانٍ» بضم الراء، وقرأ باقي القراء بكسرها^(٥) .

وعزى كسر الراء «رِضْوَانٍ» إلى قریش^(٦)، وأهل الحجاز^(٧)، كما عزى ضم الراء «رِضْوَانٍ» إلى تميم^(٨) .

(١) الأنبياء / ٩٤ .

(٢) الرحمن / ٥ .

(٣) المائدة / ١٦ .

(٤) الحجة ١٠٦ .

(٥) التيسير ٨٦، والسبعة ٢٠٢، والإتحاف ١٧٢ .

(٦) زاد المسير ١/ ٣٠٨، ٣٠٩ .

(٧) المزهر ٢/ ٢٧٦، والبحر ٢/ ٣٩٨، وإبراز المعاني ٣٨٣ .

(٨) المزهر ٢/ ٢٧٦، والبحر ٢/ ٣٩٨، والمصباح ٢٢٩ .

— كلمة «خَفِيَّة» فى قوله تعالى: «...تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً...»
الأنعام/ ٦٣ .

يقول ابن خالويه : "يقرأ بضم الخاء، وكسرها، وهما لغتان فصيحتان" (١) .

وقرأ أبوبكر عن عاصم «خَفِيَّة» بكسر الخاء، وقرأ باقى القراء بضمها (٢) .

والضم والكسر فى «خَفِيَّة» لغتان بمعنى واحد (٣)، أى مظهرين للضراعة والاستكانة، ومضميرين ذلك فى أنفسكم أى ادعوا ربكم وارغبوا إليه ظاهرا وباطنا (٤) .

— كلمة «بِالْقِسْطِ» فى قوله تعالى: «وَزِنُوا بِالْقِسْطِ»
المُتَّقِينَ / الإسراء/ ٣٥ .

يقول " يقرأ بكسر القاف وضمها، وهما لغتان فصيحتان، والضم أكثر، لأنه لغة أهل الحجاز، ومعناه: الميزان، وأصله: رومى" والعرب إذا عربت اسما من غير لغتها اتسعت فيه" (٥) .

-
- (١) الحجة ١٤١ .
 - (٢) السبعة ٢٥٩ .
 - (٣) شرح الطيبة ٤ / ٢٥٨، والقرطبى ٣ / ٢٥٣١ .
 - (٤) إبراز المعانى ٤٤٦ .
 - (٥) الحجة ٢١٧ .

وقرأ حمزة، والكسائي، وحفص عن عاصم بكسر القاف
«قسطاس» وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، وأبو بكر
عن عاصم بضمها^(١).

وعزى الضم «قسطاس» إلى أهل الحجاز، والكسر إلى غيرهم^(٢).
— كلمة «سوى» في قوله تعالى: «مَكَانًا سَوًى» طه/ ٥٨ .

يقول ابن خالويه: "يقرأ بضم السين وكسرهما، فالحجة لمن
ضم: أنه أراد مكانا مساويا بيننا وبينك، والحجة لمن كسر: أنه
أراد: مكانا مستويا أى: لا مانع فيه من النظر، وقيل: هما لغتان
فصيحتان إلا أنه اسم مقصور لا يبين فيه إعراب لأنه قصر عنه،
أو لأنه مأخوذ من قوله: «مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ»^(٣) أى
محبوسات فكأنه حبس عن الإعراب"^(٤).

كلمة «سوى» قرئت بالضم والكسر، والذين قرءوا بالضم
هم: عاصم، وابن عامر، ويعقوب، وحمزة، وخلف، وقرأ باقي
القراء بالكسر^(٥).

(١) الإتحاف ٢٨٣ .
(٢) شرح الطيبة ٤ / ٤٣٠، والإتحاف ٢٨٣ .
(٣) الرحمن / ٧٢ .
(٤) الحجة ٢٤١، ٢٤٢ .
(٥) التيسير ١٥٠ والسبعة ٤١٨ . ١١٤

يتضح مما سبق أن من العلماء من فرق بين الضم والكسر في «سوى» ومنهم من قال : إن الكسر أعرف وأشهر^(١) وهذا لا يسلم به لأن الضم والكسر لغتان فصيحتان^(٢). يقول الأخفش: "سوى مقصور إن كسرت سينه أو ضيمت وممدود إن فتحتها ثلاث لغات"^(٣).

— كلمة «أُسُوَّة» في قوله تعالى : «لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسُوَّةٌ حَسَنَةٌ...» الأحزاب/ ٢١ .

يقول : "يقرأ بكسر الهمزة وضمها، وهما لغتان كما قالوا: رشوة ورشوة"^(٤).

وقرأ عاصم «أُسُوَّة» بضم الألف حيث وقعت، وقرأ الباقون: «إِسُوَّة» بكسر الألف حيث وقعت^(٥).

وعزى الكسر «إِسُوَّة» إلى أهل الحجاز^(٦)، وأسد^(٧)، وعزى الضم إلى تميم^(٨) وبعض قيس^(٩).

(١) القرطبي ٤٣٨٥ / ٦ .

(٢) إبراز المعاني ٥٨٩ والقرطبي ٤٣٨٥ / ٦ .

(٣) إلّبحر ٢٥٣ / ٦ .

(٤) الحجة ٢٨٩ .

(٥) كتاب السبعة ص ٥٢٠، ٥٢١ .

(٦) زاد المسير ٤٨ / ٦ ، والإتحاف ٢٨٣ ، والمزهر ٢ / ٢٧٧ .

(٧) زاد المسير ٤٨ / ٦ .

(٨) المزهر ٢ / ٢٧٧ .

(٩) زاد المسير ٤٨ / ٦ .

— كلمة «جَبَلًا» في قوله تعالى: «جَبَلًا كَثِيرًا» يس/ ٦٢ .

يقول ابن خالويه : "يقرأ بضم الجيم والباء، وبإسكانها مع التخفيف، وبكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وكلها لغات معناها: الخلقة والطبع، وما جبل عليه الإنسان" (١) .

وقرأ نافع، وعاصم «جَبَلًا» بكسر الجيم والباء مع تشديد اللام، وقرأ على بن أبي طالب، وابن عباس، وأبو عبد الرحمن السلمي ، والزهرى، والأعمش «جَبَلًا» بضم الجيم والباء مشددة اللام (٢) .

وفي هذه الكلمة «جَبَلًا» لغات كثيرة قد نص عليها كثير من العلماء (٣) .

— كلمة «شَوَاطِئ» في قوله تعالى: «يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوَاطِئٌ مِّنْ

نَارٍ» الرحمن/ ٣٥ .

يقول ابن خالويه : "يقرأ بضم الشين وكسرها، وهما لغتان والمراد بهما: اللهب الذى لا دخان له" (٤) .

(١) الحجة ٢٩٩ .

(٢) مختصر في شواذ القرآن ١٢٦ ، والسبعة ٥٤٢ ، والتيسير ١٨٤ ، والنشر ٢٦٦/٣ .

(٣) القرطبي ٨ / ٥٦٨٤ ، والبحر ٧ / ٣٤٤ ، واللسان ١ / ٥٣٨ ، ٥٣٩ "جبل" .

(٤) الحجة ٣٣٩ .

وقرأ ابن كثير «شواظ» بكسر الشين، وقرأ باقى القراء
بضمها^(١)، وعزى «شواظ» بكسر الشين إلى بنى كلاب^(٢).

د - بين الفتح والكسر والضم:

— كلمة «بَرَبُوءَة» فى قوله تعالى: «...كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ...»

البقرة/ ٢٦٥ .

يقول ابن خالويه: قوله تعالى «بَرَبُوءَة» هاهنا وفى المؤمنين^(٣)
يقرآن بضم الراء وفتحها، وهما لغتان فصيحتان، وفيها سبع لغات،
وهى: ما ارتفع من الأرض^(٤) .

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وحمزة، والكسائى «بَرَبُوءَة»
بضم الراء، وقرأ عاصم، وابن عامر، بفتح الراء، وقرأ الحسن،
وابن عباس والأعمش بكسر الراء^(٥) .

وعزيت القراءة بضم الراء لقريش^(٦)، كما عزيت القراءة
بفتحها لتميم^(٧) .

(١) السبعة ٦٢١ .

(٢) إصلاح المنطق ١٠٦ .

(٣) المؤمنون/ ٥٠ .

(٤) الحجة ١٠٢ .

(٥) ينظر السبعة ١٩٠، ومختصر فى شواذ القرآن ٢٣ .

(٦) البحر ٦/ ٤٠٨، والإتحاف ١٦٣ .

(٧) اللسان ٣/ ١٥٧٣ "ربو" والمصباح "ربو" .

وجاء فى اللسان أن الرَّبَّوَ والرَّبَّوَةَ والرَّبَّوَةَ والرَّبَّوَةَ والرَّبَّوَةَ والرَّبَّوَةَ
والرَّبَّوَةَ والرَّبَّوَةَ والرَّبَّوَةَ والرَّبَّوَةَ: كل ما ارتفع من الأرض
ورباً^(١).

— كلمة «جذوة» فى قوله تعالى: «أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ»

القصص/ ٢٩ .

يقول ابن خالويه: "يقراً بكسر الجيم، وفتحها، وضمها، وهن
لغات كما قال فى اللب: رَغْوَةٌ، ورَغْوَةٌ، ورَغْوَةٌ، والكسر أفصح،
ومعنى الجذوة: عود فى رأسه نار"^(٢).

وقرأ ابن كثير، ونافع، وأبو عمرو، وابن عامر، والكسائي:
«جذوة» بكسر الجيم، وقرأ عاصم بفتحها، وقرأ حمزة، وخلف
والوليد عن ابن عامر بضمها^(٣).

وقد ورد فى اللسان أن الجذوة والجذوة والجذوة هى القبسة
من النار وقيل: هى الحمرة، والجمع جذاً وجذاً
وقال مجاهد: "«أَوْ جَذْوَةٍ مِنَ النَّارِ» أى قطعة من الجمر،
قال: وهى بلغة جميع العرب"^(٤).

(١) اللسان ٣/ ١٥٧٣ "ربو" .

(٢) الحجة ٢٧٧ .

(٣) ينظر النشر ٣/ ٢٣٤، والإتحاف ٣٤٢ .

(٤) اللسان ١/ ٥٨١ "جذو" .

القلب المكاني

تعريفه : هو تصيير حرف مكان حرف بالتقديم والتأخير^(١)
وقيل هو: تقديم بعض حروف الكلمة على بعض مع الاتحاد في
الحروف وفي المعنى مثل "يَنِيْس، أَيْس"، "أَكْفَهَر، وَأَكْرَهَف"،
و"أَضْمَحَل، أَمْضَحَل"^(٢).

سبب وجوده:

يذكر لنا ابن جني أن من مقاصد تصرف العربي في اللفظ
هنا الاتساع في اللغة^(٣).

وينقل السيوطي أن الاضطراب من أسباب انقلب المكاني^(٤)
وقد أرجع الدكتور أنيس سبب وجود ظاهرة القلب المكاني إلى
نسبة شيوع السلاسل الصوتية لأن القلب المكاني ما هو إلا تحويل
سلسلة صوتية إلى أخرى^(٥).

آراء العلماء في القلب المكاني :

اختلف العلماء في نظرته إلى القلب المكاني، فمنهم من وسع
في مفهومه، ومنهم من ضيق، ومنهم من لم يعترف بوجوده ،
وأرجع ما جاء منه إلى اختلاف اللهجات وتوضيح ذلك فيما يلي:

- (١) الهمع للسيوطي ٢ / ٢٢٤ .
- (٢) في فقه اللغة د/ عبدالله ربيع ود/ عبدالعزيز علام ص ١٣١ .
- (٣) الخصائص ٢ / ٨٨ .
- (٤) الهمع ٢ / ٢٢٥ .
- (٥) من ملامح الفكر اللغوي عند ابن درستويه د/ الموفى ص ٧٦ .

١ - يذهب جمهور اللغويين إلى أن الكلمات التي اتحدت معانيها واختلف ترتيب حروفها من القلب سواء أكان ذلك عند قبيلة واحدة أم عند العرب جميعا بمعنى أنهم لا يفرقون بين ما هو من اختلاف اللهجات وما هو موجود فى الاستعمال اللغوى العام^(١).

وهذا ابن فارس يقول : "ومن سنن العرب القلب المكاني، وذلك يكون فى الكلمة ويكون فى القصة"^(٢).

ويقول ابن جنى : "والقلب فى كلامهم كثير"^(٣).

وهذا - أيضا - ابن دريد يقول : "باب الحروف التى قلبت وزعم قوم من النحويين أنها لغات، وهذا القول خلاف على أهل اللغة"^(٤).

كما أن الثعالبي ادعى أن القلب من سنن العرب^(٥) "فالقلب عند هؤلاء وغيرهم سنة وطريقة عند العرب وليس من اختلاف اللهجات"^(٦).

(١) فى فقه اللغة د/ عبدالله ربيع ود/ عبدالعزيز علام ص ١٣١ .

(٢) ينظر الصحابى ص ٣٢٩، والمزهر ١ / ٤٧٦ .

(٣) الخصائص ٢ / ٨٢ .

(٤) الجمهرة ٣ / ٤٣١ .

(٥) فقه اللغة للثعالبي : ٤٧١ .

(٦) فى فقه اللغة د/ عبدالله ربيع ص ١٣٢ .

٢ - يرى ابن جنى أن الكلمتين اللتين اختلف ترتيب حروفهما لا تعدان من القلب إلا إذا أمكن الحكم بأصالة إحداهما وفرعية الأخرى ومقياس الأصالة أن تكون إحدى الكلمتين أوسع تصرفاً من الأخرى أما إذا تساوت الكلمتان فى التصرف فهما أصلان وليست إحداهما مقلوبة عن الأخرى^(١).

وخرجت ألفاظ كثيرة من القلب المكانى عند ابن جنى بسبب هذا المقياس الذى وضعه، منها: "قولهم: جذب، وجبذ، ليس أحدهما مقلوبا عن صاحبه، وذلك أنهما جميعا يتصرفان تصرفاً واحداً نحو جَذَبَ يَجْذِبُ جَذْبًا، فهو مَجْذُوبٌ، وَجَبَذَ يَجْبِذُ جَبْذًا، فهو جَابِذٌ والمفعول مَجْبُودٌ، فإن جعلت أحدهما أصلاً لصاحبه فسد ذلك لأنك لو فعلته لم يكن أحدهما أسعد بهذه الحال من الآخر"^(٢).

ومن المقلوب قولهم : امضحل ، وهو مقلوب اضمحل، وهو الاضمحلال ولا يقولون امضحلال^(٣).

فابن جنى حكم على قلب أحد اللفظين عن الآخر بكثرة تصرفه وقلة تصرف الآخر . "والحق أن الحكم على إحدى الكلمتين بالأصالة لكثرة التصرف أمر يحتاج إلى مراجعة، ذلك أن اللفظ قد يكون متصرفاً وأما العرب تصرفاته، أو بعضها، أو

(١) الخصائص ٢ / ٦٩ - ٧٣ .

(٢) الخصائص ٢ / ٧٠ .

(٣) نفسه ٢ / ٧٣ .

استغنوا عنها كما استغنوا عن تصرفات "يدع ويذر" بتصرفات :
"ترك" ثم إن ذلك يستلزم معرفة الأوسع تصرفاً، مع أن اللغويين لا
ينصون على ذلك ، ومما يؤكد صدق ما قلناه أن بعض ما حكم
ابن جنى عليه بالقلب عزاه اللغويون إلى لهجات بعينها، فقد ذكر
هو أن امضحل "بتقديم الميم مقلوب عن اضمحل" مع أن الأول لغة
الكلابيين كما ذكر اللغويون^(١)^(٢).

٣ - يرى ابن درستويه أن الكلمات التي اختلف ترتيب
حروفها واتحد معناها هو من اختلاف اللهجات وليس من القلب
"قال في شرح الفصيح: في البطيخ لغة أخرى طبيخ بتقديم الطاء
وليست عندنا على القلب كما يزعم اللغويون وقد بينا الحجة في
ذلك في كتاب إبطال القلب"^(٣).

وبتتبع اللهجات الواردة في كتاب "الحجة" وجد أن بها لفظاً
واحداً قد وقع القلب فيه هو لفظ "رأى" وجاء ذلك في الموضع
الآتي :

قال تعالى: ﴿أَنْ رَّاهُ اسْتَغْنَى﴾ العلق/ ٧ .

يقول ابن خالويه: يقرأ بفتح الراء وكسر الهمزة، وبكسرهما
معاً، وبفتحهما معاً، وقد ذكرت علل ذلك قبل، وروى "قنبل" هذا

(١) اللسان ٤ / ٢٥٥٩ "ضحل" .

(٢) من ملامح الفكر اللغوي عند ابن درستويه للدكتور الموفى ص ٧٦ .

(٣) المزهر ١ / ٤٨١ .

الحرف عن ابن كثير "رأه" بفتح الراء والهمزة، والقصر على وزن "رعه"، قال ابن مجاهد : لا وجه له، لأنه حذف لام الفعل التى كانت مبدلة من الياء، وقال بعض أهل النظر: أحسن أحوال ابن كثير: أن يكون قرأ هذا الحرف بتقديم الألف التى بعد الهمزة وتأخير الهمزة إلى موضع الألف، ثم خفف الهمزة، فحذف الألف لالتقاء الساكنين فبقى "راه" بألف ساكنة غير مهموزة، إلا أن الناقل لذلك عنه لم يضبط لفظه به، هذه لغة مشهورة للعرب يقولون فى "رءانى"، "راءنى" وفى "سأانى"، "سءانى" قال شاعر هذه اللغة :
 أَوْ وَلَيْدٌ مَعْلَلٌ رَاءَ رُؤْيَا . : فَهُوَ يَهْدَى يَمًا رَأَى فِي الْمَنَامِ^(١)

وعزيت القراءة بغير ألف بعد الهمزة "أن رأه" بوزن رعه إلى ابن كثير، وعزيت القراءة بفتح الراء وكسر الهمزة "راءه" إلى أبي عمرو، وعزيت القراءة بكسر الراء ومد الهمزة مفتوحة فى وزن رعاه إلى ابن عامر وعاصم فى رواية أبي بكر وحمزة ، والكسائى، وعزيت القراءة بالفتح «أَن رَّاهُ» إلى نافع وحفص عن عاصم^(٢) وقد ذكر ابن منظور أنه يقال رَاءَ فى رَاه ، قال كثير :

وَكُلُّ خَلِيلٍ رَعَانِي فَهُوَ قَائِلٌ . : مِنْ أَجْلِكَ : هَذَا هَامَةٌ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ

(١) الحجة ص ٣٧٣، ٣٧٤ .

(٢) ينظر كتاب السبعة ص ٦٩٢ ، والإتحاف ص ٤٤١، ٤٤٢ .

وقال قيس بن الخطيم:

فَلَيْتَ سَوِيْدًا رَأَى مَنْ فَرَّ مِنْهُمْ .: وَمَنْ جَرَّ إِذْ يَحْدُوْنَهُمْ بِالرَّكَائِبِ^(١)

وعزى القلب المكانى إلى التميميين فقد ورد عنهم ألفاظ حدث فيها القلب المكانى منها قولهم جذبت الشىء بدل جذبتة^(٢)، وقولهم الصاقعة بدل الصاعقة^(٣)، وقولهم فى القسم : ر عملى لأفعلن بدل لعمرى^(٤)، وقولهم معيق فى معنى عميق، وعميق لغة الحجازيين^(٥).

وعزى أيضا للكلايين فقد حكى عن أبى زيد من أن امضحل الشىء بمعنى ذهب لغة الكلايين فى امضحل^(٦).

كما عزى القلب المكانى إلى أهل المدينة أو الحجاز فقد روى أن الطبيخ لغة أهل المدينة أو الحجاز فى البطيخ^(٧).

(١) اللسان ٣ / ١٥٤٥ رأى .

(٢) المصباح ١ / ٨٩ جبذ .

(٣) البحر ١ / ٨٤ ، ٨٦ .

(٤) المزهر ٢ / ٢٧٧ .

(٥) البحر ٦ / ٣٤٧ .

(٦) اللسان ٤ / ٢٥٥٩ ضحل .

(٧) المصباح ١ / ٥١ بطخ، والمزهر ٢ / ١٤٥ .

تصنيف اللغات البشرية^(١)

اهتم علماء اللغة بإحصاء اللغات البشرية وتصنيفها إلى فصائل لغوية ، واختلفت آراؤهم ووجهات نظرهم بهذا الصدد اختلافا كبيرا كما يلي:

- أ - فمنهم من صنفها على أساس درجة الرقى والتطور .
- ب - ومنهم من صنفها على أساس القرابة اللغوية .
- ج - ومنهم من صنفها على أساس النصوص الدينية الواردة في التوراة .

أولاً: التقسيم على أساس درجة الرقى والتطور:

لم ينظر القائلون بهذا التقسيم إلى درجة القرابة اللغوية وأواصر النسب اللغوية التي تلاحظ بين اللغات المختلفة ولكن نظروا إلى المراحل التاريخية التي مرت بها هذه اللغات وإلى درجة تطورها وارتقائها، وأشهر نظرية بهذا الصدد هي نظرية

(١) ينظر في هذا : علم اللغة د/ وافي : ١٩٥ وما بعدها، ونشأة اللغة عند الإنسان ونطق د/ وافي : ٦٣ وما بعدها ، ودراسات في فقه اللغة د/ صبحي الصالح : ٤١ - ٤٦ ، والفصحى ولهجاتها د/ البركاوي : ٢٣ - ٣٠ ، وفي علم اللغة العام د/ عبدالصبور شاهين : ١٨١ - ١٨٩ ، ودراسات في علم اللغة د/ فتحى الدابولي : ٦٣ - ١٠٣ .

العلامة "شليجل" والتي تقسم اللغات من هذه الناحية إلى فصائل ثلاث هي:

١ - فصيلة اللغات المتصرفة أو التحليلية:

ولغات هذه الفصيلة تتغير أبنيتها بتغير المعاني^(١)، فمثلا في اللغة العربية نقول: عِلْمٌ للدلالة على المصدر، وَعِلْمٌ للدلالة على الفعل الماضي، وَعِلْمٌ للدلالة على تعدى الفعل، وأَعْلَمٌ للدلالة على الأمر، والعلوم للدلالة على جمع العلم، والمعلوم للدلالة على ما وقع عليه العلم، والعلامة للدلالة على وسيلة العلم ... وهلم جرا .

هذا من ناحية الصرف، أما من ناحية التنظيم فإن عناصر جملها يتصل بعضها ببعض عن طريق روابط مستقلة تشير إلى مختلف العلاقات، فنقول مثلا ذهب محمد وعلى من المنزل إلى الجامعة، فتأتى بواو قصيرة ونون زائدة بعد دال محمد للدلالة على أنه أحدث الحدث .

وتأتى بالواو العاطفة بين محمد وعلى للدلالة على عطف عنصر من عناصر الجملة على آخر وبمن للدلالة على الابتداء، وإلى للدلالة على الانتهاء^(٢) .

(١) دراسات في فقه اللغة : ٤٦ .
(٢) نشأة اللغة ٥٨ ، وعلم اللغة د/ وافي : ١١٥ .
١٢٦

واللغات المتصرفة أو التحليلية تشمل: الفارسية والهندية،
واللاتينية والإغريقية والجرمانية والعربية والعبرية ... الخ^(١).

وسميت هذه الطائفة من اللغات بـ"المتصرفة" لتغير أبنيتها
بتغير المعاني، وبـ"التحليلية" لما تتخذة حيال الجملة من تحليل
أجزائها وربطها بعضها ببعض بروابط تدل على العلاقات^(٢).

٢ - فصيلة اللغات غير المتصرفة أو العازلة:

وتمتاز لغات هذه الفصيلة بأن كلماتها غير قابلة للتصرف لا
عن طريق تغيير البنية ولا عن طريق لصق حروف بالأصل^(٣)،
وتتضح معانيها النحوية "كالفاعلية والمفعولية" من خلال مواقعها
في الجملة، أو من خلال الوقف على أجزاء معينة فيها^(٤)، مثل:
ضرب موسى عيسى، ويكون هذا واضحا في لغات الأمم البدائية
ولغة الطفل.

واللغات غير المتصرفة أو العازلة تشمل: الصينية، والسامية،
والبرمانية، والتبتية ... الخ^(٥)، وسميت هذه اللغات "بغير
المتصرفة" لأن كلماتها لا تتصرف ولا يتغير معناها، وبـ"العازلة"

(١) علم اللغة : ١٩٥ .

(٢) نشأة اللغة : ٥٨ .

(٣) السابق : ٦٠ .

(٤) الفصحى ولهجاتها : ٢٥ .

(٥) علم اللغة د/ وافي : ١٩٥ .

لأنها تعزل أجزاء الجملة بعضها عن بعض ولا تصرح بما يربطها من علاقات^(١).

٣ - فصيلة اللغات اللصقية أو الوصلية:

وتتمتاز لغات هذه الفصيلة بأن أبنيتهما يتغير معناها بواسطة حروف تلصق بها ، وهذه الحروف تكون - أحيانا - قبل الأصل فتسمى سابقة، وتكون - أحيانا - بعده فتسمى لاحقة ومن أمثلة ذلك فى اللغة العربية علامات الجمع للمذكر والمؤنث تعد لواحق ، وهمزة التعدية تعد سابقة^(٢).

واللغات اللصقية أو الوصلية تشمل : التركية، والمنغولية، والمنشورية، واليابانية، ولغات الباسك ... الخ^(٣).

وسميت هذه اللغات "باللصقية" أو "الوصلية" للطريقة التى تتبعها حيال الأصل، إذ تلصق به حروفا زائدة عن حروفه لتوضيح المعنى المقصود منه أو للإشارة إلى علاقته بما عداه من أجزاء الجملة^(٤).

(١) نشأة اللغة: ٦٠ .

(٢) دراسات فى علم اللغة والمعاجم ، د/ محمد عزت قناوى، ود/ محمد بكر ١٠١ .

(٣) علم اللغة د/ وافي : ١٩٥ .

(٤) السابق : ١٩٦ .

ثانيا: التقسيم على أساس القرابة اللغوية:

قام بعض العلماء بتقسيم اللغات الإنسانية إلى فصائل يجمع أفراد كل فصيلة منها صلات قرابة لغوية فتتفق في أصول الكلمات وقواعد البنية وتركيب الجمل .

ويتكون من الأمم الناطقة بها مجموعة إنسانية متميزة ترجع إلى أصول شعبية واحدة أو متقاربة وتؤلف بينها طائفة من الروابط الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، وأشهر نظرية قسمت اللغات على هذه الأسس هر نظرية العلامة (مكس مولر) التي ترجع جميع اللغات الإنسانية إلى ثلاث فصائل: الهندية الأوربية ، والسامية الحامية، والطورانية^(١) .

وسنتحدث بشيء من التوضيح عن كل فصيلة من هذه الفصائل فيما يلي:

١ - الفصيلة الأولى: فصيلة اللغات الهندية الأوربية:

يعتبر "وليم جونز" الإنجليزي هو أول من كشف بطريقة علمية عن العلاقات الوثيقة بين الهندية القديمة واللغات الأوروبية^(٢) .

(١) علم اللغة د/ وافي ١٩٦٠ .

(٢) علم اللغة أسسه ومناهجه ، د/ عبد الفتاح البركاوي ، ١٩٩٠ .

والشعوب الناطقة بهذه اللغات ذات أثر حضارى واضح
جلى، ومن العسير تحديد موطنها الأصلي، فمن ذاهب إلى نشأتها
فى آسيا الوسطى بمنطقة التركستان، ومن قائل بنشأتها فى
المناطق الروسية بأوربا الشرقية، ومن زاعم أنها فى مناطق بحر
البلطيق^(١).

وتشمل هذه الفصيلة طوائف من اللغات هى^(٢):

- ١ - اللغات الهندية - الإيرانية ، أو اللغات الآرية، وتشمل هذه
اللغات شعبتين إحداهما شعبة اللغات الهندية (السنسكريتية -
البراكريتية - اللغات الهندية الحديثة ... الخ) .
والأخرى شعبة اللغات الإيرانية (الفراسية القديمة - والزند
أفنديه وهما لغة الأسفار المقدسة المسماة الإفسنا .
- ٢ - اللغات الأرمنية .
- ٣ - اللغات الإغريقية، وتشمل اللغات اليونانية القديمة، وأشهر
هذه اللغات: اليونانية، الأتيكية، الدورية، وتشمل كذلك اللغات
اليونانية الحديثة، وتشكل كذلك اللغات اليونانية فى العصر
الحاضر .
- ٤ - الألبانية .

(١) دراسات فى فقه اللغة: ٤٢ .

(٢) علم اللغة : ١٩٧ - ١٩٨ . ١٣٠

٥ - اللغات الإيطالية، وتشمل: الأسكية، والسمنية، واللاتينية،
واللغات الرومانية، وهي المتفرعة من اللاتينية كالفرنسية
والبرتغالية والإيطالية والأسبانية ولغة رومانيا .. الخ.

٦ - اللغات السلتيّة، أو "الكلتية" التي كانت لغات شعوب السلّت
أو الكلت وقد طغت عليها الآن اللغات الفرنسية والإنجليزية
والأسبانية.

٧ - اللغات الجرمانية ، وتشمل ثلاث شعب: أولاها: شعبة
اللغات الجرمانية الشرقية وهي اللغة الوجدية . وثانيها:
شعبة اللغات الجرمانية الشمالية، وهي لغات أيلندا والدانمرك
والسويد والنرويج.

وثالثها: شعبة اللغات الجرمانية الغربية، وتشمل: الإنجليزية
السكسونية والإنجليزية الحديثة والهولندية، واللغات الألمانية
.. الخ.

٨ - اللغات البلطيقية السلافية، وتشمل شعبتين:

إحدهما: شعبة اللغات البلطيقية، وهي: الليتوانية، لغة
ليتوانيا، والليتونية لغة ليتوانيا، والبروسية القديم.

والأخرى شعبة اللغات السلافية أو الصقلية: وهي السلافية القديمة، والروسية والبولندية، والتشيكية، والسربية، والكرواتية، والبلغارية الحديثة.

٢- الفصيلة الثانية: الحامية السامية:

وتشغل هذه الفصيلة من المناطق منطقة بلاد العرب وشمال إفريقية وجزءا من شرقى إفريقية، ومن مزاياها أن مناطقها تكاد تشكل منطقة واحدة متماسكة الأجزاء، مستقلة ليس فيها عنصر دخيل^(١).

وتشمل هذه الفصيلة مجموعتين: إحداهما مجموعة اللغات السامية، وثانيهما مجموعة اللغات الحامية، وسنرجئ الحديث عنها بعد الحديث عن مجموعة اللغات السامية^(٢).

أولا: مجموعة اللغات السامية:

يسمى بهذا الاسم "اللغات السامية" مجموعة من لغات آسيا وأفريقيا، لا يزال بعضها حيا إلى اليوم، أما بعضها الآخر فقد مات، ونعنى بهذه اللغات: العبرية والفينيقية، والآرامية، والآشورية، والعربية، والحبشية.

(١) دراسات فى فقه اللغة: ٤٣ بتصرف.

(٢) ينظر علم اللغة د/ وافى : ٢٠١ - ٢٠٣ .
١٣٢

وقد سميت تلك اللغات بهذه التسمية، التي كان أول من اقترحها "شلوتر" لأن معظم الشعوب التي تتكلم بهذه اللغات منحدرة من نسل سام بن نوح، كما في سفر التكوين^(١).

وقد ذكر هذا السفر أن أولاد سام وهم عيلام، وآشور، وأرفشاك، ولود، وآرام، وأنه ولد لأرفشاك: شيلاش، ولشيلاش، عابر أبوالعبريين... الخ^(٢).

الموطن الأول للشعب السامي^(٣) :

اختلفت آراء العلماء حول تعيين هذا الموطن، وذهبوا فيه مذاهب شتى، ولم يصلوا بعد بشأنه إلى رأى يقينى، ويرجع أهم ما قيل بهذا الصدد إلى ستة آراء:

١ - فبعضهم يذهب إلى أن الساميين قد نشأوا ببلاد الحبشة ومنها نزحوا إلى القسم الجنوبي ببلاد العرب عن طريق باب المندب، ومن هذا القسم انتشروا في مختلف أنحاء الجزيرة العربية.

٢ - وبعضهم يذهب إلى أن الموطن الأول للساميين كان بلاد أرمينية بالقرب من حدود كردستان.

(١) اللغات السامية نير- وروندر - مكتبة المصطفى السريية، ٨، نقلا عن سفر التكوين.

(٢) فقه اللغة د/ وافي : ٦ نقلا عن سفر التكوين.

(٣) ينظر في هذا: فقه اللغة ١٠ - ١٣ ١٢٣

وهذه الآراء الثلاثة هي أضعف ما قيل بهذا الصدد، إذ لم يكـ
أحد من أصحابها يقدم بين يدي مذهبه دليلاً يعتد به.

٤ - ويذهب الأستاذ (جويدى) ومن تابعه إلى أن المهد
الأصلى للأمم السامية كان جنوب العراق، ويستدل على رأيه
ببعض كلمات مشتركة فى جميع اللغات السامية تتعلق بالعمران
والحيوان والنبات، فقد ظهر له من طبيعة هذه الكلمات وأصواتها
ومدلولاتها ومن شواهد أخرى كثيرة أنها نشأت بجنوب العراق.

٥ - ويرى بعضهم أن الموطن الأول للساميين كان بلاد
كنعان ويستدل على ذلك بأن الساميين كانوا منتشرين فى البلاد
السورية القديمة فى أزمنة سحيقة فى القدم.

٦ - ويرجع بعضهم أن المهد الأول للساميين كان القسم
الجنوبى الغربى من شبه الجزيرة العربية (بلاد الحجاز ونجد
واليمن وما إلى ذلك).

وقد مال إلى هذا رأى عدد كبير من قدامى المستشرقين
ومحدثيهم وعلى رأسهم علامتان رينان الفرنسى، وبروكلمان
الألماني، وهذا هو أصح الآراء وأقواها سنداً ويرجح الأخذ
به أدلة كثيرة:

١ - أن الهجرة كانت تتجه دائما من القسم الجنوبي الغربى (بلاد نجد والحجاز واليمن وما إليها) إلى الشمال والشرق (سوريا والعراق وما إليها) .

فمن بلاد الحجاز وما إليها هاجر الساميون إلى بلاد الشمال فتكونت من سلالتهم الشعوب الكنعانية، ومن هذه البلاد هاجر الساميون أيضا إلى العراق وأسسوا الدولة الكلدية، ومن هذه البلاد أيضا نزح بعض قبائل الإسماعيلية إلى الشمال (يثرب - مدائن صالح - خليج العقبة) .

ومن هذه البلاد نزح فى أوائل التاريخ الميلادى بعض القبائل المعدية (التي كانت موطنها اليمن) إلى الشام وبعض القبائل القحطانية (التي كان موطنها اليمن) إلى الحجاز والشام والشرق فنزلت منها خزاعة بمكة، والأوس والخزرج بيثرب وغسان بالشام، ولخم بالعراق .

٢ - قرر معظم الباحثين أن أول هجرة سامية إلى الحبشة كانت بلاد اليمن، وهذا يرجح أن المهد الأول لجميع الشعوب السامية كان القسم الجنوبي الغربى من شبه الجزيرة (بلاد نجد والحجاز واليمن وما إليها) .

٣ - ومما يقوى هذا الرأى ويؤيده كذلك ما ذهب إليه الأميركيتانى دوتيانوا من أن هذا القسم كان فى العصور السابقة

للتاريخ كثيف السكان ، خصب الأرض موفور الخيرات، ولقد نزع معظم سكانه إلى جهات أخرى بسبب بعض الظواهر البحرية .

ويزيد هذا الرأي تأييدا أن العقلية السامية القديمة عقلية أساسها المشاهد المعنوى المتخيل فهي ضحلة التخيل قليلة العمق فى المعقولات المحضة، لا تكاد تلمس ما وراء الطبيعة إلا برفق وسذاجة، وفى نطاق محدود، ولا أدل على ذلك من أن معظم الكلمات السامية الدالة على الحقائق الكلية والأمور المعنوية، والظواهر النفسية ترجع أصولها إلى أمور مادية تتصل بعالم الحس، فجميع الكلمات والجمال التى يعبر بها فى العبرية عن الغضب مثلا تدل على أمور حسية، فأحيانا يعبر عنه بكلمة تدل فى الأصل على التنفس السريع القوى الذى يصحب الغضب عادة، وأحيانا بكلمة تدل على الرعشة، وارتفاع الحرارة أو الغليان ... وهلم جرا .

ففى هذا دليل على أن الجماعة السامية الأولى التى ورثت هذه الأمم عقليتها وخيالها ولغتها قد نشأت فى الأصل فى مناطق صحراوية، فقيرة فى مظاهر الطبيعة، وهذه الأوصاف متوافرة فى الحجاز ونجد وما إليها (١) .

(١) فقه اللغة د/ وافي : ١٠ - ١٤ يتصرف .
١٣

خصائص اللغات السامية ومميزاتها :

تتشترك اللغات السامية فى عدد من الخصائص التى تدل على وحدة أصلها وتميزها عن غيرها من اللغات الأخرى، ومن أهمها ما يلى:

١ - اشتغالها على مجموعات صوتية معينة مثل أصوات الحلق وأصوات الإطباق التى قلما تخلو منها أو من بعضها لغة من اللغات السامية^(١).

٢ - تمتاز عن سائر اللغات الأخرى بأن أصول كلماتها تتألف غالبا من ثلاثة أصوات ساكنة (ض ر ب) وإن كان بعض العلماء المحدثين يجنح إلى ثنائية الأصول السامية كالأب مرمجى الدومنيكى فى كتابه (هل العربية منطقية؟ أبحاث ثنائية السنة).

والقائلون بثلاثية الأصول السامية يردون الرباعى منها إلى الثلاثى، فيردون دحرج مثلا إلى دحر أو درج لما فيها من معنى الإبعاد والدفع^(٢).

٣ - واللغات السامية تمتاز فى دلالتها على المعنى الأصلي باعتمادها على حروف المباتى وفى تفرقتها بين المعانى المتكافئة باستخدامها حروف المعانى أو الحركات، نحو: لفظ (م ل ك) فهو

(١) الفصحى ولهجاتها : ٧٧ .

(٢) دراسات فى فقه اللغة: ٤٨، ٤٩، ١٣٧٠

يدل على معنى مشترك بين عدد من الكلمات التي تتألف من هذه
الأصول الثلاثة، فمنه: مَلَك، ومَلِكٌ، ومَلِك ... الخ^(١).

٤ - لا تكاد توجد في اللغات السامية كلمات تشتمل على
أكثر من أصل واحد على حين أن هذا النوع يكثر في اللغات
الهندية الأوربية وخاصة الحديث منها، وكل كلمة من هذا القبيل
تدل على معنى مركب من معاني الأصول التي تشتمل عليها^(٢)،
فمثلا الكلمات المكونة من الجيم والباء والراء (ج . ب . ر)
كجبر وجرب ورجب وربح تدل على أصل واحد هو القوة
والشدة^(٣).

٥ - يحدث في الغالب تأنيث الاسم والصفة في اللغات
السامية والحامية بإضافة تاء إلى المذكر، أما في اللغات الهندية
الأوربية فالتأنيث طرق أخرى كثيرة منها تضعيف الحرف الأخير
للمذكر (Chat, tegras, se)^(٤).

٦ - ليس للفعل في معظم اللغات السامية إلا زمانان: فعل
"ماض" وفعل لم ينته زمنه "مضارع للحال أو للاستقبال وأمر"
على حين أن له في اللغات الهندية الأوربية أزمنة كثيرة لكل منها

(١) السابق : ٤٩ .

(٢) فقه اللغة ، د/ وافي : ٢٠ .

(٣) دراسات في علم اللغة د/ الدابولي : ٧٤ .

(٤) علم اللغة د/ وافي : ٢٢٣ . ١٢٨

صيغة خاصة: الماضي القريب، الماضي البعيد، الماضي الكامل،
الماضي المتصل بالحاضر، المستقبل ... الخ، وقد بلغت هذه
الأزمة في اللغة الفرنسية أحد عشر في الجمل الإخبارية
وحدها^(١).

(١) السابق ص: ٢٢٢، ٢٢٣ . ١٤٩.

تقسيم اللغات السامية:

اللغات السامية عبارة عن:

١- الأكادية أو البابلية (الآشورية) : وهي لغة كانت سائدة فى أرض العراق، وقد حلت محل لغة أخرى غير سامية هى اللغة السومرية، وسماها المحدثون من فقهاء اللغة بهذا الاسم (الأكادية) نسبة إلى بلاد أكاد، وكان الأقدمون يسمونها الإسفينية، أو المسمارية، لأن الناطقين بها أخذوا الخط المسمارى ذا الزوايا عن الشعب السومرى^(١).

٢- الكنعانية: وهي لغة القبائل العربية الذين كانوا يقيمون فى بلاد فلسطين وسورية. وهذه اللغة اشتملت على عدة لهجات هى:
أ - الأجرينية: وهى أقدم لغات المجموعة الكنعانية وأشهرها، واكتشفت نقوشها سنة ١٩٢٦م، ويرجع تاريخها إلى القرن ١٤ ق.م.

ب - الكنعانية القديمة: وكانت مدونة باللغة الأكادية، وقد تبودلت بين ولاية مصر على فلسطين وبين فراعنة ذلك العهد .

ج - الموابية: وهى لغة الموابيين الذين كانوا من نسل لوط ابن أخى إبراهيم الخليل.

(١) ينظر: دراسات فى فقه اللغة: ٤٩، والفصحى ولهجاتها: ٤٨ .

د - الفينيقية: وقد وصلت إلينا عن طريق بعض النقوش، وأقدم هذه النقوش يرجع تاريخه إلى القرنين التاسع، والعاشر ق.م.

هـ - العبرية، وهى أهم اللهجات الكنعانية على الإطلاق ونحن نقصد بها عبرية العهد القديم^(١).

٢ - الآرامية: هى لغة الآراميين وكانت قبائلهم تنتقل منذ القرن الخامس عشر ق.م فى الصحراء المتاخمة لمنطقة ميزوبوتاميا ... وقد نزع بعضها من هذه الصحراء إلى بلاد سوريا وفلسطين وما إليها حوالى القرن الخامس عشر ق.م^(٢) ولا تزال اللغة الآرامية موجودة حتى اليوم فى بعض القرى السورية مثل طور عابدين^(٣)، وتفرعت الآرامية إلى:

أ - السريانية . ب - الآرامية الغربية .

٤ - الحبشية: وهى لغة السكان الذين كانوا يقطنون بلاد الحبشة .

٥ - العربية: وتنقسم هذه اللغة إلى قسمين:

العربية الجنوبية . والعربية الشمالية .

(١) دراسات فى فقه اللغة: ٥٠ بتصرف .

(٢) فقه اللغة د/ وافي ص ٥٦ بتصرف .

(٣) الفصحى ولهجاتها: ٥٤ .

القسم الأول: العربية الجنوبية:

وتسمى اليمنية القديمة أو القحطانية، وتلقب أحيانا بـ"السبئية" تسمية لها بإحدى لهجاتها الشهيرة التي تغلبت عليها جميعا فى ضرائب معها .

وتختلف هذه العربية عن العربية الشمالية، "التي هي المقصودة بالعربية عند الإطلاق اختلافا جوهريا أساسيا فى القواعد النحوية والمظاهر الصوتية والدلالات المعنوية"^(١).

وتشتمل العربية الجنوبية على لهجات كثيرة من أهمها ما يلى^(٢):

- ١- **المعينية:** وهى اللهجة المنسوبة إلى المعينيين الذين أسسوا فى بلاد العرب فى القسم الجنوبى من اليمن مملكة قديمة .
- ٢- **السبئية:** وهى اللهجة المنسوبة إلى السبئيين الذين أقاموا مملكتهم على أنقاض المملكة المعينية .
- ٣- **الحميرية القديمة:** وتنسب إلى جماعة حمير اتى ظلت تنازع السبئيين السلطان مدة طويلة، ولم تقو على انتزاعه من أيديهم .
- ٤- **الحضرمية:** وهى اللهجة المنسوبة إلى حضرموت، وكانت سلطنة عظيمة ذات حضارة زاهرة .

(١) دراسات فى فقه اللغة: ٥٢ بتصرف .

(٢) نفسه ٥٢، ٥٤ بتصرف .

٥ - **القتبانية:** وهى اللهجة المنسوبة إلى قتبان، وهى مملكة عظيمة أنشئت فى المنطقة الساحلية الواقعة شمال عدن .

٦ - **الحبشية السامية:** وتنقسم أقساما كثيرة من أهمها ما يلى^(١):

أ - **اللهجة الجعزية:** سميت بهذا الاسم نسبة إلى الشعب الجعزى الذى يعد من أقدم الشعوب السامية التى نزحت إلى الحبشة ويطلق عليها أحيانا "الحبشية القديمة" وأحيانا "الحبشية" مجردا من كل وصف، وأقدم ما وصل إلينا من آثارها يرجع تاريخه إلى سنة ٣٥٠ بعد الميلاد .

ب - **اللغة الأمهرية :** وهى اللغة المستخدمة الآن فى التخاطب فى معظم المناطق الحبشية السامية اللسان .

وأقدم ما وصل إلينا عن الأمهرية بعض قصائد حربية يرجع تاريخه إلى القرن الرابع عشر والخامس عشر بعد الميلاد .

ج - **لهجة تيجرينيا:** وهى متفرعة من اللغة الجعزية، وقد اشتبكت مع الأمهرية فى صراع، وتركت الأمهرية فيها كثيرا من الآثار .

(١) ينظر فى هذا : فقه اللغة د/ وافى : ٩٠ - ٩٥ بصرف .
١٤٣

د - اللهجة التيجرية: وتستخدم فى المنطقة الواقعة فى الشمال من منطقة اللهجة السابقة، وهى قوية الشبه بالجزرية، ويبلغ عدد المتكلمين بها نحو مائة ألف نسمة.

هـ - اللهجة الجوارجية: وهى مجموعة لهجات يتكلم بها فى منطقة جوارجيا الواقعة فى جنوب منطقة "كوا" الأمهرية وأهم هذه اللهجات: اللهجة التشاهية، التى يتكلم بها فى منطقة تشاها، وهذه اللهجات متفرعة من الأمهرية.

و - لهجة مدينة هرر: وهى متفرعة كذلك من اللغة الأمهرية وانفصلت عنها ذلك لأنها تأثرت بلهجات حامية غير اللهجات الحامية التى احتكت بها الأمهرية، ولأن اعتناق أهلها الدين الإسلامى، قد ترك فيها آثارا من اللغة العربية فى صورة لا يوجد لها نظير فى الأمهرية المسيحية.

القسم الثانى: العربية الشمالية:

وهى قسمان: العربية البائدة التى لا يتجاوز أقدم ما وصلنا من نقوشها القرن الأول ق.م - والعربية الباقية التى تجاوز آثارها القرن الخامس بعد الميلاد^(١).

(١) دراسات فى فقه اللغة: ٥٤. ١٣٤

١ - العربية البائدة وأهم لهجاتها:

والمراد بها عربية النقوش التي بادت لهجاتها قبل الإسلام، وهي التي ظهر على آثارها الطابع الأرامي، لبعدها عن المراكز العربية الأصلية بنجد والحجاز .

وأهم اللهجات العربية البائدة ثلاث:

أ - اللهجة الثمودية:

وهي اللهجة المنسوبة إلى قبائل ثمود التي جاء في القرآن الكريم ذكرها، وتاريخ النقوش المدونة بهذه اللهجة يعود إلى القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد، وبلغ تعداد هذه النقوش ما يزيد على ألف وسبعمائة، عثر عليها فيما بين الحجاز ونجد وشبه جزيرة سيناء وبالقرب من دمشق^(١).

ب - اللهجة الصفوية:

وهي اللهجة المنسوبة إلى منطقة الصفا، وقد عثر على نقوشها في مواطن مختلفة في المنطقة الواقعة بين تلّول الصفا وجهل الدروز .

ويرجع تاريخ تدوينها إلى ما بين القرنين الثالث والسادس الميلاديين، وقد حل معظم رموزها ، واكتشف حروفها الأبجدية المستشرق الألماني "إنوليتمان" ولاحظ أن خطها قريب من

(١) دراسات في فقه اللغة: ٥٥ . ١٩٥٥

التمودى، ولا يبعد أن يكون مشتقا منه، إلا أنه شديد التغيير والاختلاف، فما يكاد يستقر على حال، فهو تارة يقرأ من الشمال إلى اليمين، وتارة أخرى يقرأ من اليمين إلى الشمال^(١).

جـ - اللهجة اللحيانية:

وهى اللهجة المنسوبة إلى قبائل لحيان التى يرجح أنها كانت تسكن شمال الحجاز قبل الميلاد، وقد عثر على نقوش كثيرة تذكر أسماء ملوك لحيان، وأغلب الاحتمالات أن تاريخ هذه النقوش يعود إلى ما بين سنة ٤٠٠، وسنة ٢٠٠ ق.م.

والخط الذى دونت له مشتق كذلك من المسند غير أنه أنق وألطف وأثبت نظاما وأكثر رونقا من الخطين، التمودى والصفوى، فهو يكتب مستعرضا من اليمين إلى الشمال.

ومع أن هذه المجموعة من اللهجات الثلاث: التمودية، والصفوية، واللحيانية لم تصل إلينا إلا عن طريق نقوش قليلة الأهمية على كثرتها، ضحلة المادة على تنوعها، امتازت بأمرين:

أحدهما: أنها أقرب لهجات العربية البائدة إلى الفصحى .

والآخر: أن الخط الذى دونت به ينبغى أن يعتبر المرحلة الأولى فى تطور الخط العربى وانتشاره^(٢).

(١) دراسات فى فقه اللغة: ٥٥، ٥٦ .

(٢) السابق: ٥٦ . ١٤٦

وها هي ذي نماذج من النقوش الثمودية والنقوش الصفوية
وقد دونها جميعا بحروف عربية، وألحقنا بكل منها ترجمة إلى
لغتنا العربية^(١).

أولا: الثمودية: ومن نماذجها:

أ - ذ ن ل ق ض ب ن ت ع ب د م ن ت
وإذا ألحقنا بهذه الأصوات الساكنة أصوات المد التي تتبع
بعضها والتي لا يرمز إليها هذا النقش، تصبح كلماته على الصورة
الآتية:

ذنين لقيض بنت عبد مناه

وترجمته إلى العربية: "هذا القبر لقيض بنت عبد مناه".

ب - ل ت م ي غ ث ب ن ج ش م ه و ع ل
وبوضع أصوات المد التي أغفل هذا النقش الرمز إليها،
ووصل حروف بعضها ببعض، يصبح على الصورة الآتية:
لتيم يغوث بن جشم هوعل.

وترجمته إلى العربية: "الوعل لتيم يغوث بن جشم"، والهاء
في "هوعل" هي علامة التعريف في العربية البائدة.

(١) ينظر في هذا : فقه اللغة د/ وافي: ١٠١، ١٠٢ نقلا عن تاريخ اللغات
السامية: ١٧٨ - ١٨٠ .

ج - ل ح ز م و ت ش و ق ال ع م ت

وترجمته إلى العربية : "لحزم وتشوق إلى عمة" ويفهم منه أن
حزما كان متشوقا إلى عمة له، ولعله شطر بيت من الشعر .

ثانيا: الصفوية: ومن نماذجها:

أ - ل ب ر د ب ن أصل ح بن أب ج ر و ش ت
ي ه د ر و ذ ب ح ف ه ل ت س ل م .

وترجمته إلى العربية: لبرد بن أصلح بن أبجر وشتي (أي
أقام في الشتاء) في هذا المكان أو في هذه الدار والهاء في "هـدر"
علامة التعريف و"در" ينطق بها "دار"، لأن هذا الرسم لا يرمز إلى
أصوات المد و"ذبح ذبيحة" فيا الله سلام "أقدمه لك".

ب - ل أن ع م ب ن ق ح ش و غ ن م س ن
ت ح ر ب ن ب ط .

وترجمته إلى العربية: لأنعم بن قحش وغنم سنة حرب
النبط .

ج - ل ن ص ر ل ب ن ج م ر ه خ ط ط و ح ض ر
ه د ر س ل م و خ ر ص ق ع ص ن و ف ر .

وترجمته إلى العربية : لنصرال بن جمر الخط "خطط =
هخط = الخط، لأن الهاء كانت علامة للتعريف في العربية ويقصد

من الخط النقش، فمعنى الجملة: هذا النقش لنصرال بن جمر وحضر فى هذه الدار (هدر = هدار = الدار) فىا أثغ (اسم صنم من أصنام أهل الصفا) سلام (عليك) وقتل (خرص معناها قتل) قعصن (اسم علم).

وقد عثر على نقوش أغزر مادة من النقوش الثمودية والصفوية وأقرب إلى العربية منها. وهذه النقوش هى: نقش النمارة وزيد، وحران، وأم الجمال.

١- نقش النمارة:

والنمارة قصر صغير للروم فى الجهة الشرقية من جبل الدروز، ويرجع تاريخ تدوين هذا النقش إلى سنة ٢٢٨م ، ولقد دون فى مدفن امرئ القيس بن عمرو ملك العرب، وهو من ملوك الحيرة الذين انتشر نفوذهم حتى بادية الشام.

وهذا النقش عظيم ، لأنه دون بالخط النبطى المتأخر الذى يرتبط بعضها ببعض ، وهو يشبه الخط الكوفى ، ولذلك يرى أكثر العلماء أن الخط الكوفى منحدر من النبطى^(١). ويشتمل هذا النقش على خمسة أسطر ونصه بالحروف العربية كما يلى^(٢):

(١) دراسات فى فقه اللغة : ٥٧ .
(٢) ينظر فى هذا : فقه اللغة د/ وافى : ١٠٣ ، ١٠٤ نقلا عن تاريخ اللغات السامية: ١٩٠ - ١٩٤ .

- ١ - قى نفس مر القيس بن عمرو ملك العرب كله ذو أسر التج.
- ٢ - وملك الأسدين وزار وملوكهم وهرب مزحجوا عكدي وجا.
- ٣ - يزجى فى حبج نجرن مدينة شمر وملك ومعدو ونزل بنيه.
- ٤ - الشعوب ووكلهن فرسوا لروم فلم يبلغ ملك مبلغه.
- ٥ - عكدي هلك سنة ٢٢٣ سوم ٧ بكسول يسعد ذو لده.

وترجمته إلى العربية كما يلى:

- ١ - هذا قبر (نفس أى قبر فى العربية البائدة) امرئ القيس بن عمرو ملك العرب كلهم الذى (ذو بمعنى الذى فى لهجاتهم) حاز (أسر بمعنى حاز أو استولى أو لبس) التاج.
- ٢ - وملك الأسدين ونزار وملوكهم وهزم (هرب بمعنى هزم اضطرهم إلى الفرار) مزحج بقوته (عكدي تدل على القوة) وجاء.
- ٣ - إلى نزجى (أو بزجى) فى جيج نجران مدينة شمر، وملك معدا وأنزل (بمعنى قسم بين) بنيه.
- ٤ - الشعوب ووكله الفرس والروم فلم يبلغ ملك مبلغه.
- ٥ - فى القوة، هلك سنة ٢٢٣ يوم ٧ كسلول (كانون الأول) يسعد الذين ولدهم (أى ليسعد نسله وذريته).

٢- نقش زبد:

وقد عثر على هذا النقش فى الأطلال المسماة بزبد، وهى فى الجنوب الشرقى من مدينة حلب.

ويرجع تاريخه إلى سنة ٥١٢ أو ٥١٣ بعد الميلاد ، وهو مدون بثلاث لغات: العربية البائدة، والسريانية، واليونانية.

ويشتمل نقش زبد على سطرين . ونصه بالحروف العربية كما يلى:

١ - بسم الإله سرجو برأمت منضو وهنى برمز القيس .

٢ - وسرجوبر سعد وستروو (شر) يحو بتميمى .

وهذه القطعة تشتمل على كلمة عربية هى (الإله) وعلى أسماء أعلام عربية كثيرة كذلك يظن أنها أسماء الذين اشتركوا فى بناء الكنيسة التى وضع فيها هذا النقش .

ونوع الرسم الذى دونت به هذه القطعة مشتق من الرسم النبطى المتصل بالحروف، ويمثل الرسم العربى فى أقدم مراحلـه ويستثنى من ذلك الكلمة الأخيرة فى هذه القطعة (بتميمى) فإنها مدونة بالسريانية^(١).

(١) ينظر: فقه اللغة د/ وافى: ١٠٥ بتصرف.

٣ - نقش حران:

عثر على هذا النقش بحوران الواقعة جنوب دمشق في الجزء الشمالي من جبل الدروز، وهو منقوش على حجر فوق باب الكنيسة ويرجع تاريخه إلى سنة ٤٦٨ بعد الميلاد.

وهو مكتوب بلغتين هما: العربية البائدة، واليونانية، ولا تختلف اللهجة التي دون بها عن اللغة العربية الباقية إلا في أمور يسيرة، فلغته أقرب كثيرا إلى العربية الباقية من لغة النقشيين السابقين. والرسم الذي دون به هذا النقش مشتق من الرسم النبطي المتصل بالحروف ويمثل في رسمه الخط العربي في أقدم مراحله.

ويقع هذا النقش في أربعة أسطر، ونصه بالحروف العربية

كما يلي:

١ - أنا شرحبيل بن ظلمو بنيت ذا المرطول.

٢ - سنت ٤٦٣ بعد مفسد.

٣ - خير.

٤ - بعم.

وترجمته إلى العربية: أنا شرحبيل بن ظالم بنيت هذه الكنيسة

سنة ٤٦٣ بعد مفسد (انهيار) خير بعام^(١).

(١) ينظر: فقه اللغة د/ وافي: ١٠٦.

٤ - نقش أم الجمال:

وجد في قرية "أم الجمال" وهي قرية عربية مسيحية كبيرة في الجنوب من "بصرى" بالقرب من "عمان".

وقد اكتشفه المستشرق (إنوليتمان) في عام ١٩٠٥م وظل يدرسه مع غيره من العلماء ، ثم نشر نتيجة دراسته تلك في مجلة "الساميات" في عام ١٩٢٩م .

ويرى ليتمان أن هذا النقش يرجع إلى أوائل القرن السادس الميلادي، ويلاحظ أن السطر الأخير منه مكسور، وفيما يلي قراءة "ليتمان" للنقش:

- ١ - الله غفر لأبيه .
- ٢ - بن عبدة كاتب .
- ٣ - الخبير أعلى بنى .
- ٤ - عمرى صلو عليه من .
- ٥ - يقرؤه .

ويذهب إلى أن معناه: "يا رب اغفر لأبيه بن عبدة، الكاتب الخبير، أشرف بنى عمر، ادع له أيها القارئ".

ونحن وإن كنا نتفق مع "ليتمان" في قراءة الجزء الأول، من هذا النقش فإننا لا نوافق على قراءة الجملة الأخيرة منه، وهي :
"صلو عليه من يقرؤه" ولعلها تقرأ هكذا: "كله علو من يتفقده":

ويكون المعنى: "أنه أعلى بنى عمرو كلهم كعلو من يتفقده بزيارة قبره" (١).

ومما سبق نلاحظ أن عربية النقوش ليست عربية خالصة، والذي دعا المستشرقين إلى نسبة هذه النقوش إلى اللغة العربية هو أنهم وجدوا فيها بعض خصائص العربية، مثل بعض الأصوات التي شاعت في العربية، كالأصوات الأسنانية (ث ذ ظ) والضاد، والتفريق بين صوتي العين والغين، وصوتى الحاء والخاء (٢).

"ونصوص هذه النقوش ضحلة لا تقنع الباحث لتلقى ضوءا كاشفا على حال اللغة العربية في تلك العهود، فهي في مجموعها لا تكاد تعادل سفرا صغيرا من أسفار العهد القديم، هذا إلى أن كثيرا من كلماتها عبارة عن أعلام (أشخاص)، ولا تكاد تجدى مثل هذه الأعلام في البحث اللغوي، وفوق هذا وذاك تعرض هذه النقوش لأمر متشابهة كتسجيل تاريخ كنيسة أو قبر، مما جعل كثيرا من عباراتها وألفاظها يتكرر، ويجعل نصوصها قليلة القدر لا تكفى في بحث لغوي جاد" (٣).

(١) ينظر: فصول في فقه العربية: ٥٨، ٥٩.

(٢) السابق ص: ٦٠.

(٣) في اللهجات العربية، د/ إبراهيم أنيس ص: ٣٥.

٢ - العربية الباقية :

ويقصد بها اللغة التي ما نزال نستخدمها، وتستخدمها الأمم العربية الأخرى، وهي التي وصلت إلينا عن طريق القرآن الكريم، وائسنة النبوية المطهرة، والشعر الجاهلي .

وقد نشأت هذه اللغة ببلاد: نجد والحجاز، ثم انتشرت في كثير من المناطق التي تشغلها من قبل أخواتها السامية، والحامية، وانشعب منها اللهجات التي يتكلم بها في العصر الحاضر في بلاد: الحجاز ونجد، واليمن، وفلسطين، وسوريا، ولبنان، والعراق، والكويت، ومصر، والسودان، وبلاد المغرب العربي ومالطة^(١).

(١) ينظر: فقه اللغة د/ وافي : ١٠٧، ودراسات في فقه اللغة ص ٥٥، ٥٩

ثانيا: مجموعة اللغات الحامية^(١):

تنقسم هذه المجموعة من اللغات إلى ثلاث طوائف هي:

- ١ - اللغات المصرية، وتشمل: المصرية القديمة، والقبطية.
- ٢ - اللغات الليبية أو البربرية، وهي لغات السكان الأصليين لشمال أفريقيا (طرابلس وتونس والجزائر ومراكش والصحراء المتاخمة لها).

- ٣ - اللغات الكوشيتية: وهي لغات السكان الأصليين للقسم الشرقي من أفريقيا وتشمل اللغات الآتية:

الصومالية: وهي لغة السكان الذين يعيشون في بلاد الصومال.

ولغة الجالا: وهي لغة قبائل تعيش غربى هضبة أثيوبيا، واليدجا، ودنقلة والآجادو، والآفار أو الساهو والسيداما ... الخ.

٣ - الفصيلة الثالثة : الطورانية :

أطلق "مكس مولر" و"بونس" اسم "اللغات الطورانية" على طائفة من اللغات الآسيوية والأوربية ، التى لا تدخل تحت فصيلة

(١) ينظر فى هذا : دراسات فى فقه اللغة: ٤٣، ٤٤، وعلم اللغة، د/ وافي: ٢٠٢، ٢٠٣، وفقه اللغة لنفس المؤلف ص: ٢٢، ٢٣ .

من الفصيلتين السابقتين وهما: "الهندية الأوروبية، والحامية السامية"^(١).

وقد ذهبت جمعية علم اللغة بباريس إلى تقسم اللغات الخارجة عن الفصيلتين السابقتين إلى تسع عشرة فصيلة^(٢) وهى:

- ١ - فصيلة اللغات اليابانية.
- ٢ - فصيلة اللغات الكورية.
- ٣ - لغة الأينو.
- ٤ - فصيلة اللغات الصينية (التبتية).
- ٥ - فصيلة اللغات الاسترالية الآسيوية.
- ٦ - فصيلة اللغات الدرافيدية.
- ٧ - ٨ - فصيلة اللغات القوقازية.
- ٩ - فصيلة اللغات الآسيوية.
- ١٠ - فصيلة اللغات التركيبية والمغولية والمشورية.
- ١١ - فصيلة اللغات الفينقية والآجرية والسامويدية.
- ١٢ - فصيلة لغات الباسك.
- ١٣ - فصيلة اللغات الهيبربورية، وهى لغات سيبيريا.
- ١٤ - فصيلة اللغات الملايوية (البولينزية).
- ١٥ - فصيلة لغات سكان استراليا الأصليين.

(١) علم اللغة، د/ وافى: ٢٠٦ .

(٢) السابق: ٢٠٧ - ٢١٦ .

- ١٦ - فصيلة اللغات الأمريكية.
- ١٧ - فصيلة اللغات السودانية والغانية.
- ١٨ - فصيلة اللغات البنطوية.
- ١٩ - فصيلة لغات البوشيمان، والهوتنتون والنيجيريين.

ثالثاً: التقسيم على أساس النصوص الواردة في التوراة:

وتنقسم اللغات على هذا الأساس إلى ثلاث فصائل هي:

- ١ - فصيلة اللغات اليافثية.
- ٢ - فصيلة اللغات الحامية.
- ٣ - فصيلة اللغات السامية.

وكل فصيلة من هذه الفصائل تنسب إلى ابن من أبناء سيدنا نوح عليه السلام وهم : يافث، وحام، وسام. ذلك أن الطوفان أغرق جميع سكان الأرض وبقي نوح وأولاده^(١).

(١) ينظر: فصول في فقه العربية ، دار الرفاعي بالرياض ط ٢ ، ١٩٨٣م، نقلاً عن: سفر التكوين ص: ٢٥ ، ودراسات في علم اللغة : ١١٣ .
١٥٨

الإعراب

الإعراب في اللغة: البيان ، يقال أعرب عن حاجته إذا أبان عنها^(١) .

واصطلاحاً : تغيير أو آخر الكلم لاختلاف العوامل الداخلة عليها لفظاً أو تقديراً على القول بأنه معنوى، وعلى القلوب بأنه لفظي أثر ظاهر في اللفظ أو مقدر فيه، يجلبه العامل المقتضى له في آخر الكلمة التي هي اسم لم يشبه الحرف أو فعل مضارع لم تتصل به نون الإناء ولم تباشره نون التوكيد^(٢) .

والإعراب من أساليب الأداء وصور التعبير التي لا تقبل عند العرب التبديل أو التغيير، وليس من حقهم العدول عنه مهما كانت الظروف والأسباب ولا أدل على ذلك من قول ابن جنى : "وسألت يوماً أبا عبد الله محمد بن العساف العقيلي الجوثي التميمي — تميم جوثة — فقلت له: كيف تقول : ضربت أخوك؟ فقال أقول : ضربت أخاك فأدركته على الرفع فأبى وقال: لا أقول أخوك أبدا . قلت: فكيف تقول: ضربني أخوك؟ فرفع فقلت: أأست زعمت أنك لا تقول: أخوك أبدا؟ فقال : إيش هذا!! اختلفت جهتا الكلام"^(٣) .

(١) شرح المفصل ١ / ٧٢ .

(٢) شرح التصريح ١ / ٥٩ — ٦٠ .

(٣) الخصائص ١ / ٧٦ .

فبالإعراب الكامل والشامل الذى تميزت وتفردت به العربية عن سائر اللغات البشرية ، قد تمكن المتكلم بها من تنويع أساليبه، وتعددت عباراته وتراكيبه، حيث يمكنه التقديم والتأخير وتناول المعنى بأكثر من تعبير^(١).

وبالإعراب يعرف الفاعل من المفعول إذ يقول ابن جنى: "هو الإبانة عن المعانى بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت أكرم سعيداً أباه ، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع أحدهما ونصب الآخر الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرحاً واحد لاستبهم أحدهما من صاحبه"^(٢).

ويذكر ابن فارس فائدة الإعراب، ومكانته، ودقته فيقول: "من العلوم الجليلة التى اختص بها العرب: الإعراب، الذى هو الفارق بين المعانى المتكافئة فى اللفظ، وبه يعرف الخبر الذى هو أصل الكلام، ولولاه ما ميز فاعل من مفعول، ولا مضاف من منوع، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من تأكيد"^(٣).

وضرب ابن قتيبة أمثلة كثيرة ومتنوعة بين فيها أن الإعراب ميز بين الكلامين المتكافئين والمعنيين المختلفين ومن بين هذه

(١) وقفات تأملية مع فقه اللغة العربية أ.د/ يحيى الجندى ط/١ ص ٢٥٣ .

(٢) الخصائص ١/ ٣٥ .

(٣) الصاحبى ص ٤٢، والمزهر ١/ ٣٢٧، ٣٢٨ .

الأمثلة قوله : "ولو أن قاتلاً قال : "هذا قاتلٌ أخى" بالتثوين ، وقال الآخر : "هذا قاتلٌ أخى" بالإضافة لدل التثوين على أنه لم يقتله، ودل حذف التثوين على أنه قتله"^(١) .

ولهذا فإننا لو ألزمتنا آخر الكلم السكون لخفيت علينا المعانى "فلم يعلم الفاعل من المفعول" . ولو اقتصر فى البيان على حفظ المرتبة فيعلم الفاعل بتقدمه والمفعول بتأخره لضاق المذهب ولم يوجد من الاتساع بالتقديم والتأخير ما يوجد بوجود الإعراب"^(٢) .

ويقرر العلماء أننا إذا وجدنا تعارضا بين الإعراب والمعنى فينبغى علينا أن نقدر الإعراب على ما يوافق المعنى ويناسبه، يقول ابن جنى: "فإن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب على سمت تفسير المعنى فهو ما لا غاية وراءه، وإن كان تقدير الإعراب مخالفا لتفسير المعنى تقبلت تفسير المعنى على ما هو عليه وصححت طريق الإعراب حتى لا يشذ شىء منها عليك، وإياك أن تسترسل فتفسد ما تؤثر إصلاحه"^(٣) .

(١) تاويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ١٤، ١٥ .
(٢) شرح المفصل ٧٢ / ١ .
(٣) الخصائص ١ / ٢٨٣، ٢٨٤ . ١٦١

ويجب على من يتناول لفظاً من ألفاظ كتاب الله بالإعراب —
أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفرداً كان أو مركباً قبل الإعراب
فإنه فرع المعنى^(١) .

وأن يكون ملماً بالعربية لئلا يخرج على ما يثبت ... وأن
يتجنب الأمور البعيدة ، والأوجه الضعيفة ، واللغات الشاذة ، ويخرج
على القريب والقوى والفصيح ، فإن لم يظهر فيه إلا الوجه البعيد
فله عذر^(٢) .

ويجب عليه — أيضاً — أن يتجنب لفظ الزائد في كتاب الله
تعالى أو التكرار ولا يجوز إطلاقه إلا بتأويل^(٣) .

كما يجب عليه أن يستوفى جميع ما يحتمله اللفظ من الأوجه
الظاهرة^(٤) .

وأنواع الإعراب أربعة هي : "الرفع والنصب والجر والجزم
.. فأما الرفع والنصب فيشترك فيها الأسماء والأفعال، وأما الجر
فيختص بالأسماء، وأما الجزم فيختص بالأفعال"^(٥) .

(١) البرهان للزركشي ١ / ٣٠٢ .
(٢) الإتيان للسيوطي ٢ / ٢٦٢ ، ٢٦٣ .
(٣) البرهان ١ / ٣٠٥ .
(٤) الإتيان ٢ / ٢٦٤ .
(٥) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك طبعة المعاهد الأزهرية ١٤٠٥هـ — /
١٩٨٥م ص ٣٢ .

ولهذه الأنواع علامات أصول وهي "الضمة للرفع — والفتحة للنصب، والكسرة للخفض، وحذف الحركة للجزم" وعلامات فروع نائبة عن هذه العلامات الأصول وهي عشرة "ثلاثة تنوب عن الضمة هي: الواو والألف والنون — وأربعة تنوب عن الفتحة هي: الكسرة والألف، والياء، وحذف النون — واثنان ينوبان — عن الكسرة هما: الفتحة والياء — وواحدة تنوب عن حذف الحركة وهي: حذف حرف العلة أو حذف النون" (١).

وقد جاء في كتاب الحجة أسماء وأفعال تعددت فيها اللهجات، وتنوعت فيها أوجه الإعراب وفيما يلي بيان ذلك:

أ - الإعراب في الاسم :

قوله تعالى: ﴿حَمَلَةَ الْحَطَبِ﴾ المسد / ٤ .

يقول : "يقرأ بالرفع والنصب . فالحجة لمن رفع: أنه جعله خبر الابتداء . والحجة لمن نصب: أنه أراد: الذم. والعرب تنصب بالذم والمدح والترحم بإضمار "أعنى" ومعناه: أنها كانت تمشى بالنميمة فذمت بذلك" (٢).

(١) شرح التصريح ١/ ٦٠، ٦١ .

(٢) الحجة ص ٣٧٧ .

وعزيت القراءة بالنصب «حمالة» إلى عاصم وحده، وعزيت القراءة بالرفع «حمالة» إلى باقى القراءة^(١).

قوله تعالى: «ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ» الكهف/ ٢٥ .

يقول: "يقرأ بإثبات التنوين، وبطرحة والإضافة. فالحجة لمن أثبت التنوين: أنه نصب سنين بقوله «ولبثوا» ثم أبدل ثلثمائة منها فكأنه قال: ولبثوا سنين ثلثمائة كما تقول: صمت أياما خمسة. ووجه ثان: أنه ينصب «ثلثمائة» بلبثوا، ويجعل «سنين» بدلا منها أو مفسرة عنها. والحجة لمن أضاف: أنه أتى بالعدد على وجهه، وأضافه على خفة بالمفسر مجموعا على أصله، لأن إجماع النحويين على أن الواحد المفسر عن العدد معناه الجمع فأما "سنون" هاهنا فمجموعة جمع سلامة فلذلك فتحت نونها.

ومن العرب من يقرأها على لفظ الياء، ويجرى النون بوجوه الإعراب تشبيها بقولهم "قنسرين" و"بيرين"^(٢).

وعزيت القراءة بالتنوين إلى ابن كثير ونافع وأبى عمرو وعاصم وابن عامر، وعزيت القراءة بدون التنوين إلى حمزة والكسائي^(٣).

(١) كتاب السبعة ص ٧٠٠ .

(٢) الحجة ص ٢٢٣ .

(٣) كتاب السبعة ص ٣٨٩، ٣٩٠ . ١٦٤

وإعراب «سعين» بالحركات على النون مع لزوم الياء لغة
عزيت إلى أسد^(١) .
ب- في الفعل :

— قوله تعالى : ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ ﴾ يوسف / ٩٠ .

يقول : "القراءة بكسر القاف وحذف الياء علامة للجزم بالشرط
إلا ما رواه قنبل عن ابن كثير بإثبات الياء .

وله في إثباتها وجهان : أحدهما : أن من العرب من يجرى
الفعل المعتل مجرى الصحيح فيقول : لم يأتى زيد ، وأنشد :

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَتَمَّى . يَمَا لَأَقَتَ لَبُونُ بَنِي زِيَادِ

والاختيار فى مثل هذا حذف الياء للجزم ، لأن دخول الجازم
على الأفعال يحذف الحركات الدالة على الرفع إذا وجدها ، فإن
عدمها لعل حذف الحروف التى تولدت منها الحركات لأنها قامت
مقامها ودلت على ما كانت الحركات تدل عليه ، وإنما يجوز إثباتها
مع الجازم فى ضرورة الشاعر .

والوجه الثانى : أنه أسقط الياء لدخول الجازم ، ثم بقى القاف
على كسرتها ، وأشبعها لفظا فحدثت الياء للإشباع كما قال الشاعر :

(١) البحر المحيط ٥ / ٤٥٦ . ١٦٥

أَقُولُ إِذَا خَرَّتْ عَلَى الْحَكَاكِ .: يَا نَاقَتِي مَا جَلَّتِ مِنْ مَجَالٍ^(١)

وعزيت القراءة بياء في الوصل والوقف إلى ابن كثير في
رواية قنبل وعزيت القراءة بغير ياء في وصل ولا وقف إلى باقى
القراء^(٢).

وقد ورد في اللسان أنه يقال في حالة الضرورة "ألم يأتيك"
بإثبات الياء وأن يعامل المعتل معاملة الصحيح^(٣).

(١) الحجة ص ١٩٨، ١٩٩ .
(٢) كتاب السبعة ص ٢٦٨ .
(٣) اللسان ١ / ٢٢ "أتى" .

المناسبة بين الألفاظ ومعانيها

لقد شغلت المناسبة أو العلاقة بين الألفاظ ومعانيها أذهان العلماء من المفكرين والباحثين العرب وغير العرب فى القديم والحديث، فذهب بعضهم إلى أنها علاقة طبيعية أو ذاتية، وذهب بعضهم الآخر إلى أنها علاقة عرفية اصطلاحية تواضع عليها الناس فيما بينهم.

أولا : العلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها عند غير العرب :

فى اليونان كان التساؤل عن أصل اللغة وطبيعتها مثار جدل كبير بين الفلاسفة آنذاك، كما كانت طبيعة العلاقة بين الدال والمدلول محل نقاش استمر عدة قرون حتى عصر أفلاطون وأرسطو، وهل هى علاقة ضرورية أم اصطلاحية عرفية؟^(١).

"وبدا من سحر الألفاظ فى أذهان بعضهم، وسيطرتها على تفكيرهم، أن ربط بينها وبين مدلولاتها ربطا وثيقا، وجعلها سببا طبيعيا للفهم والإدراك، فلا تؤدى الدلالة إلا به، ولا تخطر الصورة فى الذهن إلا حين النطق بلفظ معين، ومن أجل هذا أطلق هؤلاء المفكرون على الصلة بين اللفظ ومدلوله، الصلة الطبيعية أو الصلة الذاتية.

ونلاحظ هذا الاتجاه من التفكير فيما يرويه أفلاطون فى محاوراته عن أستاذه (سقراط) الذى كان فيما يبدو يميل إلى هذا الرأى"^(٢).

(١) ينظر علم اللغة، نشأته وتطوره، د/ محمود جاد الرب - طبعة دار المعارف، ط ١ سنة ١٩٨٥م ص ٦ .

(٢) ينظر دلالة الألفاظ، د/ إبراهيم أنيس : ٦٢، ٦٣ .

"وكان بجانب هؤلاء المفكرين طائفة أخرى من فلاسفة اليونان يرون أن الصلة بين اللفظ والدلالة لا تعدو أن تكون اصطلاحية عرفية تواضع عليها الناس، وتزعم هذا الفريق فيما بعد "أرسطو" ^(١).

ثانيا : العلاقة بين الألفاظ ومدلولاتها عند العرب :
فكما انقسم علماء اليونان إلى فريقين تجاه هذه القضية، كذلك انقسم علماء العرب إلى فريقين أيضا.

فريق يرى أن الصلة بين الألفاظ ومعانيها صلة ذاتية موجبة، ويأتى على رأس هذا الفريق عباد بن سليمان الصيمري، حيث ذهب "إلى أن بين اللفظ ومدلوله مناسبة طبيعية حاملة للواضع على أن يضع، قال : وإلا لكان تخصيص الاسم المعين بالمسمى المعين ترجيحاً من غير مرجح، وكان بعض من يرى رأيه يقول : إنه يعرف مناسبة الألفاظ لمعانيها، فسئل ما مسمى "إذغاغ، وهو بالفارسية الحجر، فقال : أجد فيه يبسا شديداً، وأراه الحجر" ^(٢).

وأما عن رأى أهل اللغة والعربية : "فقد كادوا يطبقون على ثبوت المناسبة بين الألفاظ والمعاني، لكن الفرق بين مذهبهم ومذهب عباد أن عباداً يراها ذاتية موجبة بخلافهم" ^(٣).

ولكن السيوطى ينقض كلامهم فيقول : "وأكرر الجمهور هذه المقالة وقال : لو ثبت ما قاله لاهتدى كل إنسان إلى كل لغة ولما

(١) ينظر دلالة الألفاظ، د/ إبراهيم أنيس : ص ٦٣.

(٢) المزهر : ٤٧/١ .

(٣) نفسه ، نفس الصفحة.

صح وضع اللفظ للضدين، كالقَرَّء للحيض، والطهر، والجون للأبيض والأسود، أجابوا عن دليله بأن التخصيص بإرادة الواضع المختار خصوصا إذا قلنا : الواضع هو الله تعالى، فإن ذلك كتخصيصه وجود العالم بوقت دون وقت^(١).

وقد أفرد ابن جنى لقضية اللفظ والمعنى أبوابا عدة فى كتابه "الخصائص" ففى باب "تلاقى المعانى على اختلاف الأصول والمبانى"^(٢) ذكر أن المعنى الواحد قد يعبر عنه بأسماء كثيرة مناسبة. فمن ذلك "خُلِقَ الإنسان" قد يسمى بالطبيعة والنحية، والغريزة، والنقبيّة، والضريبة، والنحيزة، والسجية، والطريقة، والسجّية، والسليقة.

ثم راح يعلل تعليلات اشتقاقية لكل من هذه التسمية. فـ"الخُلُقُ" : " (فُعِلَ) من خُلِقَتِ الشئ أى ملسته، ومنه صخرة خلُقَاء للملساء، ومعناه أن خُلِقَ الإنسان هو ما قدر له ورتب عليه فكأنه أمر قد استقر وزال عنه الشك"^(٣).

و(الطبيعة) : من "طُبعت الشئ أى قدرته على أمر ثبت عليه، كما يطبع الشئ كالدرهم والدينار، فتلزمه أشكاله، فلا يمكنه انصرافه عنه ولا انتقاله"^(٤).

(١) المزهر : ٤٧/١.

(٢) الخصائص : ١١٣/٢.

(٣) الخصائص : ١١٣/٢، ١١٤.

(٤) نفسه : ١١٤/٢.

و(النجية) : من "فعيلة" من نحت الشئ أى ملسته وقررتة على ما أردته منه. فالنجية كالخلقة : هذا من نَحَتَ وهذا من خَلَقَت وينظر الأسماء الباقية فى الخصائص^(١).

ومن هذه الأبواب باب فى "تصاقب الألفاظ لتصاقب المعانى"، وضرب لذلك أمثلة كثيرة منها : (أز وهز، والعسف والأسف، وعلم وعرم، وحمس وحبس، وعلز وعلص)، وفى المثال الأول يقول : "من ذلك قول الله سبحانه : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤْزُهُمْ أَزًّا ﴾^(٢) أى تزعجهم وتقلقهم، فهذا فى معنى تهزهم هزاً، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، وكأنهم خصوا هذا المعنى بالهمزة لأنها أقوى من الهاء، وهذا المعنى أعظم فى النفوس من الهز، لأنك قد تهز ما لا يال له، كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك^(٣). وينظر الأمثلة الباقية فى كتابه "الخصائص"^(٤).

وفى باب "إمساس الألفاظ أشباه المعانى"^(٥) خطا ابن جنى خطوة جيدة حين أشار إلى أن ترتيب أصوات اللفظ مظهر لترتيب جزئيات المعنى- فصيغة "استفعل" فى أكثر الأمر للطلب نحو استسقى، واستطعم فجاءت الهمزة والسين والتاء زوائد، ثم وردت بعدها الأصول : الفاء والعين واللام فهذا من اللفظ وفق المعنى

(١) ينظر: الخصائص : ١١٤/٢-١١٧.

(٢) مريم / ٨٣.

(٣) الخصائص : ١٤٦/٢.

(٤) نفسه : ١٤٦/٢-١٥٢.

(٥) نفسه : ١٥٢/٢.

الموجود هناك. وذلك أن الطلب للفعل والتماسه والسعي فيه والتأني لوقعه تقدمه ثم وقعت الإجابة إليه، فتبع الفعل السؤال فيه والتسبب لوقوعه، فكما تبعت أفعال الإجابة أفعال الطلب، كذلك تبعت حروف الأصل الحروف الزائدة، التي للالتماس والمسألة^(١).

وتكرار العين في المثال دليل على تكرير الفعل^(٢)، ومثل له ابن جنى بقوله "فقالوا : كسر وقطع، وفتح، وغلق، وذلك أنهم لما جعلوا الألفاظ دليلية المعاني، فأقوى اللفظ ينبغي أن يقابل به قوة الفعل، والعين أقوى من الفاء واللام، وذلك لأنها واسطة لهما، ومكنوفة بهما، فصارا كأنهما سياج لها، ومبذولان للعوارض دونها ؛ ولذلك تجد الإعلال بالحذف فيهما دونها :.... فلما كانت الأفعال دليلية المعاني كرروا أقواها وجعلوه دليلا على قوة المعنى المحدث به، وهو تكرير الفعل، كما جعلوا تقطيعه في نحو صرصر وحقق، دليلا على تقطيعه، ولم يكونوا ليضعفوا الفاء ولا اللام لكراهية التضعيف في أول الكلمة، والإشفاق على الحرف المضعف أن يجئ في آخرها، وهو مكان الحذف، وموضع الإعلال، وهم قد أرادوا تحصين الحرف الدال على قوة الفعل فهذا أيضا من مساوقة الصيغة للمعاني^(٣).

ثم يشير ابن جنى إلى شئ أخطر من ذلك وهو أن اللفظ قد يعبر بأصواته عن المعنى فيقول : "فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع، ونهج متلنب عند عار فيه مأموم.

(١) السابق : ١٥٤/٢.

(٢) الخصائص : ١٥٥/٢ بتصرف.

(٣) نفسه : ١٥٥/٢.

وذلك أنهم كثيرا ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها، فيعد لونها بها ويحتذونها عليها^(١).

ومثل له بأمثلة كثيرة منها : خضم ، وقضم، فيقول : "قالخضم لأكل الرطب، كالبطيخ والقثاء، وما كان نحوهما من المأكول الرطب والقضم للصلب اليابس، نحو قضمت الدابة شعيرها، ونحو ذلك فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، حذوا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"^(٢).

ومنها أيضا : "القد طولا، والقط عرضا. وذلك أن الطاء أحصر للصوت وأسرع قطعاً له من الدال، فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العرض لقربه وسرعته، والدال الماطلة لما طال من الأثر، وهو قطعه طولا"^(٣).

وبعد ... فيعد ابن جنى فارس هذا الميدان غير منازع، ولا نعلم أحداً بعد ابن جنى أولى هذا الأمر اهتماماً حتى كان العصر الحديث. فرأينا المحدثين من علماء العرب وغيرهم قد اختلفوا - أيضاً - فيما بينهم تجاه قضية الصلة بين اللفظ والمعنى فمنهم من ذهب إلى أن الصلة بين اللفظ والمعنى طبيعية أو ذاتية، فهذا (همبلت) يزعم "أن اللغات بوجه عام تؤثر التعبير عن الأشياء بوساطة ألفاظ أثرها في الأذان يشبه أثر تلك الأشياء في الأذهان"^(٤).

(١) الخصائص : ١٥٧/٢.

(٢) نفسه : ١٥٧/٢، ١٥٨.

(٣) نفسه : ١٥٨/٢.

(٤) دلالة الألفاظ د/ أنيس : ٦٨.

ثم إن (همبلت) لم يدع أن مثل هذه الظاهرة تطرد في كل كلمات اللغة ولأنه بين في ثنايا هذا الرأي أن الكلمات بدأت واضحة الصلة بين أصواتها ودلالاتها، ثم تطورت تلك الأصوات أو تلك الدلالات وأصبحت الصلة غامضة علينا^(١).

ومن المؤيدين القائلين بالمناسبة بين الألفاظ ومعانيها من المحدثين غير العرب (جسبرسن) غير أنه حذرنا من المغالاة في هذا، إذ يرى أن هذه الظاهرة لا تكاد تطرد في لغة من اللغات، وأن بعض الكلمات تفقد هذه الصلة على مر الأيام، في حين أن كلمات أخرى تكتسبها وتصبح فيها واضحة بعد أن كانت لا تُلحَظ فيها^(٢).

ومن المحدثين العرب القائلين بالمناسبة بين الألفاظ ومعانيها الأستاذ (الرافعي) إذ يقول : "كل ما وضع من اللغة ارتجالاً فإنما وضع لمناسبة بين الدال والمدلول على وجه من الوجوه ولولا تحقق هذه المناسبة ما تأتي للواضع أن يشتق لفظاً من لفظ لأن الأصل في الاشتقاق المناسبة في المعنى والمادة، فلولا اعتيادهم مراعاة المناسبة في الوضع الأول ما تنبهوا إليه في الوضع الثاني لأن بعض الأشياء يدعوا إلى بعض والارتقاء سنة لا بد فيها من اطراد النسبة"^(٣). ثم يقول بعد ذلك : "إن أكثر أهل اللغة العربية مطبقون

(١) دلالة الألفاظ د/ أنيس : ٦٨.

(٢) نفسه، نفس الصفحة.

(٣) ينظر : تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي : ١/١٧٤، دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان - ط ٤/، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

على ثبوتها لأنها فى الحقيقة ليست إلا توسعا فى المناسبة الأولى التى هأت للواضع أن يضع بالتقليد والمحاكاة^(١).

ويرى كل من الدكتور أنيس، والدكتور صبحى الصالح، ضرورة التفرقة بين الصلة الذاتية للفظ والصلة المكتسبة، فىقول الأول : "والأمر الذى لم يبد واضحا فى علاج كل هؤلاء الباحثين هو وجود التفرقة بين الصلة الطبيعية الذاتية والصلة المكتسبة، وفى كثير من ألفاظ كل لغة نلحظ تلك الصلة بينها وبين دلالتها، ولكن هذه الصلة لم تنشأ مع تلك الألفاظ أو تولد بمولدها، وإنما اكتسبتها اكتسابا بمرور الأيام وكثرة التداول والاستعمال. وهى فى بعض الألفاظ أوضح منها فى البعض الآخر، ومرجع هذا إلى الظروف الخاصة التى تحيط بكل كلمة فى تاريخها وإلى الحالات النفسية المتباينة التى تعرض للمتكلمين والسامعين فى أثناء استعمال الكلمات"^(٢).

ويقول الثانى : " وإن علينا - حين نفهم دلالة الألفاظ على هذه الصورة - أن نفرق بوضوح بين القيمة التعبيرية الذاتية من نحو، والمكتسبة من نحو آخر فى كل من الحرف البسيط والأصل الثنائى والبناء الثلاثى والصيغ المزيعة على الأصول فى استعمالها الوضعى الأول، وأفضل طريقة لمعرفة الفرق بين القيمة الذاتية، والقيمة المكتسبة للفظ ما تتمثل فى تقصى الخطوات المنسية التى مر بها هذا اللفظ حتى تداولته الألسنة بمعنى خاص، ودلالة معبرة. وهذه

(١) ينظر : تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعى : ١/١٧٦، دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان - ط ٤/، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.
(٢) دلالة الألفاظ د/ أنيس : ٧١.

الخطوات المنسية - على صعوبة الجزم بنوع المراحل التي مرت بها طولا وقصرا، واتساعا وضيقا، وتصريحا ورمزا- لا تلقى على اللفظ من الأضواء ما يكفي لتحديد اللحظة التي ولد فيها، ولا لتعيين المدلول الذاتي الذي يناسبه بعد أن تم ميلاده، ولا لتباين القرائن التي حملت الناطقين به على نقله من مفهوم إلى آخر أو على توليد معنى جديد من معناه الأصلي القديم، وذلك يعنى أن لكل لفظ نشأة وميلادا، وأن فى كل لفظ اشتقاقا وتوليدا، وأن المناسبة الذاتية لا تلتبس إلا فى اللفظ عند نشأته الأولى، وأن هذه المناسبة فيما جدده الاستعمال من مدلولات ذاك اللفظ إنما تحمل حملا على المعنى الأصلي القديم. ولا يخفى حينئذ على الباحث اللغوى أن المناسبة الأخيرة لم تنشأ مع اللفظ ولم تحضر ميلاده، بل اكتسبت إحياءها ودلالاتها من كثرة الاستعمال^(١).

ويرى أستاذنا الدكتور / عبد الحميد أبوسكين أن علماء الأمة كادوا يجمعون فى القديم على وجود المناسبة بين اللفظ والمعنى ويقول : "وهى وإن كانت تخفى علينا فى بعض الألفاظ فذلك راجع إلى عدم إمعان النظر فيها والتتبع الدقيق لاستعمال هذه الألفاظ فى كلام العرب تتبعنا يكشف لنا عن هذه المناسبة الموجودة والمحقة بين اللفظ والمعنى فى لغتنا العربية .

(١) دراسات فى فقه اللغة د/ صبحى الصالح : ١٦٩ .

وليست هذه المناسبة طبيعية أو ضرورية كما يقول عباد الصيمري وإنما هي كما وضعنا آنفاً، فعلاقة اللفظ بالمعنى علاقة عرفية وليست ذاتية أو طبيعية^(١).

وبعد هذا العرض لآراء العلماء القدامى والمحدثين من العرب وغيرهم، في المناسبة بين الألفاظ ومعانيها _ أقول إنه من التعسف إنكار هذه المناسبة، حيث توجد هناك جوانب تبدو فيها الصلة بين الألفاظ ومعانيها واضحة جلية "كتقليد الإنسان أصوات الحيوان، وأصوات مظاهر الطبيعة، أو تعبيره عن انفعالاته الخاصة أو عن الأفعال التي تحدث عند وقوعها أصواتاً معينة"^(٢).

"ولا ريب أن في مراعاة اللين أو القوة، والخفة أو الشدة، والهمس أو الجهر، في التعبير عن هذه الطائفة من المعاني التي سبقت الإشارة إليها دليلاً واضحاً على المحاكاة الإنسانية المقصودة لأصوات الظواهر المعبر عنها"^(٣).

فالمناسبة بين الألفاظ ومعانيها موجودة بالفعل وهي عرفية عربية، أي أنها ليست طبيعية كدلالة صدور صوت "أح أح" على السعال وأذى الصدر ودلالة حمرة الوجه على الخجل^(٤).

(١) نظرات في دلالة الألفاظ : ١٠٠.

(٢) دراسات في فقه اللغة د/ صبحي الصالح : ١٤٨.

(٣) نفسه : ص : ١٥٢.

(٤) ينظر المعنى اللغوي لأستاذنا الدكتور/ محمد حسن جبل : ٢١.

الحمل على المعنى :

يقول ابن جني : " اعلم أن هذا الشئ ^(١) فوز من العربية بعيد ، ومذهبنا نوح فسج ، قد ورد به القرآن فصيح الكلام ، منشورا ومنظوما ، كأنيت المذكر وتذكير المؤنث وتصور معـنى الواحد فى الجملة ، والجملة فى الواحد . . . فمن تذكـير المؤنث قوله :

فَلَا مُزْنَةَ وَدَقَّتْ وَدَقَّهَا
وَلَا أَرْضَ أَبْقَلَ بِقَالِهَا

ذهب بالأرض إلى الموضع والمكان ، ومنه قول الله عز وجل :
(قَلَمًا رَأَى السَّمَاءَ بَازِغَةً قَالِ هَذَا رَبِّى) ^(٢) ، أى : هــذا
الشخص أو هذا المرئى ونحوه .

وكذلك قوله : (قَمَنَ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ) ^(٣) لأن الموعظة
والموعظ واحد . وقالوا فى قوله سبحانه : (إِنْ رَحْمَةُ اللَّهِ قَرِيبٌ
مِنَ الْمُحْسِنِينَ) ^(٤) ، إنه أراد بالرحمة هنا المطر ، ويجوز
أن يكن التذكير هنا إنما هو لأجل فعمل على قوله (أى جبره) :

- | | |
|----------------------|----------------------|
| (١) النوع . | (٢) الأنعام / ٧٨ . |
| (٣) البقرة / ٢٧٥ . | (٤) الأعراف / ٥٦ . |

بأعين أعداءٍ وهنَّ صد يقي

وقوله : (أى عروة بن حزام) :

... ولا يغفراءُ منك قريب

وليه قول الحطيئة :

ثلاثة أنفس وثلاثة ذؤود

لقد جبار الزمان على عبالى

ذهب بالنفس إلى الإنسان فذكر .

وأما تأنيث المذكر فكقراءة من قرأ (تلتقطه بعض السيارة) (١)

وكقولهم : ذهبت بعض أصابعه ، أنت ذلك لما كان بعض

السيارة سيارة في المعنى ، وبعض الأصابع أصبعا .

وحكى الأصمى عن أبى عمرو أنه سمع رجلا من أهل اليمن

يقول : فلان لغوب ، جاءته كتابى فاحتقرها ، فقلت له : أتقول

جاءته كتابى فقال نعم أليس بصحيفة ، قلت : فما اللغوب؟ قال :

الأحمق (٢) .

وقال ابن جنى فى باب " فى تصاقب الألفاظ لتصاقب

المعانى " (٣) : من ذلك قول الله تبارك وتعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَا

أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَكْذِبُهُمْ أَزْأ) (٤) ، أى : ترعجههم

(١) يوسف / ١٠ . (٢) الخصائص: ٢ / ٤١١ ، ٤١٥ ، ٤١٦ .

(٣) السابق ٢ / ١٤٥ - ١٥٢ .

(٤) مزم / ٨٣ .

وتلقهم ، فهذا في معنى تَهَزُّمُ هَذَا ، والمهزة أخت الهاء ،
فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين ، وكلّ منهما خصوا هذا المعنى
بالمهزة لأنها أقوى من الهاء ، وهذا المعنى أعظم في النفوس
من الهزّه ، وأنت قد تهزما لا بال له كالجدع وساق الشجرة
ونحو ذلك .

• ومنه العسف^(١) والأسف ، والعين أخت المهزة ، كما
أن الأسف يعسف النفس وينال منها^(٢) ، والمهزة أقوى من
العين ، كما أن أسف النفس أغلظ من التردد بالعسف فقد ترى
تصاقب اللفظين لتصاقب المعنيين .

ومنه القرّة ، وهي القرّة تُحَزَّ على أنف البعير ، و قريب
منه قلّت أضفاري لأن هذا انتقام للظفر ، وذلك انتقام
للجلد ، فالراء أخت اللام والعلان متقاربان .

ومنه العلب : الأثر ، والعلم : الشق في الشفة العليا ،
فذاك من ع ل ب ، وهذا من ع ل م والباء أخت الميم .

(١) العسف والأسف : الأجير والأسف : الشيخ الكبير ،
ومن اشتد به الأسف .
(٢) أي : ينال منها ، يقال عسف فلانا : ظلّه ، ونال منه ،
الخصائص : ١٤٦ / ٢ بالهامش .
١٧٩

ومن ذلك: العَلَز : خفة وطيف وقلق يعرض للإنسان ، وقالوا
(العلَّز) لوجع في الجوف يلتوى له الإنسان ، ويقلق منه ،
فذاك من (ع ل ز) فهذا من (ع ل م) والزاي أخت الصاد في
المخسج .

وقد تقع الضارعة في الأصل الواحد بالحرفين ، نحو قولهم
السَّحِيل ، والقَهِيل قال : أي زهير) :
كان سَحِيلَةً في كل فجير
على أحسن ، يَنْوِذ دعاء (١)

وذاك من (س ح ل) وهذا من (م ه ل) والصاد أخت
السين كما أن الهاء أخت الحاء ، ونحو منه قولهم : سَحِيل
في الصوت ، و(زحر) والسين أخت الزاي كما أن اللام أخت
الراء .

وقالوا : (جَلَفَ وَجَرَم) فهذا للقشر وهذا للقطع وهما
متقاربان معنى متقاربان لفظاً ، لأن ذاك من (ج ل ف) وهذا
من (ج ر م) .

نعم ، وتجاوزا ذلك إلى أن ضاروا بالأصول الثلاثة : الفاء ،

(١) سحيله : صوته ، ويَنْوِذ : واد في فطقان ، والاحساء :
الرمال يكون فيها الماء . هامش الخصائص ص : ١٤٦ .

والعين ، واللام . فقالوا : عَصَرَ الشَّيْءَ ، وقالوا : أَزَلَّهُ ، إذا حبسه
والمعصر ضرب من الجَبِيٍّ وذلك من (ع ص ر) وهذا من (أ ز ل)
والعين أخت الهزء ، والصاد أخت الزأى ، والراء أخت اللام
وقالوا : الأزم : النزع ، والعَصَب : الشد ، فالمعنيان متقاربان
والهزء أخت العين ، والزأى أخت الصاد ، واليم أخت الباء ،
وذلك من (أ ز م) وهذا من (ع ص ر) .

وقالوا : السلب والصرف ، وإذا سُلِبَ الشَّيْءُ فقد صُرفَ عَن
وجهه ، فذلك من (س ل ب) وهذا من (ص ر ف) والسين
أخت الصاد ، واللام أخت الراء ، والباء أخت الفاء . *

وهي (باب إسماس الألفاظ أشباه المعاني) يقول
ابن جنى (١) : " أعلم أن هذا موضع شريف لطيف ، وقد نبه عليه
الخليل وسيبويه ، وتلقته الجملة بالقبول له ، والاعتراف
بصحته " .

قال الخليل : كأنهم توهموا في صوت الجُنْدُب استطالة
ومدًا فقالوا : صَرَّه ونزَّهوا في صوت البازي تقطيعًا فقالوا : صرصر
وقال سيبويه في الصادر التي جاءت على القَعْلان : إنها

(١) ينظر: الخصائص : ١٥٢/٢ - ١٦٨
\ ٨١

تأتى للاضطراب والحركة نحو: التَقَرَّان (١) والغليان والغثيان
فقالوا بتوالي حركات النال توالى حركات الأفعال .

وجدت أنا من هذا الحديث أشياء كثيرة على سَفَهِتِ
ما جَدَّاه ومنهال ما مَنَّلاه ، وذلك أنك تجد المصادر الرباعية
الضعفة تأتي للتكرير نحو: النزعة والقلقة . . . ، ووجدت
أيضا (الفعلَى) في المصادر والصفات إنما تأتي للسعة نحو:
البتشكى والجمزى والولقى (٢) .

ومن ذلك - وهو أصنع منه - أنهم جعلوا (اِسْتَفْعَل) في
أكثر الأمر للطلب ، نحو: استمقى واستعظم واستوهب
واستنح ، واستقدم عمرا ، واستصرخ جعفرا .

فرتب في هذا الباب الحروف على ترتيب الأفعال ، وتفسير
ذلك أن الأفعال المحدث عنها ، أنها وقعت عن غير طلب
إنما تفجأ حروفها الأصول أو ما ضارح بالصنعة الأصول ، فالأصول
نحو قولهم : طعم ووهب ، ودخل وخرج ، وصعد ونزل ، فهذا
إخبار بأصول فاجأت عن أفعال وقعت ولم يكن معها دلالة
تدل على طلب لها ولا إعمال فيها .

(١) يقال : نقر الظبي : وثب وصعد .

(٢) ناقة بَشْكَى : سريعة خفيفة ، والجمزى : الحمار الوحشى ،

والولقى : الناقة الشريعة .

و كذلك ما تقدمت الزيادة فيه على سَعَى الأصل نحسو:
أَحْسَنَ ، وَأَكْرَمَ ، وَلَقَطَ ، وَأَزَلَى ، فهذا من طريق الصنعة
بوزن الأصل في نحو: دَخَرَجَ ، وَتَرَهَفَ (١) . . . وذلك أنهم
جعلوا هذا الكلام عبارات عن هذه المعاني ، فكلما ازدادت العبا
شبهها بالمعنى كانت أدل عليه ، وأشهد بالغرض منه .

فلما كانت إذا فاجأت الأفعال فاجأت أصول المُسَلِّ
الدالة عليها أو ملجى مجرى أصولها ، نحو: وهب ، ومنح ،
وأكرم ، وأحسن ، كذلك إذا أخبرت بأنك سمعت فيها . وتسببت
لها ، وجب أن تقدم أمام حروفها الأصول في مثلها الدالة
عليها ، أحرفاً زائدة على تلك الأصول تكون كالمقدمة لها
والمودية إليها وذلك نحو : استعمل ، فجاءت الهزة والسين
والتاء زوائد ، ثم وردت بعدها الأصول : الفاء والميم واللام ،
فهذا من اللفظ وفق المعنى الموجود هناك . وذلك أن الطلب
للفعل والتماسه والسعى فيه والثانى لوقوعه تقدمه ، ثم وقعت
الإجابة إليه ، فتبع الفعل السؤال فيه والتسبب لوقوعه ، فكما
تبعت أفعال الإجابة ، أفعال الطلب ، كذلك تبعت حروف
الأصل الحروف الزوائد التى وضعت للالتباس والمساءلة ، وذلك

(١) سرهفت الصبى : أحسنت فذاه ونعمته .

نحو: استخرج ، واستقدم ، واستوهب ، واستنخ ، واستعطى ،
واستدنى .

ومن ذلك أنهم جعلوا تكرير المعين في المثال دليلا على
تكرير الفعل ، فقالوا : كسر وقطع ، وفتح ، وخلق ، وذلك أنهم
لما جعلوا الألفاظ دليلا للمعاني ، فأقوى اللفظ ينهي أن يقابل
به قوة الفعل ، والمعين أقوى من الفاء واللام ، وذلك لأنها
واسطة لهما ، ومكتوبة بهما ، فصارا كأنهما سيلج لهما ومبدولان
للعوارض وهما ، ولذلك تجد الإعلال بالحذف فيهما دونها ،
فأما حذف الفاء من باب وعد ، فنحو: العدة والزينة
وأما اللام فنحو: اليد والدم ، والقلم والأخ ، والسنة والمائة والفئة .
وقلما تجد الحذف في المعين .

فلما كانت الأفعال دليلا للمعاني كرروا أقواها ، وجعلوه
دليلا على قوة المعنى المحدث به فهو تكرير الفعل ، كما جعلوا
تقطيعه في نحو: صرصر وحقق ، دليلا على تقطيعه .

ولم يكونوا ليضعفوا الفاء لكراهية التضعيف في أول الكلمة ،
والاشفاق على الحرف المضعف أن يجرى في آخرها ، وهو مكان
الحذف ، وموضع الإعلال ، وهم قد أرادوا تحصين الحرف
الداال على قوة الفعل ، فهذا أيضا من مساقطة الضيغة للمعنى .
٨٤

فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث
فباب عظيم واسع ونهج متلعب عند عارفيه مأوم ، وذلك أنهم كثيرا
ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبر بها عنها
فيعد لونها بها ويحتدونها عليها ، وذلك أكثر ما نقدره
وأضعاف ما تستشعره .

من ذلك قولهم : خَضَمَ وقَضِمَ ، فالخضم لأكل الرطب كاليطبخ
والقضاء وما كان نحوهما من المأكول الرطب ، والقضم للصلب
اليابس ، نحو : قضمت الدابة شعيرها ، ونحو ذلك وفي الخبر :
قد يُذْرَك الخضم بالقضم ، أى : قد يدرك الرخاء بالشدة واللين
بالشظف ، وعليه قول أبي الدرداء : (يَخْضِمُونَ ونَقْضُهم والموسد
لله) .

فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب ، والقاف لصلابتها لليابس
حذروا لسموع الأصول على محسوس الأحداث .

ومن ذلك : النضج للما ونحوه ، والنضج أقوى من النضج ،
قال الله تعالى : (فَبِهِيَ غَيْثَانِ نَضَّخَتَانِ) (١) ، فجعلوا الحاء -
لرقتها - للما الضعيف ، والخاء - لغلظها - لما هو أقوى منه .

ومن ذلك القَدْ طَوَّلَا ، والقَطَّ عَرَضَا ، وذلك أن الطاءَ أَحَصَرَ
للصوت وأسرع قطعاً له من الدال ، فجعلوا الطاءَ المناجِزةَ
لقطع العرض ، لقربه وسرعته ، والدال الماطلة لما طال من
الأثر وهو قطع طوَّلاً .

ومن ذلك قولهم : الوَسِيلَةُ والْوَصِيلَةُ ، والصاد - كما ترى -
أقوى صوتاً من السين لما فيها من الاستعلاء ، والوصيلة أقوى
معنى من الوسيلة ، وذلك أن التوسل ليست له عصمت الوصل
والصلة ، بل الصلة أصلها من اتصال الشيء بالشيء ، وما شَبَّهَ
له ، وكونه في أكثر الأحوال بعضاً له كاتصال الأعضاء
بالإنسان ، وهي أبعاضه ، ونحو ذلك ، والتوسل معنى يضعف
ويصغر أن يكون المتوسل جزءاً أو كالجزء من المتوسل إليه ، وهذا
واضح ، فجعلوا الصاد لقوتها ، للمعنى الأقوى ، والسين
لضعفها للمعنى الأضعف .

نعم ، ومن رآه هذا ما اللطف فيه أظهره والحكمة أعلسى
وأصنع ، وذلك أنهم قد يضيفون إلى اختيار الحروف وتشبيهِه
أصواتها بالأحداث ، المعبر عنها بها ترتيبها ، وتقديم ما يضاهاى
أول الحدث وتأخير ما يضاهاى آخره ، وتوسيط ما يضاهاى أوسطه ،
سواء للحروف على سمت المعنى المقصود والغرض المطلوب .

وذلك قولهم : بحثء فالباء لفظها تشبه بصوتها خفقة
الكف على الأرض ، والحاء لصحليها (١) تشبه مخالبا الأسد ،
وبرائن الذئب ونحوها إذا غارت في الأرض ، والثاء للنفس ،
والبت للتراب ، وهذا أمر تراه محسوسا محصلا ، فأى شبهة تبقى
بعده ، أم أى شك يعرض على مثله ؟

ومن ذلك قولهم : شدَّ الحبل ونحوه . فالشين بما فيها من
التغشى تشبه بالصوت أول انجذاب الحبل قبل استحكام العقد ،
ثم يليه إحكام الشد وال جذب ، وتأريب العقد ، فيعبر عنه
بالدال التي هي أقوى من الشين ، لا سيما وهي مدغمسة ،
فهي أقوى لصنعتها وأدل على المعنى الذي أريد بها .

ومن ذلك : أيضا جَرَّ الشيء يجره ، قدموا الجيم لأنها حرف
شديد ، وأول الجبر بمشقة على الجار والمجرور جميعا ، ثم عقبوا
ذلك بالراء ، وهو حرف مكرر وكروها مع ذلك في نفسها ، وذلك
لأن الشيء إذا جَرَّ على الأرض في غالب الأمر اهترَّ عليها واضطرب
صلحدا عنها ، ونازلا إليها ، وتكرر ذلك منه على ما فيه من
التعنت والقلق ، فكانت الراء لما فيها من التكرير ولأنها أيضا
قد كررت في نفسها في (جر) و(جرت) أُنْحَق لهذا المعنى من
جميع الحروف غيرها .

(١) الصلح : البحة في الصوت .

ومن طرف ما مرى في هذه اللغة التي لا يكاد يعلم بعدها
ولا يحاط بقاصيها ازدحام الدال والتاء والطاء والراء واللام والنين
إذا ما زجتهن الفاء على التقديم والتأخير فأكثر أحوالها ، ومجموع
معانيها أنها للوهن ، والضعف ، ونحوها .

من ذلك (الدَّالِف) للشيخ الضعيفه والشئ التالفه واللطيف
والظليل^(١) المجان وليست له عصمت الثمين ، والظنْف ، لما أَفْشَرَ
خارجا عن البناء وهو إلى الضعفه لأنه ليست له قوة الراكسب
الأساسي والأصل ، والنَّظْف : العيب وهو إلى الضعف . والدَّزِف :
العريض ، ومنه (التَّنْفُة) وذلك لأن الفلّاة إلى الهلاك ألا تراهم
يقولون لها : مملكة ، وكذلك قالوا لها بَيِّدَاة فهي فعلا من بَادِيِيِد
ومنه الترفّة^(٢) لأنها إلى اللين والضعف وعليه قالو : الطَّسْرَف
لأن طرف الشئ أضعف من قلبه ووسطه . . . ومنه (الفرد) ، لأن
المنفرد إلى الضعف والهلاك ما هو ، قال الرسول صلى الله عليه
وسلم : " المرء كبير بأخيه " .

والقارط : المتقدم وإذا تقدم انفرد ، وإذا انفرد أعرض للهلاك
ولذلك ما يوصف بالتقدم ويمدح به لهول مقامه وتعرض راكمه . ومنه
الفتور للضعف ، والرفق للكسرة والريديف ، لأنه ليس له تكمين
الأول ومنه الطفل للصبي لضعفه ، والطفل للرخس وهو ضد الشنّه
والثقل للريح المكروهة فهي منبودة مطروحة .

(١) الظليل لغة في الظليل ويقال : ذهب به جانا وظليفا ،
وظليفا إذا أخذ بغير ثمن .
(٢) هي التنغم ولين العيش .

المشترك اللفظي

هو "اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر على السواء عند أهل تلك اللغة"^(١).

والمشترك قسمان: فمن الألفاظ ما تكون معانيه المتعددة متضادة، ويسمى المتضاد، ومنها ما تكون معانيه المتعددة غير متضادة، وقد استقل باسم المشترك^(٢). وسوف نرجئ الحديث عن المتضاد بعد الفراغ من المشترك.

وقد ظفر المشترك اللفظي بعناية العلماء واهتمامهم فهو عامل من عوامل نمو اللغة كما أن له أثره وخطره على الأفراد والمجتمع، فمن مميزاته ومآثره أنه يستر الزلات^(٣) ويخلص من المآذق^(٤).

وقد كانت ظاهرة المشترك اللفظي محل خلاف بين علماء اللغة، فمنهم من ذهب إلى إثبات وقوعها في اللغة العربية، ومنهم من نفى ذلك، فها هو ذا سيبويه قد ذهب إلى وقوعها في اللغة العربية وذكر ذلك أثناء تقسيمه للكلام حيث عد من الأقسام :

"اتفاق اللفظين والمعنى مختلف قولك : وجدت عليه من الموجدة، ووجدت إذا أردت وجدان الضالة"^(٥).

(١) المزهر : ٣٦٩/١، وتاج العروس : ٨/١.

(٢) المعنى اللغوي : ١١٩.

(٣) ينظر : قصة الغلام مع أمه في المنصف شرح ابن جني لكتاب التصريف للمازني : ٧٦/١، وتاج العروس : ١٣٣/١٠.

(٤) ينظر : قصة النبي ﷺ مع أصحابه حين قابلهم رجل من العرب فقال لهم ممن القوم فقال ﷺ من ماء ... ينظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر للشافعي: ٢٥٩.

(٥) الكتاب : ٢٤/١.

كما ذهب هذا المذهب - أيضا - ابن فارس، إذ يقول : "ومنه اتفاق اللفظ واختلاف المعنى، كقولنا : عين الماء وعين المال، وعين الركبة وعين الميزان"^(١).

وقد عقد الثعالبي فصلاً فى وقوع اسم واحد على أشياء مختلفة، وقال فيه : "ومن ذلك الخال : أخ الأم، ونوع من البرود، والاختيال، والغيم، وواحد الخيلان"^(٢).

وإلى جانب هذا الفريق من علماء اللغة وجد فريق آخر قد ذهب إلى نفى وإنكار وقوع المشترك اللفظى فى اللغة العربية، وحجة هذا الفريق أن فى المشترك اللفظى طريقاً للتعمية والإبهام التى يتنزه عنهما العقلاء^(٣).

وكان على رأس هذا الفريق ابن درستويه، غير أنه اعترف بوقوع النادر القليل منه لعل، أو هو لغات متباينة، أو لحذف واختصار، ويوضح ذلك بقوله : "فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين، أو أحدهما ضد للآخر، لما كان ذلك إبانة بل تعمية وتغطية، ولكن قد يجئ الشئ النادر من هذا لعل فيتوهم من لا يعرف العلل أنهما لمعنيين مختلفين، وإن اتفق اللفظان، والسماع فى ذلك صحيح من العرب، فالتأويل عليهم خطأ، وإنما يجئ ذلك فى لغتين

(١) الصحاحى : ٣٢٧.

(٢) فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا، وإبراهيم الأبيارى، وعبد الحفيظ شلبى، مطبعة مصطفى الحلبي ط/٣، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م : ٣٧٠.

(٣) اللهجات العربية، د/ نجا : ١٠٨.

متباينتين، أو لحذف واختصار وقع فى الكلام حتى اشتبه اللفظان وخفى سبب ذلك على السامع وتأول فيه الخطأ^(١).

وأميل إلى رأى أستاذى الأستاذ الدكتور/ محمد حسن جبل، فى تعقيبى على رأى ابن درستويه وذلك لأن تعقيب أستاذنا له وجهته إذ يقول فضيلته : "ونحن لا نوافقه فى أن ذلك نادر فقد وقع كثيرا جدا ثم نوافقه فى أن وراء ذلك عللا، أى أن الإطلاق على المعانى المتعددة لم يتم جزافاً، وهذه العلل تنسحب فى رأينا على ما يقع من لهجات مختلفة، أما التأويل الثالث وهو الحذف والاختصار فنحن نعترف به أيضا"^(٢).

كما أتفق مع أستاذنا فى رده على الاتهام أو التساؤل الذى ينص على أن المشترك قد يعد تهويشا فى اللغة لعدم تعيين المراد باللفظ وإنما وضعت اللغة للتعيين، حيث رد أستاذنا الاتهام بقوله : هو أن كل إطلاق له أساس معقول ومقبول، وأما تعيين المراد فهو لا يتوقف على اللفظ وحده، وإنما يسهم فى التعيين مقام الكلام وسياقه^(٣).

ومن المحدثين من ذهب مذهباً آخر فى هذه القضية، فهو يثبت وقوع المشترك اللفظى فى المعانى التى يدل عليها اللفظ حين لا توجد بينهما رابطة أو صلة، فلا رابطة بين الكرة الأرضية والزكام المدلول

(١) المزهر : ٣٨٥/١.

(٢) المعنى اللغوى : دراسة نظرية وتطبيقية - طبعة خاصة ١٤٠٩هـ / ١٩٨٩م : ١٢٢.

(٣) المعنى اللغوى : دراسة نظرية وتطبيقية : ١٢٣.

عليهما بالأرض، كما لا توجد رابطة أو صلة بين أخ الأم والشامة المدلول عليهما بالخال^(١).

وعن حكم وقوع المشترك فى اللغة العربية قال أكثر العلماء : إنه ممكن الوقوع، أى لا يمنع مانع عقلى من وقوعه فى اللغة^(٢). وقال أكثرهم أيضا : إنه واقع فعلا "نقل أهل اللغة ذلك فى كثير من الألفاظ، فقد نصوا أحيانا على أن هذا المعنى أصل الوضع وبعد ذلك نجد معنى آخر يجعله بعضهم أصلا للوضع الآخر^(٣).

وأوجب بعضهم وقوعه وقال : لأن المعانى غير متناهية والألفاظ متناهية^(٤). فيلزم الاشتراك، ويجب وقوعه، ليفى بتغطية المدلولات الاجتماعية التى تسبق المدلولات اللغوية، وتجد فى المجتمع، حتى تفى اللغة بمطالب الحياة والأحياء^(٥).

أسباب وجود المشترك اللفظى فى اللغة العربية :
قيل إنه وجد فى اللغة بسبب الوضع، (إما من واضعين، أو من واضع واحد).

من واضعين : بأن يضع أحدهما لفظا لمعنى، ثم يضعه الآخر لمعنى آخر، ويشتهر ذلك اللفظ ما بين الطائفتين فى إفادته المعنيين وهذا على أن اللغات غير توقيفية

(١) دلالة الألفاظ : د/ أنيس : ٢١٤.

(٢) ينظر: المزهر : ٣٦٩/١، والمشارك اللغوى : ٢٧.

(٣) المزهر : ٣٦٩/١، والمشارك اللغوى : ٢٨.

(٤) المزهر : ٣٦٩/١، والمشارك اللغوى : ٢٨.

(٥) المشارك اللغوى : ٢٨.

وإما من واضح واحد : لغرض الإبهام على السامع : حيث يكون التصريح سببا لمضرة، كما روى أبى بكر - رضى الله عنه - وقد سئل عن النبى ﷺ وقت ذهابهما إلى الغار، من هذا . قال : رجل يهدينى السبيل^(١).

كما كان للمجازات المنسية دور فى نشأة المشترك اللفظى فقد ذكر ابن سيده رأيا للفارسي قال فيه : "أو تكون لفظة تستعمل بمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتغلب فتصير بمنزلة الأصل"^(٢).

- وكذلك كان لاحتكاك اللغات أو اللهجات دور فعال فى نشأة المشترك اللفظى.

- وذكروا من أسباب نشأته أيضا - التطور الصوتى : فقد ينال الأصوات الأصلية للفظ ما بعض التغيير أو الحذف أو الزيادة وفقا لقوانين التطور الصوتى^(٣).

وبعد فمن التعسف محاولة إنكار وقوع المشترك اللفظى فى اللغة العربية، لأن أئمة علماء اللغة قد شهدوا بوقوعه فيها ولأن كثيرا من أمثله ما لا يمكن تأويلها فهو واقع فعلا، بل كثير الوقوع بحيث لا يسوغ مطلقا إنكار وقوعه، وإنما كان كذلك لأن الألفاظ متناهية، و"الحروف محدودة ٢٨ حرفا غير الحركات وأبنية الكلام محدودة ثنائية وثلاثية ورباعية وخماسية، فالألفاظ التى يمكن تركيبها محصورة فيما يمكن تركيبه من هذه الحروف على الأبنية" بينما

(١) المزهر : ٣٦٩/١، وتاج العروس : ٩/١.

(٢) المخصص : ٢٥٩ / ١٣.

(٣) فقه اللغة : د/ وافي : ١٩٢.

المعاني غير المتناهية بل هي سيل لا ينتهي من العناصر
والموجودات وفيوض الفكر والعقل، فكان من الطبيعي أن تحمل بعض
الألفاظ أكثر من معنى واحد^(١).
ولم يقع المشترك جزافا بل يقع لعل وهي تنسحب في رأى أستاذ
الدكتور/ محمد حسن حسن جبل، على ما يقع من لهجات مختلفة^(٢).

(١) المعنى اللغوى : ١١٩، ١٢٠.
(٢) نفسه ص : ١٢٢.

القسم الثاني من المشترك هو "التضاد"

"التضاد في اللغة العربية هو أن يطلق اللفظ على معنى وضده، كلفظ "الجون" الذي يقع على الأبيض والأسود. و(الجل) المستعمل في الجليل والهيئ"^(١).

ومن العلماء من أثبت وقوعه في اللغة العربية ومنهم من نفى ذلك. فمن العلماء الذين اعترفوا بوقوعه في اللغة ابن فارس"^(٢) الذي عده من سنن العرب في الأسماء.

واحتج ابن الأنباري لوقوعه في اللغة العربية بأن وقوعه لا يؤدي إلى لبس وتعمية، كما أنه لا يتعارض مع الحكمة، ثم رد على من ظن هذا بضروب من الأجوبة : أحدهن : أن كلام العرب يصحح بعضه بعضا ويرتبط أوله بآخره، ولا يعرف معنى الخطاب منه الا باستيفائه واستكمال جميع حروفه فجاز وقوع اللفظة على المعنيين المتضادين لأنها يتقدمها ويأتي بعدها ما يدل على خصوصية أحد المعنيين دون الآخر ولا يراد بها في حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد"^(٣).

ومن العلماء المؤيدين المثبتين لوقوع التضاد في اللغة العربية ابن سيدة، حيث وجدناه قد اعترف به في الكميات والكيفيات واستقصى له رغم كل منكر، إذ يقول : "فأما اللفظة التي تدل على كميتين مختلفتين منفصلتين أو متصلتين كالبشر الذي يقع على العدد القليل،

(١) فقه اللغة : د/ وافي : ١٩٢.

(٢) الصاحبى : ١١٧.

(٣) ينظر كتاب الأضداد، تحقيق / محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية ببيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م : ١، ٢.

والكثير. والجلل الذى يقع على العظيم والصغير. واللفظة التى تدل على "كيفيتين" متضادتين كالنهل الواقع على العطش والرى، واللفظة الدالة على "كيفيات" مختلفة كالجون الواقع على السواد والبياض والحرمة، وكالسدفة المقولة على الظلمة والنور وما بينهما من الاختلاط. فأتى على جميعها مستقصى فى فصل الأضداد من هذا الكتاب، مثبتا لها، غير جاحد ومضطرا إلى الإقرار به على كل ناف معاند، ومبرنا للحكماء المتواظنين على اللغة أو الملهمين إليها من التفريط ومنزها لهم عن رأى من وسمهم فى ذلك بالذهاب إلى الإلباس والتخليط"^(١).

ومن الأمثلة التى ذكرها ابن سيدة فى فصل (الأضداد) فى كتاب "المخصص" دُحْتُ الشئ دَوْحًا، جمعته وفرقته، والجون : الأسود والأبيض، وأعطيته عطاء بئراً أى كثيراً، وقليلًا، والظن يقين وشك، والرهوة الارتفاع والاتحادار، وأسرت الشئ - أخفيته وأعلنته والمَقْوَر - السمين والمهزول، والقشيب - الجديد والخلق. والبين، الفراق، والبين الوصل وغيرها الكثير من الأمثلة"^(٢).

ومن علماء اللغة من أنكر وقوع التضاد فى اللغة العربية، وعمل على تأويل أمثلته تأويلا يخرجها من هذا الباب، بحجة أن التضاد يؤدى إلى التعمية، والإبهام، والتغطية ومن المعلوم لدى العلماء أن ابن درستويه على رأس هذا الفريق، إذ قيل إنه ألف كتابا فى إبطال

(١) المخصص : ٣/١.

(٢) ينظر المخصص : ٢٥٨/١٣ - ٢٦٦.

الأضداد، وهو نفسه أشار إلى ذلك حين قال : "النوء : الارتفاع
بمشقة وثقل، ومنه قيل للكوكب : قد ناء إذا طلع، وزعم قوم من
اللغويين أن النوء السقوط أيضا، وأنه من الأضداد، وقد أوضحنا
الحجة عليهم، في ذلك في كتابنا في إبطال الأضداد"^(١).

وفي الحقيقة أن ابن درستويه قد سلم بالقدر الضئيل النادر منه
وأرجع السبب في ذلك إلى تعدد اللغات واختلافها وإلى "الحذف
والاختصار"^(٢). فهو لم ينكره كلية.

ومن العلماء الذين أنكروا التضاد في اللغة العربية أحد شيوخ ابن
سيدة، فهو ينكر أن تكون لفظة واحدة لشيء وضده^(٣).

ومن المحدثين من ضيق في مفهوم ظاهرة التضاد تضيقا شديدا،
وذكر أن ألفاظ الأضداد التي تستحق أن يطلق عليها هذا الاسم تبلغ
نحو عشرين لفظا، فيقول الدكتور/ منصور فهمي : "إذا نحن حذفنا
من قائمة الأضداد التي ذكرها ابن الأتباري وأضرابه ممن بالغوا في
إثبات التضاد، ما يمكن أن نحذف في ضوء هذه الملاحظات التي رويها
بعضها عن المستشرق (رد سلوب) فربما لا يبقى من ألفاظ الأضداد
إلا نحو عشرين لفظا يصح أن تكون قد نشأت نشأة طبيعية "كما ذهب
إلى ذلك المستشرق "جيز Giese" بعد دراسته للشعر الجاهلي"^(٤).

(١) المزهر : ٣٩٦/١.

(٢) نفسه : ٣٨٥/١.

(٣) المخصص : ٢٥٩/١٣.

(٤) مجلة مجمع اللغة العربية سنة ١٩٥٣ م : ٢٣٧/٢.

كما أن هناك من المحدثين من ذهب هذا المذهب أيضا كالـدكتور/ إبراهيم أنيس، فقد صرح بأن أمثلة التضاد في اللغة لو غربلت وحلت، ثم حذف ما يدل على التكلف والتعسف منها لاتضح أن ما يستحق أن يسمى بالأضداد بمعناه العلمى الدقيق، من هذه الأمثلة هو نحو عشرين كلمة^(١).

وبعد ... فالتضاد موجود في اللغة العربية، ولا يجوز إنكاره إنكارا مطلقا، لأن القدماء والمحدثين من العرب وغيرهم وضعوا له مصنفات وهو وإن كان موجودا في اللغة لكنه قليل، والذين بالغوا في عدد ألفاظ الأضداد قد انحرفوا عن جادة الصواب. ذلك لأن هناك كثيرا جدا من الألفاظ حشرت حشرا بين الأضداد، بعد أن زيد في معناها زيادة لم تكن في أصل الوضع إن كان اللفظ مشتقا، ولاستعماله المؤلف المأخوذ به إن كان غير مشتق، أو لغير ذلك من الأسباب^(٢). والأسباب التي أدت إلى نشأة هذه الظاهرة في اللغة العربية كثيرة، منها:

١- اختلاف اللهجات^(٣). فبعض الألفاظ قد جاء التضاد فيها من اختلاف القبائل في استخدامها، وذلك كلفظ "وثب" المستعمل عند مضر بمعنى طفر^(٤) وعند حمير بمعنى قعد^(٥).

(١) في اللهجات العربية : ٢١٥، ونهج هذا النهج أيضا الدكتور/ صبحى الصالح، في كتابه "دراسات في فقه اللغة" ص : ٣٠٩، والدكتور/ وافي، في كتابه "فقه اللغة" : ١٩٧.

(٢) مجلة مجمع اللغة العربية : ٢٣٤/٢.

(٣) فقه اللغة . د/ وافي : ١٩٧.

(٤) طفر فلان طفرا وطفورا : قفز، المعجم الوسيط : ٥٧٩/٢ (طفر).

٢- التطور اللغوي : قد يحدث في بعض الأحيان، أن توجد كلمتان مختلفتان، لهما معنيان متضادان، فتتطور أصوات إحداهما بصورة تجعلها منطبقة على الأخرى تماما، فيبدو الأمر كما لو كانت كلمة واحدة لها معنيان متضادان.

ومن أمثلة ذلك في العربية : قول بني عقيل : "لمقت الكتاب" أي كتبه، وقول سائر قيس : "لمقت الكتاب" أي محوته. هكذا يبدو التضاد في الفعل : (لمق) غير أننا إذا عرفنا أن هناك فعلا آخر، بمعنى الكتابة، هو : "تمق" عرفنا أن بني عقيل قد تطور هذا الفعل الأخير في نطقها، فأبدلت النون لاما، والنون واللام من الأصوات المتوسطة في العربية، تلك الأصوات التي يحدث فيها الإبدال كثيرا، وبذلك صار الفعل : "لمق" فتطابق مع نظيره بمعنى (محا) وتولد التضاد بين المعنيين عن هذا الطريق^(١).

٣- رجوع الكلمة إلى أصليين. وقد يكون السبب في ذلك راجعا إلى انشعاب الكلمة من أصليين : فتكون في دلالتها على أحد الضدين منحدره من أصل، وفي دلالتها على مقابله منحدره من أصل آخر. وفي هذه الحالة نكون بصدد كلمتين لا كلمة واحدة.

ويرجع هذا التأويل، أو يحتمل الصدق في طائفة كبيرة من الأضداد. فمن ذلك مثلا (هجد) بمعنى نام وسهر، فمن المحتمل أن

(١) فقه اللغة د/ وافي : ١٩٧.

(٢) فصول في فقه العربية . د/ رمضان عبد التواب : ٣٥١، ٣٥٢.

تكون فى معنى النوم منحدره من هدا إذا سكن، وفى معنى السهر
من جد إذا اجهد لما فى السهر من الاجتهاد فى منع النوم^(١).
٤- ومن هذه الأسباب أيضا أسباب اجتماعية كالتطير وهو يشمل
التفاؤل والتشاؤم وكالتهم^(٢).

(١) فقه اللغة د/ وافي : ١٩٨.
(٢) فى اللهجات العربية د/ أنيس : ٢٠٨، ٢٠٩، بتصرف.

الترادف

عرف الإمام الفخر الرازي " المترادف " بقوله : " هو اللفاظ المفردة الدالة على شئ واحد باعتبار واحد . قال : " واحترزنا بالإفراد عن الاسم والحد فليسا مترادفين، وبوحدة الاعتبار عن المتباينين، كالسيف والصارم، فإنهما دلا على شئ واحد لكن باعتبارين أحدهما على الذات، والآخر على الصفة" (١).

إذا فالترادف : هو دلالة عدة ألفاظ على معنى واحد - دون فرق بينها - كالبر والقمح والحنطة (٢).

وقد اختلف اللغويين في الترادف ما بين مثبت ومنكر، فأما الذين أثبتوه وذهبوا إلى وقوعه وورده في ألفاظ اللغة العربية فكثيرون ويتزعمهم سيبويه، حيث أشار إلى ذلك في تقسيمه للكلام، فعد من الأقسام : " اختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو ذهب وأنطلق" (٣).

وأشار ابن جنى إلى ورود الترادف في اللغة العربية في كتابه "الخصائص" عند كلامه عن "تلاقى المعاني على اختلاف الأصول والمباني" (٤).

وابن سيده من الذين صرحوا بورود الترادف في اللغة العربية وأشار إلى الحاجة إليه وذلك للتوسع في الألفاظ، ولأن المخالفة بين الألفاظ أسهل من إعادتها أنفسها وتكويرها (٥).

(١) المزهر : ٤٠٢/١ .

(٢) فقه اللغة د / نجا : ٧٣ بتصرف .

(٣) الكتاب : ٢٤/١ .

(٤) الخصائص : ١١٣/٢ .

(٥) المحضص : ١٣/ ٢٥٨

ومن العلماء من أفرد الترادف بالتأليف كالفيروزآبادى فى كتابه :
"الروض المسلوف فيما له اسمان إلى ألوف" وأبو الحسن الرومانى
فى مؤلفه " الألفاظ المترادفة" .

ومن المحدثين غير العرب من ضيق فى مفهوم الترادف وهو
(ستيفين أولمان) حيث قال : "إن الترادف التام حالة نادرة الوقوع
بداهة فقد نجد اسمين يمكن التأكيد بسهولة على أنهما شئ واحد،
ولكن من الصعب أن نثبت تساوى أى معنيين فى الامتداد من حيث
الزمان والمكان، فهناك عاملان يعترضان سبيل الترادف التام، الأول :
غموض معنى الكلمة نفسها، والثانى المعانى الإضافية مما توحى به
الكلمة من إحساس وشعور، فالكلمات التى يمكن أن توصف بأنها
مترادفة هى تلك الكلمات التى يمكن أن تنوب إحداها عن الأخرى فى
أى نص لغوى دون أقل تغيير فى المعنى الفكرى والمضمون العاطفى
لها"^(٢).

ومن المحدثين العرب من ذكر شروطا معينة لوقوع الترادف بين
الكلمتين وهذه الشروط هى^(٣) :-

١ - الاتفاق فى المعنى بين الكلمتين اتفاقا تاما على الأقل فى ذهن
الكثرة الغالبة لأفراد البيئة الواحدة .

(٢) الترادف فى اللغة لحاكم مالك الزياى : ٢٦٤ .

(٣) فى اللهجات العربية . د / أنيس : ١٧٨ ، ١٧٩ .

٢ - الاتحاد فى البيئة اللغوية أى أن تكون الكلمتان تنتميان إلى لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللهجات .

٣ - الاتحاد فى العصر : فالمحدثون حين ينظرون إلى المترادفات ينظرون إليها فى عهد خاص وزمن خاص .

٤ - ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطور صوتى للفظ آخر .
وأما الذين ذهبوا إلى إنكار الترادف فى اللغة فيرون أن اللغة وضعت للإبانة ويعين على ذلك التخصيص بأن يختص اللفظ بمعنى والمعنى بلفظ، ودلالة لفظين أو أكثر على معنى واحد عبث وإبهام وتعمية .

وممن أنكر الترادف فى اللغة أبو على الفارسى، فقد اعترض على ابن خالويه حين قال فى مجلس الدولة : إنه يحفظ للسيف خمسين اسما، فقال أبو على مبتسما : أما أنا فلا أحفظ له إلا اسما واحدا وهو السيف، فقال ابن خالويه : أين المهند والصارم وكذا وكذا ؟ فقال أبو على الفارسى : هذه صفات^(١) .

ومن المبالغين فى إنكار الترادف أبو هلال العسكرى، ففى رأيه لا يوجد لفظان مترادفان إلا وبينهما فرق فى المعنى، حيث قال : "الشاهد على أن اختلاف العبارات والأسماء يوجب اختلاف المعانى أن الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، وإذا أشير إلى الشئ

(١) المزهر : ٤٠٥/١، واللهجات العربية د / نجا : ٩٧ .

مرة واحدة فعرف بالإشارة إلى ثمانية وثلاثة غير مفيدة، وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد^(١).

كما أنكر وجود الترادف في ألفاظ اللغة الراغب الأصفهاني، إذ يقول في مقدمة كتابه : "المفردات في غريب القرآن " : "وأتبع هذا الكتاب - إن شاء الله تعالى - ونسا في الأجل، بكتاب ينبئ عن تحقيق الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينهما من الفروق الغامضة، فبذلك يعرف اختصاص كل خبر بلفظ من الألفاظ المترادفة دون غيره، من أخواته، نحو ذكره القلب مرة والفؤاد مرة والصدر مرة"^(٢).

وبعد أن عرضت بعض آراء العلماء القدامى والمحدثين من المثبتين والمنكرين للترادف في ألفاظ اللغة العربية ووجهة نظرهم، وحجتهم .

أقول : إنه من التعسف إنكار وجود الترادف في ألفاظ اللغة العربية لأن تنويع الألفاظ والمخالفة بينها وعدم تكريرها يؤدي إلى جذب السامع، وهو أسهل من إعادتها أنفسها، كما أن الترادف موجود في ألفاظ القرآن الكريم وهو الكتاب الذي لا يطاوله كتاب في البلاغة والفصاحة، فلقد أقر معظم العلماء بوجوده في القرآن الكريم كما في "أقسم وحلف" و "بعث وأرسل"^(٣).

(١) الفروق اللغوية : ١٠، ١١ .

(٢) المفردات في غريب القرآن - تحقيق/ محمد السيد كيلاني ، دار المعارف ببيروت لبنان : ٦ .

(٣) ينظر : دراسات في فقه اللغة د / صبحي الصالح : ٢٩٩، ٣٠٠ .

ولأن الترادف - كما ذكر أستاذنا الأستاذ الدكتور/محمد حسن جبل: "يسوغ وقوعه لاختلاف الاعتبارات والملاحظ التي يمكن أن تعتبر وتلاحظ في الشيء الواحد فالجمل يمكن أن ينظر إليه كأكبر وأضخم حيوان في البيئة العربية فيسمى لذلك جملا، ويمكن أن ينظر إليه على أنه وسيلة الانتقال الوحيدة والرئيسية فيسمى بعيرا أو راحلة ... وأن استعمال أحد المترادفات مكان الآخر في مقام أو مجال ما قد يكون أنسب من استعمال مرادف آخر في ذلك المجال"^(١).

وأیضا فإن هناك عوامل تفرض وجود الترادف في اللغة العربية وهي أسباب نشأته ومن أهمها ما يلي :

١ - اختلاف اللهجات :

من الأسباب المسئولة عن نشأة أكثر المترادفات "اختلاف اللهجات" فقد قال أهل الأصول : "لوقوع الألفاظ المترادفة سببان : أحدهما : أن يكون من واضعين، وهو الأكثر بأن تضع إحدى القبيلتين أحد الاسمين، والأخرى الاسم الآخر للمسمى الواحد، من غير أن تشعر إحداهما بالأخرى، ثم يشتهر الوضعان، ويختفى الوضعان، أو يلتبس وضع أحدهما بوضع الآخر، وهذا مبني على كون اللغات اصطلاحية .

والثاني : أن يكون من واضع واحد وهو الأقل"^(٢). وأشار إلى هذا السبب بعض العلماء^(٣).

(١) المعنى اللغوي دراسة نظرية وتطبيقية . طبعة خاصة ٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م : ١٣٤، ١٣٥.

(٢) المزهر : ١/ ٤٠٥، ٤٠٦ ودراسات في فقه اللغة : ٢٩٩ .

٢- التطور الدلالي :

"يمكننا أن نفسر حدوث الترادف في كثير من الألفاظ بسبب التطور الدلالي الذي يحدث للألفاظ في حياتها، ذلك أن ظاهرة الترادف في جوهرها مسألة دلالية قبل كل شيء، وهي غالبا ما تكون نتيجة التطور في دلالة الألفاظ، فهي تؤلف موضوعا لغويا تاريخيا من حيث علم الدلالة التاريخية، ومن أجل ذلك سنجد كثيرا من ألفاظ اللغة قد ترادف كلية أو عامة والألفاظ التي تدل على معنى خاص أو جزئى. وقد تصبح مثل هذه الألفاظ مترادفة نتيجة تطورها الدلالي"^(١).

٣ - الصفات الغالبة :

"هناك صفات تفقد عنصر الوصفية مع مرور الزمن وتصبح أسماء لا يلحظ الكاتب، أو الشاعر ما كانت عليه فيؤدى هذا إلى الترادف وفيما روى للجمل والسيف والعسل من كلمات عربية كثيرة، خير شاهد على ما نقول، ولا سيما حين يراعى مفهومها بين الناس، في عصر معين، فالسيف كان يمانيا وهنديا، وكان لكل من النوعين سمات خاصة تميز هذا من ذاك، ولكن مثل هذه السمات قد تنوسيت وأصبح الشاعر فيما بعد يستحل لنفسه استعمال كل من اليماني والمهني، ولا يعنى بهما سوى المعنى العام المفهوم من كلمة السيف"^(٢).

(١) كالدكتور أنيس بنظر : فى اللهجات العربية : ١٨٢، ود / وافي فى : فقه اللغة : ١٧٢، ١٧٣، ود / رمضان عبد التواب فى : فصول فى فقه العربية ٣١٦-٣١٨ .
(٢) الترادف فى اللغة : ٨٠، ٨١ .
(٣) بنظر فى اللهجات العربية : ١٨٢، ١٨٣، وفقه اللغة د / وافي : ١٧٣، ١٧٤ .

٤ - المعرب والدخيل :

من الأسباب التي تؤدي إلى وقوع الترادف في العربية المعرب والدخيل "والذى يعنينا من أمر المعرب والدخيل تلك الألفاظ التي اقتبستها اللغة العربية من اللغة الأعجمية، ولها نظائر عند العرب من حيث الدلالة" ومن هنا كان المعرب والدخيل من أسباب وقوع الترادف في العربية^(١).

ومن بين الألفاظ المستعارة من الفارسية وغيرها "الدمقس والإستبرق للحرير، والزرجون والإسقنيط والبانق والدرياقة للخمر، والبهرج للباطل، والبخت للجد والحظ"^(٢).

(١) الترادف في اللغة : ١٦٧ .
(٢) فصول في فقه العربية : ٣٢١ .

التعريب

حدد الجوهري التعريب بقوله : "تعريب الاسم الأعجمي : أن تتفوه به العرب على منهاجها"^(١).

كيف نشأ التعريب؟ :

مما لا شك فيه أن المجتمعات البشرية من قديم الزمان تقيم فيما بينها علاقات تجارية وسياسية وثقافية واجتماعية، يتبع ذلك احتكاك لغوى ينجم عنه تأثر اللغات ببعضها، فلقد اتصل العرب فى جاهليتهم بالأمم المجاورة لهم كالفرس والأحباش والروم والسريان والنبط وغيرهم، واحتكت لغتهم العربية بلغات هذه الأمم جميعاً"^(٢).

كما أدت الفتوح العربية بعد الإسلام إلى احتكاك العرب بكثير من الشعوب التى لم يتصلوا بها من قبل، أو كان اتصالهم بها ضيق النطاق، وقد نجم عن هذا الاحتكاك وعن التطور الطبيعى للحضارة العربية أن ظهرت مستحدثات كثيرة لم يكن للعرب عهد بها من قبل فى ميادين الاقتصاد والسياسة والاجتماع والإنتاج الفكرى، فانتقل من جراء ذلك إلى اللغة العربية وإلى اللغات العامية المتفرعة منها عدد كبير من مفردات اللغة الفارسية والسريانية واليونانية والتركية والكردية والقبطية والبربرية والقوطية"^(٣).

(١) الصحاح : ١٧٩/١، والمزهر : ٢٦٨/١.

(٢) فصول فى فقه اللغة العربية : ٣٥٨.

(٣) فقه اللغة د/ وافى : ٢٠١ بتصرف.

منهج العرب فى تعريب الكلمات الأعجمية :
أشار الجواليقى إلى هذا النهج فقال : "اعلم أنهم كثيراً ما يجترئون
على تغيير الأسماء الأعجمية إذا استعملوها فيبدلون الحروف التى
ليست من حروفهم إلى أقربها مخرجاً، وربما أبدلوا ما بعد مخرجه
أيضاً. والإبدال لازم لنلا يدخلوا فى كلامهم ما ليس من حروفهم.
وربما غيروا البناء الفارسى إلى أبنية العرب. وهذا التغيير يكون
بإبدال حرف من حرف، أو زيادة حرف، أو نقصان حرف، أو إبدال
حركة بحركة، أو إسكان متحرك، أو تحريك ساكن، وربما تركوا
الحرف على حاله لم يغيروه".

"فمما غيروه من الحروف ما كان بين الجيم والكاف وربما جعلوه
جيماً وربما جعلوه كافاً وربما جعلوه قافاً، فلنقرب القاف من الكاف
قالوا "كَرْبَج" وبعضهم يقول "قربق"^(١).

وأبدلوا الحرف الذى بين الباء والفاء فاءً وربما أبدلوه باءً، قالوا:
"فالوذ" و"فرند" وقال بعضهم : "برند"^(٢).

ومما أبدلوا حركته (آشوب) فقال الجواليقى : "والأشائب" الأخلاط
من الناس قيل إنها فارسية معربة، أصلها "آشوب"^(٣).
ومما زادوا فيه من الأعجمية ونقصوا "إبريسم" و"إسرافيل"، ومما
تركوه على حاله فلم يغيروه "خراسان"^(٤).

(١) المعرب. تحقيق : أحمد محمد شاكر، دار الكتب ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م : ٥٤.

(٢) نفسه : ص ٥٥.

(٣) نفسه : ص ٥٦، ٥٧.

(٤) نفسه : ص ٥٦.

تمييز الأجنبي من الأصل :
وضع علماء اللغة العربية علامات يمكن بها تمييز الاسم الأعجمي
هى :

- ١- النقل بأن ينقل ذلك أحد أئمة العربية.
 - ٢- خروجه عن أوزان الأسماء العربية نحو "إبريسم" فإن مثل هذا الوزن مفقود فى أبنية الأسماء فى اللسان العربى.
 - ٣- أن يكون أوله نون ثم راء نحو "ترجس"، فإن مثل ذلك لا يكون فى كلمة عربية.
 - ٤- أن يكون آخره زاي بعد دال نحو مهندز، فإن ذلك لا يكون فى كلمة عربية.
 - ٥- أن يجتمع فيه الصاد والجيم نحو "الصولجان" و"الجص".
 - ٦- أن يجتمع فيه الجيم والقاف نحو "المنجنيق".
 - ٧- أن يكون خماسيا ورباعيا عاريا عن حروف الذلاقة، وهى (الباء ، والراء، والفاء، واللام، والميم، والنون)، فإنه متى كان عربيا، فلا بد أن يكون فيه شئ منها، نحو : سَفَرَجَل، وَقَذَعَمِل، وَقِرْطَعَب، وَجَحْمَرَش^(١).
- كما نقل السيوطى عن الفارابى قوله : " والجيم والتاء لا تجتمع فى كلمة من غير حرف ذَوَلَفَيَّ ولهذا ليس الجبت من محض

(١) المزهر : ٢٧٠/١.

العربية والجيم والطاء لا يجتمعان فى كلمة واحدة، ولهذا كان الطاجن والطيجن مولدين لأن ذلك لا يكون فى كلامهم الأصيل^(١).

المعرب فى القرآن الكريم :

"اختلف فى وقوع المعرب فى القرآن : فالأكثر ومنهم الإمام الشافعى وابن جرير، وأبو عبيدة، والقاضى أبوبكر، وابن فارس على عدم وقوعه فيه لقوله تعالى : ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾^(٢)، وقوله تعالى : ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا آجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَبِي وَعَرَبِيٌّ﴾^(٣)، وقد شدد الشافعى النكير على القائل بذلك^(٤).

"وقال الإمام الشافعى فى "الرسالة" فى باب البيان الخامس ما نصه: "وقد تكلم فى العلم من لو أمسك عن بعض ما تكلم فيه لكان الإمساك أولى به، وأقرب من السلامة له، فقال قائل منهم : "إن فى القرآن عربيا وأعجميا، والقرآن يدل على أنه ليس فى كتاب الله شئ إلا بلسان العرب"^(٥).

وقد ذكر أبو عبيدة أن القرآن إنما أنزل بلسان عربى مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول^(٦).

(١) المزهر : ٢٧٠/١، ٢٧١.

(٢) الزخرف : ٣.

(٣) فصلت : ٤٤.

(٤) الإتيان للسيوطى . مطبعة مصطفى الحلبي بمصر، ط ٤/، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م : ١٧٨/١.

(٥) البرهان للزركشى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم : ٢٨٧/١.

(٦) ينظر الإتيان للسيوطى : ١٧٨/١.

وقال ابن فارس : "لو كان فيه من غير لغة العرب شئ لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله، لأنه أتى بلغات لا يعرفونها"^(١).

"ومذهب ابن العباس وعكرمة وغيرهما أنه وقع القرآن ما ليس من لغتهم"^(٢). وقال أبو عبيد القاسم بن سلام بعد أن حكى القول بالوقوع عن الفقهاء والمنع عن أهل العربية "والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء إلا أنها سقطت إلى العرب فعربتها بألسنتها وحولتها على ألفاظ المعجم إلى ألفاظها، فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال أعجمية فصادق"^(٣).

رأى ابن الجوزى :

مال ابن الجوزى إلى ما قاله أبو عبيد القاسم بن سلام، كما مال إليه من قبل الجواليقي وهذا ما نص عليه السيوطي في كتابه "المهذب"^(٤):

وأميل إلى ما قاله أبو عبيد القاسم بن سلام وإلى ما مال إليه الجواليقي وابن الجوزى ذلك لأن اللغة العربية من اللغات الإنسانية فهي قابلة للتأثير والتأثر، يقول الدكتور/ صبحي الصالح : "إن

(١) الصاحبى : ٤٦.

(٢) البرهان : ٢٨٨/١.

(٣) نفسه : ٢٩٠/١.

(٤) ينظر ص ١٩.

العربية ليست بدعا من اللغات الإنسانية فهي جميعا تتبادل التأثير والتأثير وهي جميعا تقرض غيرها وتقترض منه، متى تجاوزت أو اتصل بعضها ببعض على أى وجه وبأى سبب وأية غاية^(١).

(١) دراسات في فقه اللغة : ٣١٤، ٣١٥.

ابن فارس

نسبه ومولده :

هو: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن
حبيب القزويني الرازي ، من أئمة اللغة العربية وأعيان أهل
العلم .

ولقد أفلت التراجم ذكر مولده ، وسكت عنه هادر التاريخ
فلم نعتز على مرجع صحيح يمكن الاستناد إليه ، أورد ذكر
ميلاده ، وإن كانت بعض المراجع تذكر تاريخ مولده ، فبما بين
سنة ٢٠٦هـ / ٨٠٨هـ ، على وجه التقريب وكل ذلك ضرب من
الحدس والتخمين (١) .

ثقافته :

كان رحمه الله واسع الأدب متبحرا في اللغة العربية فقيها
شافعيًا ، ينصر مذهب مالك بن أنس وطريقته في النحو وطريقته

المكثرة
(١) دراسات لغوية في المصاحبي والخصائص والزهره دكتور /
أمين فاخر ، مطبعة السعادة ١٩٧٦م ص : ٥٥ ، ومن
عين التراث اللغوي ٥٠٩ / د / محمد السيد عطية بكسر
ط / ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م ص : ٥٥ .

الكوفيين ، وكان بحث الفقهاء دائما على معرفة اللغة (١) .
وكان ابن فارس يتتبع بمقلية فذة ، ويحظى بمكانة مرموقة
ومنزلة سامية بين علماء عصره ، وهو مؤلف السجل في اللغة ،
ومقاييس اللغة ، الذي احتل مرتبة رفيعة في التأليف اللغوي ،
وكان ابن فارس غير مبرز في تناول الاشتقاق في معجمه هذا ،
جميع نأوى ، ويصنف فأجاد ، وفسر فأبان ، وفاق أقرانه ،
وزاد تراجه ، وتقدم أكتافه ، وطال حركته (٢) .

ومع نبوغ ابن فارس في علم اللغة وثقافته فيها لم يحرم من
موهبة الشعر ولا من تذوقه لمعانيه ، فقد روى له شعر يسدل
على براعته فيه وحذقه له ، وشعره صورة دالة على ظفره وحسن
قريحه على طريقة الشعراء المبدعين وتفت منه رائحة التهكم
والسخرية وشكوى الزمان .

وفي الأبيات الآتية يرسم لنا صور لمعدان يعبر فيها عن
ضيق ذات اليد ، وما يعانيه فيها من شظف العيش ، وحرقة
الجوع ، في كلمات تقطر سخرية وازدراء . يقول :

(١) معالم البحث اللغوي ، ص : ١٣٩ .
(٢) قراءات وأفكار وقضايا ، ص : ١٦ .

سَقَى هَذَا النِّهْثُ لَسْتُ بِقَائِلٍ
سَرَى ذَا رُحَى الْأَحْشَاءِ نَارُ تَغْشَرُ
وَمَا لِي لَا أَمْنِي الدِّعَاءَ لِبَلْسَدَةٍ
أَفَدْتُ بِهَا نَسِيَانًا مَا كَتَّ أَعْلَسُ
نَسِيتُ الَّذِي أَحْسَنْتُهُ غَيْرَ أَنَّنِي
مَدِينٌ وَمَا نِي جُوفُ بَيْتِي دِرْهَمُ

صورة ثانية من صور السخيرة يطالع الناس الذين يحبون
العال حبا جما وينسون في سبيله ما ينبغي أن يكون عليه الناس
من تقدير لذوات الأشخاص وما يتمتعون به من نيل الطبع
وكسب السجيا . يقول :

يَا لَيْتَ لِي أَلْفَ دِينَارٍ مَوْجِهَةٍ
وَأَنْ حَظِّي مِنْهَا حَظُّ فُلَانٍ
قَالُوا فَمَا لَكَ مِنْهَا ؟ قُلْتُ تَخْدُ مَنِي
لَهَا وَمِنْ أَجْلِهَا - الْحَقُّ مِنَ النَّاسِ

ويقول :

إِذَا كَتَنِي حَاجَةٌ مَرْسَلَا
وَأَنْتَ بِهَا كَلْفٌ مُغْرَمُ
٢٧

فأرسل حكيمًا ولا توهـ

وذاك الحكيم هو الذرهم

وهذه صورة ثالثة يصور فيها حظوظ الأدباء والمعلماء يقول
فيها :-

وما حسب لي أثنى يستشير وقد

أراد في جنات الأرض ضطربا

قلت : اطلب للآمنشئ شئت واشع ورد

منه الموارد إلا العلم والأدب

في صورة أخرى يقف موقف الواعظ الحكيم يحث الناس على
الرضا بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره ، فهو وحده يملك
مقادير الأمور ولا يجرى في الكون إلا ما تقضى به مشيئته ،
فيقول :

تلبس لباس الرضا بالقضا

وخل الأمور لمن يملك

تقدر أنت رجاري القضا

ما تقدره يضحك

وتنهي هذه الصورة الشعرية بنموذج يضرع فيه إلى الله
بالدعاء من صميم قلبه أن يغفر له ذنوبه التي عظمت والله من
الصلوات

ورائها محيطه يقول :

يا رب إن ذنوبي قد أحطت بها

علما من وإعلاني وإسـرارـي

أنا الموحد لكى الغر بها

فهب ذنوبي لتوحيدى وإسـرارـي^(١)

أساتذته وشيوخه :

أخذ العلم من أبيه فارس بن زكريا وروى عنه الكثير فى كتبه
قال ابن فارس : سمعت أبي يقول : سمعت محمد بن عبد الواحد
يقول : إذا نُتِجَ ولد الناقة فى الربيع وضعت عليه أيام فهو نُسج ،
فلذا نُتِجَ فى الصيف فهو هُجج ، فإذا نُتِجَ بين الصيف والربيع
فهو هُجْجَة . (٢) .

ومن أساتذته المشهورين : على بن إبراهيم بن سلمة
ابن بحر القطان القزوينى أبو الحسن الذى نبغ فى الفقه والنحو
واللغة والتفسير ، واشتهر بالزهد والورع .

(١) ينظره من ميون التراث اللغوى ص : ١١٠ هـ ومجمع
الأدباء لياقوت الحموى ط / ٢ هـ دار الطائون ١٩٩٢ م ص
٩٠ / ٩٨ .

(٢) مقاييس اللغة تحقيق هارون ط / ١ هـ دار احيا الكـتب
العربية ه عيسى الحلبي ٧ / ١ المقدمة .

ومن أئدته : على بن عبد الرحمن الكي أبو الحسن ،
و أبو عبد الله أحمد بن طاهر النجم وسليمان بن أحمد الطبراني
اللخمي أبو القاسم (٣٦٠ هـ) الذي كان فزير العلم واسع
الثقافة كثير الصانيف ، رحل إلى بلاد كثيرة في طلب العلم ،
كالشام والعراق والحجاز ومصر ، من مؤلفاته : المعجم الثلاثة :
الكبير ، والأوسط ، والصغير (١) .

تلاميذه :

تلفد عليه كثيرون ، منهم : ابن خالويه بالشام ، وابن كسر
الخوارزمي بخراسان ، وديع الزمان الهذلي بهمدان ،
والصاحب بن عباد بالري (٢) ، وهو أول من لقب بالمصاحب
من الوزراء لأنه كان يصحب أبا الفضل بن العميد فقيل له :
" صاحب ابن العميد " ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولّى
الوزارة ، وبقي علمائهم ، وقيل : سى بالمصاحب لأنه صاحب
مفيد الدولة أبا منصور بويه بن ركن الدولة بن بويه الذي لم يسي

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ، المطبعة الهندية بمصر ،
سنة ١٢١٠ م ، ١٤١ / ٢ هـ ، ومن عمون التراث اللغوي ،

ص : ١٤ .

(٢) قراءات وأفكار ونضايما ص : ١٦ .

وتولى وزارته بعد أبي الفتح على بن أبي الفضل بن العميد . وكان
الصاحب بن عباد من أعاجيب الزمان ذكاه وخطنه ، وله مؤلفات
في اللغة مثل : المعجم المحيط ، وكتاب الكافي ، وديوان
من الشعر (١) .

آثاره العلمية (٢) :

- لقد ألف ابن فارس كتابا كبيرا في قضايا اللغة ونسب
العلماء من أهمها :
- ١ - الإبداع والزراعة طبع بالمانية سنة ١٩٠٦ م ، ثم في القاهرة
سنة ١٩٤٧ م .
 - ٢ - تلطام الفصح ، طبع في القاهرة سنة ١٩٤٦ م .
 - ٣ - الجوابات ، ذكره ابن فارس في الصحابي ص : ٤٠٥ .
 - ٤ - حلية الفقهاء .
 - ٥ - سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، وله أسما شتى ، وقد طبع
لا ابن فارس كتاب :
 - ٦ - أوجز السير لخبر البشر في الجزائر سنة ١٣٠١ هـ ثم
في الهند سنة ١٣١١ هـ .
-
- (١) من معيون التراث اللغوي ص : ١٦٥١٥ .
(٢) السابق : ١٨٥١٧ ومقدمة الناشر للصحابي ج / السيد صقر .

- ٧ - صاحبى وقد طبع فى القاهرة سنة ١٣٢٨ هـ .
- ٨ - فتيا فقيه الحرب ، طبع بدمشق سنة ١٣٥٨ م .
- ٩ - كفاية المتعلمين فى اختلاف النحويين .
- ١٠ - اللغات ، طبع فى مجلة اسلامية ١ / ٧٧ / ١٩ .
- ١١ - متغير الألفاظ ، طبع ببغداد سنة ١٩٧٠ م .
- ١٢ - المجمل فى اللغة ، طبع الجزء الأول منه فى القاهرة ،
سنة ١٩٤٧ م .
- ١٣ - المحصل فى النحو .
- ١٤ - الذكر والمؤنث ، طبع فى القاهرة سنة ١٩٦١ م .
- ١٥ - مقاييس اللغة ، طبع فى القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ .

الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها

سبب التسمية بالصاحبي :

سمى ابن فارس كتابه هذا باسم الصاحبي نسبة إلى الصاحب
ابن عباد ، لأنه أودعه خزائنه وفي ذلك يقول ابن فارس : " هذا
الكتاب الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامها ،
وانما عنونت بهذا الاسم لأنني لما ألفت أودعته خزانة الصاحب
الجليل كافي الكفاة - عمر الله عرائس العلم والأدب والخير
والعدل بطول عمره - تجملا بذلك وتحسنا ، إذ كان ما يقبله
كافي الكفاة من علم وأدب مرضيا مقبولا ، وما يزدله أو ينقصه
منقيا مرذولا لأن أحسن ما في كتابنا مأخوذ عنه ونهاد منه " (١) .

موضوعاته :

قسم ابن فارس علم العربية قسمين ، قسم نوصي ، وآخر أصلي ،
إذ يقول : " إن لعلم العرب أصلا وفرعا " .

(١) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب ، لابن فارس ، تحقيق
السيد أحمد صقر عيسى الحلبي ١٩٧٢م ص : ٣ .

أما الفرع فمعرفة الأسماء والصفات ه كقولنا : رجل ضرس ه
وطويل وقصير ه وهذا هو الذي يبدأ به عند التعلم .

وأما الأصل فالقول على موضع اللغة وأوليتها ومنشأها ه
ثم على رسل العرب في مخاطبتها ه وما لها من الإقتان تحقيقا
ومجازا .

والناس في ذلك رجلان : رجل شغل بالفرع فلا يعرف غيره ه
وأخر جمع الأمن مما ه وهذه الرتبة العليا لأن بها يعلم
خطاب القرآن والسنة عليها يعمل أهل النظر والفتيا وذلك
أن طلب العلم العلوي يكفى من أسماء الطويل باسم الطويل
ولا يضيره أن يعرف الأشقي (١) والأمقي ه وإن كان في علم ذلك
زيادة فضل (٢) .

والتأمل في مادة الكتاب يجد أنه اشتمل على مسائل
صوتية كالحديث عن الحرف ه وصرفية كالحديث عن المصباح ه
ونحوية كإقسام الكلام ه ودلالية كالحديث عن هاني الألفاظ

(١) الأشقي : الطويل من الرجال والخيل . . . والأمقي :
الطويل عامة أو البالغ الطول في دقة . ينظر : اللسان :
(شقي ه دمي) .

(٢) الصاحبى ه ص : ٤٥٣ ٤٥٤

وأسلوبية كالحديث عن الحقيقة والجزاء ، والاستعارة والكناية
كما أنه اشتمل على مسائل عامة كالحديث عن نشأة اللغة
ولهاجتها ، وغير ذلك (١) .

لهم افراض الكتاب :

الفرض الأساسي من هذا الكتاب : هو فهم كتاب الله ،
وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعرفة أسرار العربية
إذ يقول ابن فارس :

” أقول إن العلم بلغة العرب واجب على كل متعلق بمن
العلم بالقرآن والسنة والفتيا بسبب حتى لا فناء بأحد منهم
عنه ، وذلك أن القرآن نازل بلغة العرب ، ورسول الله - صلى
الله عليه وسلم - عربي ، فمن أراد معرفة ما في كتاب الله - عز
وجل - وما في سنة رسوله صلى الله عليه وسلم - من كل كلمة
غريبة أو نظم عجيب لم يجد من العلم باللغة بدا (٢) .

(١) فقه اللغة في الكتب العربية : ٤٦ ، ٤٥ .

(٢) الصاحبي : ٥٠ .

أهم ملاح منهج الكتاب (١) :

١ - بدأ كتابه بمقدمة عرض فيها لموضوع الكتاب والمهدف من تأليفه .

٢ - من الواضح أن ابن فارس كان يهدف من وراء تأليفه لهذا الكتاب إلى إبراز أهمية اللغة العربية والفقه ، وهكذا يبرهن ابن فارس وفق هذا المنهج الذي خطه لنفسه من الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي وكلام العرب ليصل في النهاية إلى أن لغة العرب هي كل هذا ما دامت قد بعدت عن اللهجات الذمومة والرديقة ما يخل في نظره خروجاً على ما تعرفه العرب حينئذ يقول "العَرَبُ" فإنه يعني طائفة الفصحاء الذين لم تشبههم شائبة ، ولم يتسرب اللحن إلى لغاتهم (٢) .

٣ - حاول ابن فارس أن يوائم بين عنوان الكتاب الذي اختاره له وهو: "الصاحب في فقه اللغة وستن العرب في كلامهم" وبين موضوعاته التي عرض لها ليكون منهجه مستقيماً لا عوج فيـــــــــــــــــه

(١) ينظر: من عيون التراث اللغوي : ٣١ : ٥٠ .

(٢) الغرر للسيوطي : ٢١٠ / ١ .

ولا أكتف . فالمباحث اللغوية التي استعمل بها الكتاب مثل :
الكلام على نشأة اللغة والحديث عن العربية من حيث هي
أفضل اللغات ، وشروط فصاحتها . . . وكل هذه الأمور
تدخل في نطاق فقه اللغة ، وتشكل ثلثه الأول .

والثالث الثاني يدخل مسائل في النحو والصرف عادة مما
يبدأها بقوله : العرب تقول كذا وتعمل كذا وتذكر كذا أو مخاطب
كذا . أو قال : أهل العربية أو علم العربية لأهل العلم
ويعرض للمصألة من جميع الوجوه (١) .

وفي الثالث الأخير يكثر من قوله : " ومن سنن العرب " وهي
مسائل في جلها بلاغية (٢) ، وأحيانا يستعمل هذه العبارة
في المسائل النحوية .

٤ - نهج ابن فارس في الكتاب نهجا علميا أميناً حينما
يذكر الآراء منسوبة لأصحابها ، والأقوال مشفوعة بقائلها .

٥ - وضع من تأثر ابن فارس بالأصوليين والفقهاء أنه كان
ينقل بعض آرائهم في اللغة فيلزمهم فيها تارة ويعارضهم تارة

(١) الصحاح من : ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٤٦ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٥ .

(٢) نفسه من : ٢٧٧ ، ٢٨١ ، ٢٨٦ ، ٢٩٤ ، ٣١٢ ، ٤١٤ ، ٤١٨ .

أخرى . وكان يمكن من ذكر أصحاب هذه الآراء أحيانا
ربما لشهرتها عنهم . مثل قول الإمام الشافعي - رضي الله
عنه (١) - أن كلام العرب لا يحيط به إلا نبي . يقول ابن
فارس في (باب القول على لغة العرب وهل يجوز أن يحاط
بها ؟ قال بعض الفقهاء : كلام العرب لا يحيط به إلا نبي .
وهذا كلام حري أن يكون صحيحا . وما بلغنا أن أحدا ممن
ضى أضيء حفظ اللغة كلها . (٢) .



(١) ينظر: دراسات لغوية د / فاخره ص : ٨٠ .
(٢) الصاحبى : ٢٦ .

باب القول على لغة العرب: أتوقيف أم اصطلاح ؟

يقول ابن فارس : " أقول : إن لغة العرب توقيف ، ودليل ذلك قوله جل ثناؤه : (وَلَكَمْ آدَمُ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا) (١) . فكان ابن عباس يقول : علمه الأسماء كلها وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة وأرض وسهل وجبال وحجر وأشجار ذلك من الأم وغيرها .

وروي خفيف من حيث قال : علمه اسم كل شيء .

وقال غيره : إنما علمه أسماء الملائكة - وقال آخرون : علمه أسماء ذريته أجمعين . والذي نذهب إليه في ذلك ما ذكرناه من ابن عباس .

فإن قال قائل : لو كان ذلك كما تذهب إليه لقال : " ثم عَرَضْتَنِ أَوْ عَرَضَهَا " فلما قال : (عَرَضْتَهُنَّ) علم أن ذلك الأسماء بنى آدم أو الملائكة . لأن موضع الكتابة في كلام العرب أن يقال لَمَّا يَمُوتُ (عَرَضَهُ) ولم لا يَمُوتُ : (عَرَضَهَا أَوْ عَرَضْتَهُ) .

قيل له : إنما قال ذلك - والله أعلم - لأنه جمع ما يعقل
وما لا يعقل ، فغلب ما يعقل ، وهي سنة من سنن العرب ،
أعني باب التغليب وذلك قوله جل ثناؤه : (وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ
مِّن مَّا يَخْتِي عَلَى بَاطِنِهِ وَفِيهِمْ مَّن يَخْتِي عَلَى رِجْلَيْهِ
وَمِنْهُمْ مَّن يَخْتِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ) (١) ، فقال منهم تغليبا لمن يختي على رجلين
وهم بنو آدم .

فإن قال قائل : أفتقولون في قولنا : سيف وحسام ونسب
إلى غير ذلك من أوصافه : إنه توقيف حتى لا يكون شيء منه
مصطلحا عليه قيل له : كذلك نقول :

والدليل على صحة ما نذهب إليه اجماع العلما على
الاحتجاج بلغة القوم فيما يختلفون فيه أو يتفقون عليه ، ثم
احتجاجهم بأشعارهم ، ولو كانت اللغة موضوعة واصطلاحا
لم يكن أولئك في الاحتجاج بهم أولى منا في الاحتجاج بنسبنا
لواصطلحننا على لغة اليوم ولا فرق .

ولعل ظانا يظن أن اللغة التي دَلَلنا على أنها توقيفية

إنما جاء في جملة واحدة وفي زمان واحد .

وليس الأمر كذلك بل وقف الله عز وجل آدم عليه السلام على ما شاء أن يعلمه ، إياه ما احتاج إلى علمه في زمانه وانتشر من ذلك ما شاء الله تعالى .

ثم علم بعد آدم عليه السلام من عرب الأنبياء صلوات الله عليهم نبيا نبيا ما شاء أن يعلمه حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فأثاء الله عز وجل من ذلك ما لم يؤت أحدا قبله تماما على ما أحسنه من اللغة المتقدمة .

ثم قرأ الأمر قراره ، فلا تعلم لغة من بعده حدث . . . (١)
فيرى ابن فارس أن اللغة توقفية من الله عز وجل علمها لآدم ثم علم بعد آدم من الأنبياء صلوات الله عليهم نبيا نبيا ما شاء الله أن يعلم حتى انتهى الأمر إلى نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فأثاء الله من ذلك ما لم يؤت لأحد قبله زيادة على ما أحسنه من اللغة المتقدمة ، وتكلم له ، ثم استقر الأمر فلم توجد لغة بعد ذلك ، ومن ثم يتحدد مذهب ابن فارس في نشأة اللغة وتطورها . ومضمونه أن اللغة توقفية في نشأتها وفي تطورها .

(١) الصاحبى : ٦ - ١ .

واكتالهما ، وإنما لم تات دفعة واحدة ، وفي
زمان واحد (١) .

نموذج آخر من كتاب (الماحي) :

باب القول في أفصح العرب :

يقول ابن فارس : " أخبرني أبو الحسن أحمد بن محمد مولى
بنى هاشم بقرون قال : حدثنا أبو الحسن محمد بن عباس
الخشكي قال : حدثنا إسماعيل بن أبي عبيد الله فقال : أجمع
علمائنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم ، والعلماء بلغاتهم
وأياهم ومحالهم : أن قرىنا أفصح العرب السنة وأصفاهم
لغة ، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب
وأصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم ،
فجعل قرىنا قطان حرة وجيران بيته الحرام ، وولاته .

فكانت وفود العرب من حجاجها وغيرهم يقدون إلى مكة للحج
ويتحاكمون إلى قرىنا في أمورهم وكانت قرىنا تعلمهم وتحكم بينهم ،
ولم تزل العرب تعرف لقرىنا فضلها عليهم وتسميها : أهل الله

(١) قرأت وأفكار وقضايا ص : ١٨

لأنهم الصريح من ولد إسماعيل عليه السلام ، لم تشبههم شائبة
ولم تنقلهم من مناسبتهم ناقلة ، فضيلة من الله - جل ثناؤه -
لهم وتشريفًا إذ جعلهم رهط نبيه الأذنين ، وقرته الصالحين .

وكانت قريش - مع فصاحتها وحسن لغاتها ورقة ألسنتها -
إذا أتتهم الوفود من العرب تغربوا من كلامهم وأشعارهم
أحسن لغاتهم وأصفى كلامهم ، فاجتمع ما تغربوا من تلك
اللغات التي تحايرهم ولاقهم التي طبعوا عليها فصاروا
بذلك أفصح العرب .

ألا ترى أنك لا تجد في كلامهم منعة نعم ولا عجزية (١)
فيس ، ولا كشكشة أسد ، ولا كسكة ربيعة ، ولا كسر السدي
نسمه من أسد وقيس مثل تعلمون ، ويعلم مثل شعير -
ويحير (٢) .

(١) المعجزة والمعجزة : الجفوة في الكلام والخرق في العمل
والسوفة في الشيء . اللسان (عجرف) .

(٢) (٢) صاحب : ٣٤ ، ٣٣ .
٣٣٦

نموذج آخر من كتاب المصاحبي :

باب القول على لغة العرب :

يقول ابن فارس: "هل لها قياس؟ وهل يشتق بعض الكلام من بعض؟" أجمع أهل اللغة - إلا من شذ عنهم - أن للغة العرب قياساً وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض.

وأن اسم الجن مشتق من الاجتنان ، وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستره تقول العرب للدّرع : جَنَّةٌ وأَجَنَّةُ الليل . وهذا جنين أي هو في بطن أمه ، أو مقبور .

وأن الإنس من الظهوره يقولون : آتت الشئ ، أي : أبصرته . وعلى هذا سائر كلام العرب ، عليم ذلك من عليم وجهله من جهل قلنا : هذا أيضا مبني على ما تقدم من قولنا في التوقيف ، فبيان الذي وقفنا على أن الاجتنان الستره والذى وقفنا على أن الجن مشتق منه .

وليس لنا اليوم أن نخترع ولا أن نقول فيما قالوه ، ولا أن نقيس قياساً لم يقتبسوه ، لأن في ذلك فساد اللغة ، وبطلان حقائقها ، ونكتة الباب ، أن اللغة لا تتخذ قياساً نقيسها الآن نحن (١) :

~~~~~

## ابن جنى وجولة مع بعض مؤلفاته

### التعريف به :

هو عثمان بن جنى ، ولا يعرف من نسبه من وراء هذا ،  
وذلك أنه غير عربى (١) ، فهو ينتسب إلى قبيلة (الأزد) العربية  
بالسؤلا (٢) .

وجنى : بكسر الجيم وكسر النون مشددة وسكون اليا ، ومعرب  
يكتى من أصل يونانى وهو (جنايوس) أى : كريم المحتد ، سامى  
التفكير ، وتشديد النون هو الأشهر ، وقد تخفف (جنى)  
ولا تشدد اليا ، كيا ، النسب ، إذ ليست بها ، ولا تعامل فى  
الإعراب معاملة الكلمات العربية ، بل تعرب على الحكاية لحالها  
فى العجمة (٣) .

- 
- (١) مقدمة الخصائص : ١ / ٥ والفهرست لابن النديم ط / هر  
١٣٤٨ هـ ص : ١٢٨ هـ ، بغية الوعاة فى طبقات اللغويين  
والنحاة للسيوطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم : ١٣٢ / ٢  
(٢) بغية الوعاة : ١٣٢ / ٢ .  
(٣) بغية الوعاة : ١٣٢ / ٢ ، ومقدمة الخصائص : ١ / ٨٥٥ هـ  
والمرجز فى البحث اللغوى ، د . محمد سعيد :  
١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م ص : ٧٠ ، ٧١ .

### كَيْتِه :

أبو الفتح النحوى ، وهى الكنية التى يجريها نسي  
كتبه (١) ، ولم يكن من أولاده من اسمه الفتح ، وأن كَيْتِه بأبى  
الفتح ، كما قال الشاعر :

لها كنية عمرو وليس لها عمرو (٢)

وكان يحس بضعة عند الناس لكونه غير عربى ، وقد جعل  
من غرقه فى العلم تمويضا عن هذا النقص ، إذ يقول :

فإن أُصِبحَ بِلَا نَسَبٍ

فعلنى فى السرى نَسَبِي

على أن أول إلـى

قُروم (٣) سادة نَجُوبٍ

قياصرة إذا نطقوا

أرْمَ (٤) الدهر ذو الخطبِ

- 
- (١) المحتسب ص : ٥ من المقدمة .  
(٢) الخصائص ص : ٥٦ من المقدمة .  
(٣) جمع قَرْم ، والقَرْم من الرجال : السيد المعظم . ينظر :  
المعجم الوسيط ( قرم ) .  
(٤) أرم : سكت ، المعجم الوسيط ( رم ) .



## أولاً دعاء النبي لهم كفى شرفاً دعاء نبي (١)

### مولده :

ولد ابن جني في الموصل ووافي في القرن الرابع الهجري  
وقد اختلفت الروايات في تحديد السنة التي ولد فيها والسنة  
التي مات فيها ، ولكن الأرجح من هذه الروايات أنه ولد بالموصل  
سنة ٣٢١هـ وتوفي ببغداد سنة ٣٩٢هـ (٢) .

### نشأته :

نشأ ابن جني بالموصل وتلقى مبادئ التعليم فيها . وقد أخذ  
النحو عن أحمد بن محمد الموصلي الشافعي المعروف بالأخفش ،  
وقرأ الأدب في صباه على أبي علي الفارسي (٣) .

ويذكر الرواة في بدء اتصاله بأستاذه أبي علي الفارسي أن أبا  
علي مر عليه يوماً وهو يتكلم في مسألة قلب الواو ألفاً في نحو : قامَ

- 
- (١) ينظر: معجم الأدباء لياقوت الحموي ١٢ / ٩٦ - ١٠٩  
(٢) ينظر: مقدمة الخصائص ص ٩٩ ، ومعالم البحث للزبيدي /  
فتحي الدابولي ، ود / عبد رب النبي عبد الله ط / ١٤١٧هـ  
١٩٩٧م ص : ١٠٩ .  
(٣) مقدمة الخصائص ص : ١١٠ ، ١١١ .  
٢٣٦

وقال ، فلعترض عليه أبو علي فجابه التوفيق في الجوابه فقال  
الفارسي له : تربت وأنت حصرم<sup>(١)</sup> ، فتبع أبا علي حتى نبغ  
بصحبته إياه ، ونبغ في علم التصريف<sup>(٢)</sup> .

#### أسرته :

كان لابن جنى ثلاثة من الولد هم : (علي ، وعالي ، وسلا) .  
وقد تلقهم أحسن تثقيف ، ولهم الخط الحسن ، فعاروا أدباء  
فضلاء ، معدودين فيمن صح ضبطه وحسن خطه<sup>(٣)</sup> .

#### أساتذته :

أخذ ابن جنى علومه عن كثير من رواة اللغة والأدب منهم :  
أحمد بن محمد الموصلي وأبو جعفر محمد بن علي الحاج وأبو بكر  
محمد بن الحسن بن يقسم ثم أبو علي الفارسي<sup>(٤)</sup> .

---

(١) يقال : زبيت العنب : أي جعلته زبيبا ، فتريب هو والحصرم :  
أول العنب ط دام حاضا ، والحصرم من كل شيء : حشفة ،  
ولا يصير العنب زبيبا إلا إذا نضج ، والمراد : أنك جلست  
للافتة والتدريس وأنت في سن الطلب فلو تبلغ هذا  
المقام .

(٢) دراسات لغوية في أمهات كتب اللغة ، د / إبراهيم  
أبو سكين ط / الفاروق الحديثة للطباعة والنشر ١٤٠٧ هـ ،  
ص : ٥٩ .

(٣) الموجز في البحث اللغوي ص : ٧٣ .

(٤) مقدمة المحتسب ص : ٩ .

ومن الذين أخذ عنهم وكان يثق بلغتهم أبو عبد الله محمد  
ابن العساف الثقفي المعروف بابن الشجري (١) .

#### مذهب النحوى :

شاع في عهد ابن جنى مذاهب ثلاثة في دراسة النحو .  
مذهبان قديمان هما البصرى والكوفى ، ومذهب حدث من خلط  
المذهبيين والتخير منهما ، وهو مذهب البغداديين .

وقد سار ابن جنى على مذهب أستاذه أبى على وهو المذهب  
البصرى وهو يجرى في كتبه ومباحثه على أصول هذا المذهب (٢) .

#### منزلته :

كان لابن جنى منزلة مرموقة بين علماء عصره فنراه يخلِّف  
أستاذه أبا على الفارسي في التدريس في بغداد بعد وفاته  
وكان له تلاميذ كثيرون منهم أئمة عظام كعبد السلام البصرى ،  
والسمعى ، ويقول ابن فضل الله العنبري في مسالك الأبصار :  
" لم ير مثله في توجيه المعاني ، وشد بيوت القوائد الوثيقة  
المباني " (٣) . وقال فيه المتنبي : " هذا رجل لا يحسرف  
قدره كثير من الناس " (٤) .

(١) مقدمة الخصائص : ١٥ (٢) نفسه ص : ٤٤ .

(٣) دراسات في أمهات كتب اللغة ص : ٥٩ .

(٤) مقدمة الخصائص ص : ٢٤ .

ويذكر لنا ابن جني في قصيدة بائية له : منزلته الرفيعة  
ومكانته العالية إذ يقول (١) :

|                  |                  |
|------------------|------------------|
| شكرت الله نعمته  | وما أولاه من أرب |
| زكت عندي صنائعه  | فوفقتني وأحسن بي |
| تخولني وتخولني   | وتؤلني ونؤة بي   |
| وأخر من يقاد مني | وأعلاني وأرفع بي |

ويقول في الحديث عن كتبه :-

|                    |                     |
|--------------------|---------------------|
| تناقلها الرواة لها | على الأجفان من حناب |
| فورتع في أزهريها   | ملوك العجم والعرب   |
| فمن مغي إلى مدين   | إلى مشن إلى طرب     |

ومن أشهر مؤلفاته :

١ - الخصائص : تحقيق محمد علي النجاره الطبعة الثامنة دار

الهدى للطباعة والنشر - بيروت .

٢ - سر صناعة الإعراب : تحقيق السقا وآخرين ، ط / ١ ١٩٥٤م

الحلبي ، وطبعة دمشق ١٩٨٥م تحقيق د/ حسن هندأوى

٣ - المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ،  
تحقيق علي النجدي ناصفه وعبد الفتاح شلبي ، القاهرة ،

---

(١) مقدمة الخصائص : ٢٥

دار التحرير ١٢٨٦ هـ ج ١ هـ ١٦٦٥ م ، المجلس

الأعلى للشئون الإسلامية .

٤ - كتاب النصف ( شرح ابن جنى لكتاب التصريف المازنسى .

تحقيق إبراهيم حطفى وعبدالله أمين ط / ١٣٤٠ هـ - ١٩٦٠ م

٥ - الألفاظ المعجزة وقود المعززة تحقيق / طرن المبارك .

ط / ١٣٨٨ م دمشق .

٦ - علل التنبيه مع عبد القادر المهرى ، مجلة حوليات

الجامعة التونسية ، تونس ، ونشر ثانيا بتحقيق / صبيح

التميمي .

٧ - المذكر والمؤت مع / طارق عبدالله - التنبي .

٨ - عقود اللمح في النحو مع : حسن شاذلي فرهود - مجلة

كلية الآداب - جامعة الرياض ١٣٧٨ م .

٩ - التصريف الموكى - القاهرة - شركة التمدن الصناعية .

( دون تاريخ ) .

١٠ - القفضب ، نشر : برويشتر ( ألماني ) ١٩٠٣ م .

١١ - المبعج في تغيير أحوال شعراء ديوان الحطاسة الطبعة

الأولى ، ١٩٨٣ م .

١٢ - مختصر في علم المروض مع د / إمام الجبوري ، الطبعة

الثانية ، ١٩٨٧ م .

وتمتاز مؤلفاته بما يلي (١) :

- ١ - الأمانة العلمية في النقل وذلك بنسبة الأقوال إلى أصحابها .
- ٢ - العمق والدقة .
- ٣ - بروز شخصية ابن جني في مؤلفاته وثقته في نفسه ، وذلك عندما يعرض للمسائل المختلفة ويدلي برأيه ، ويرد على الآراء المخالفة ، وقد يقسرها أحيانا .

#### المصادر التي اعتمد عليها :

- ١ - السماع .
- ٢ - الأخذ من الكتب .
- ٣ - القرآن الكريم .
- ٤ - النقل عن العلماء .
- ٥ - القياس .

---

(١) ينظر: "قراءات وأفكار وقضايا" ، د. / إبراهيم محمد أبو سكين - مطبعة الفاروق المحدثنة للطباعة والنشر - القاهرة ١٩٩٦م / ١٩٩٧م ، ص : ٢ .

## كتاب الخصائص

### سبب تسميته بالخصائص :

يجدر بتسمية الشيء أن تكون نعا في موضوعه ، أو بمعنى آخر أن يكون للشيء من اسمه نصيب أو قل : مطابقة الاسم للمسمى ، ومن يتصفح كتاب الخصائص يجد أنه قد حقق نسبة عالية من تصديق هذه العقولة ، فالكتاب ما هو إلا تعداد وتبيان لخصائص العربية وميزاتها ، ولعل كلمة (الخصائص) أدل على معناها على مادة الدرس من تعبير (فقه اللغة ) لأنها تشير إلى القوانين العامة التي تنظم اللغة دون أن يكون المقصود دراسة جزئيات اللغة تفصيلاً على ما نعرف في أبواب الصرف والنحو<sup>(١)</sup>.

### لن ألفه؟

لقد أهدى ابن جني كتابه (الخصائص) الذي هو يعد بحق من أهم كتب اللغة العربية إلى (بهاء الدولة) وقد صرح ابن جني أن هذا الكتاب من أشرف ما صنف في علم العرب ، إن يقول :

(١) فقه اللغة في الكتب العربية ، د. عبد الرأجي ، ١٩٩٠م  
ص : ٥١ والعجز في البحث اللغوي : ص : ٨٠ .

• هذا - أطل الله بقاء مولانا الملك السيد المنصور المؤيد  
 'بهاء الدولة' وضياء الملة وضيائ الأمة وأدام ملكه ونصره وسلطانه  
 ومجده . . . . كتاب لم أزل على فارط المحال ، وتقادم الوقت ،  
 ملاحظا له ، عاكف الفكر عليه ، منجذب الرأى والروية إليهم  
 وأدّا أن أجد مهلا أصله به . . . . واعتقادي فيه أنه من أشرف  
 ما صنف في علم العرب وأذهب في طريق القياس والنظره وأعوده  
 عليه بالحيطة والصون وآخذه له من حصة التوقير والأون ، وأجمعه  
 للأدلة على ما أوردته هذه اللغة الشريفة : من خصائص الحكمة  
 ونهيط به من علائق الإتقان والصنعة . . . . (١) .

### أسباب تأليفه :

- ١ - الكشف عن أسرار اللغة العربية الشريفة وإقامة الأدلة على  
 ما حوته من خصائص الحكمة زجوه الإتقان والصنعة .
- ٢ - عمل كتاب في أصول النحو العربي .
- ٣ - حاجة طلاب العربية في عهد ابن جنى الى كتاب في أصول  
 العربية وأسرارها كما يبدو من سؤالهم له انشاء هذا الكتاب .
- ٤ - رغبة ابن جنى في القيام بواجبه ازاء اللغة العربية المبينة (٢) .

---

(١) الخصائص : ١ / ٢٤١ .  
 (٢) الموجز في البحث اللغوي : ٨٢ نقلا عن البحث اللغوي بين  
 النظرية والتطبيق : ١٤٧ .



## منهج ابن جنى فى الخصائص (١) :

١ - القياس : ويراد به استنباط شئ جديد فى اللغة لم يسمع ولم يرد ، قياسا على ما سمع عن العرب (٢) ، ومن ذلك : قول ابن جنى " ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ويقول أيضا : " ألا ترى أنك لم تسمع أنت ولا فورك اسم كل فاعل ولا مفعول ، وإنما سمعت البعض فقط عليه غيره فإذا سمعت (قائم زيد) أجزت ظرفَ بشره وكرم خالد (٣) .

٢ - استخدامه لغة الحوار ، حتى يصل إلى ما يريد فى المسألة التى يبحثها ، ومن أمثلة ذلك تعليقه على قول الله تعالى : (وَلَمْ يَدْعُوا الْآسَاءَ كُلَّهَا) فى موضع القول على أصل اللغة الإلهام هى أم اصطلاح (٤) .

٣ - النقل من العلماء السابقين عليه كأخذه عن الخليل وسيبويه وأبى على والأخفش وغيرهم مناقشا كلامهم مؤيدا لهم ومعارضاً .

٤ - الاستشهاد بالقرآن الكريم وقراءاته وكذا الحديث

- 
- (١) ينظر: الموجز فى البحث اللغوى : ٨٧ - ٩١ .  
(٢) البحث اللغوى بين النظرية والتطبيق ١٥٤ ، نقلًا من أسرار اللغة د/ إبراهيم أنيس ص : ١٩ .  
(٣) الخصائص : ٣٥٧ / ١ . (٤) نفسه : ٤٠ / ١ .

الشرىف فى باب فىما يؤمِّنُه علم العربىة من الاعتقادات الدينية<sup>(١)</sup>  
أكثر من عشر شواهد قرآنية وشاهدين من الحديث الشرىف .

وقد كثر استشهاده بالشعر العربى الفصح وكذا بأشعار  
المولدين ، وقد ينسب الشعر إلى قائله ، وقد لا ينسبه ، كما  
استشهد بالأمثال .

٥ - يشيع فى كتابه ظاهرة التأثير بذهب ومنهج علم الكلام  
عند المسلمين ، فتراه يقول فى كتابه " اعلم أن علل النحويين ....  
أقرب إلى علل المتكلمين ، منها إلى علل الفقهيين " (٢) .

٦ - كما يبدو واضحا أيضا تأثره بمنهج أصحاب أصول الفقه  
وأن أصول النحو تجرى مجرى أصول الفقه ، ويستدل على ذلك  
بأن كتب محمد بن الحسين رحمه الله إنما ينتزع أصحابنا منها  
العلل لأنهم يجدونها منشورة فى أثناء كلامه ، فيجمع بعضها  
إلى بعض اللاطفة والرفق (٣) .

٧ - الإشارات القليلة إلى أصول بعض اللغات غير العربىة  
مع الموازنة بينها وبين العربىة ومن ذلك يقول : " ومن طريف  
حديث اجتطاع السواكس شئ ، وإن كان فى لغة المعجم فـإن

---

(١) السابق : ٢٤٥ / ٣ (٢) نفسه ٤٨ / ١ .

(٣) نفسه : ١٦٣ / ١ . < ٤٥

طريق الحس موضع تلاقي عليه طباع البشر ويتحاكم إليه الأسود  
والأحمره وذلك قوله (آود "للدقيق" و(لمت) "للبن" فيجمعو  
بين ثلاثة سواكن" . . . . (١) .

٨ - توخى الحبيطة والحذر فيمن ينقل عنهم اللغة مع تحديد  
المأخوذ عنه من حيث صلاحيته للنقل عنه ، وكذا تحديد بيئته  
من حيث المدر<sup>(٢)</sup> والوبر<sup>(٣)</sup> . وقد عالج ابن جني ذلك في كتابه  
" باب في ترك الأخذ عن أهل المدر كما أخذ عن أهل الوبر "  
يقول فيه : "علة امتناع ذلك ما عرض للغات الحاضرة وأهل المدر  
من الاختلال والفساد والخطأ ولوعلم أن أهل مدينة باقون  
على فصاحتهم ، ولم يعترض شيء من الفساد للغتهم ، لوجوب  
الأخذ عنهم كما يؤخذ عن أهل الوبر .

وكذلك أيضا لو فشا في أهل الوبر ما شاع في لغة أهل  
المدر من اضطراب الألسنة وخبالها ، وانتقاض عادة الفصاحة  
وانتشارها ، لوجب رفض لغتها ، وترك تلقى ما يرد عنها ، ولى  
ذلك العمل في وقتنا هذا " .

---

(١) الخصائص : ١٠ / ١ ، ٩١ .

(٢) أهل المدر : سكان البيوت المبنية ، خلاف البدو وسكان

الخيام . المعجم الوسيط : (مدر) .

(٣) أهل الوبر : أهل البادية لأنهم يتخذون بيوتهم من الوبر .

المعجم الوسيط : (وبر) .

٩ - الميل إلى تحمير وتعليل الظواهر اللغوية من صوتية  
وصرفية ونحوية ، ودلالية تعليلًا يوافق الطبع وتسكن إليه  
النفس ، مع اليمد في غالب الأحيان عن التعليقات البنيوية  
على أساس منطقي ، ومن ذلك قولهم : إن يا نحر ميزان وميعاد  
انقلبت عن وارساكة لثقل الواو الساكة بعد الكسرة ، وهذا  
أمر لا لبس في معرفته ، ولا شك في قوة الكلمة في التطبيق ،  
به ، وكذلك قلب اليا في موسر ، وموقن ، وأوا ، لسكونها  
وانضمام ط قبلها ، ولا توقف في نقل اليا الساكة بعد الضمة  
لأن حالها في ذلك حال الواو الساكة بعد الكسرة .  
هذا كما تراء - أمر يدعو الحس إليه ويحدو طلب  
الاستخفاف عليه (١) .

-----

---

( ١ ) الخصائص : ٤٩ / ١ .  
٤٤٢

## كتاب المحتسب

كتاب (المحتسب) في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها .

د واقع تأليف ابن جنى لكتابه المحتسب :

١ - وجد ابن جنى أن القراءات انقسمت إلى قسمين هما :  
أ - قراءة القراء السبعة . ب - القراءة الخارجة عن السبعة وهي التي تسمى الشاذة . وقد احتج أبو علي الفارسي للقراءات السبع وألف كتابه (الحجة) ففكر ابن جنى بعض الوقت أن يؤلف كتابا مثله يحتج فيه للقراءات الشاذة ، وفي ذلك يقول : " إن القراءات أنت ضربين : (ضربا اجتمع عليه أكثر قراء الأهل وهو ما أودعه أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد رحمه الله كتابه الموسوم بقراءات السبعة ، وهو يشهرته غال عن تحديده .

وضربا تعدى ذلك فساء أهل زماننا شاذاء ، أي : خارجا عن قراءة القراء السبعة المقدم ذكرها ، إلا أنه مع خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه ، مخفوف بالروايات من أمامه وروائيه ، ولعله أو كبر منه مساو في الفصاحة للمجتمع عليه ، نعم وربما

كان فيه ما تطفصصته وتعنف (١) بغير فصاحته ، وتطوره  
قوى أسبابه ، وترسبه قدم إعرابه\* (٢) .

٢ - ولأن القراءات المتأخرة لها منزلة رفيعة ، لأنها مرويصة  
مسندة إلى السلف رضي الله عنهم ، وفي ذلك يقول ابن جني :  
"ولسنا نقول ذلك فسحا (٣) بخلاف القراء المجتمع في أهل  
الأهـار على قراءاتهم أو تسويغنا للعدول عما أقرته الثقافات  
عنهم ، لكن فرضنا منه أن نرى وجه قوة ما يسمى الآن شاذاً ،  
وأنه ضارب في صحة الرواية بجرانه (٤) آخذاً من سمت العربية  
سهلة ميدانه لثلا يرى مرمى (يظن ظان) أن العدول عنه إنما  
هو عصى منه ، أو تهمة له .

ومعاذ الله ! وكيف يكون هذا والرواية تنميه إلى الرسول  
صلى الله عليه وسلم ؟ والله تعالى يقول : (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ  
فَخُذُوهُ . (٥) (٦) .

- 
- (١) عنف به : عدله ولامه ، يريد أن فصاحته متفوقة ، تلوم غيره  
على تخلفه في مضمار الفصاحة .  
(٢) المحتسب : ٣٢ / ١ ، والمجزي في البحث اللغوي ١٦ ، ١٧ .  
(٣) فسحا أي سعة وانيساطاً . المعجم الوسيط (فسح) .  
(٤) ضرب الاسلام بجرانه : ثبت واستقر . المعجم الوسيط :  
(جرت) : ٧ .  
(٥) الحشر / ٧ . (٦) المحتسب : ٣٢ ، ٣٣ .

٣ - لم يراين جنى أحدا من العلماء أفرد للاحتجاج  
بالقراءات الشاذة مؤلفا ، فاهتم بذلك ، إذ يقول : " فإن كانت  
هذه حاله عند الله - جل و علا - وندرسول الله الصطفى صلى  
الله عليه وسلم ، وأولئك العلم بقراءة القراء وكان من مضي من  
أصحابنا لم يضعوا للحجاج كتابا فيه ولا أولوه طرفا من القول  
عليه ، وإنما ذكره مرويا مسلما مجمعا ، أو متفرقا ، وربما اعترضوا  
الحرف منه فقالوا القول المقنع فيه .

فأما أن يفردوا له كتابا مقصرا عليه ، أو يتجردوا للانتصار  
له ، ويوضحوا أسرارهم والله ، فلا نعلمه ، حسن بل وجيب  
التوجه إليه والتشاغل بعمله ، وسط القول على فاضله ومشكله ،  
وما أكثر ما يخرج فيه باذن الله " (١) .

٤ - ميل ابن جنى إلى مثل هذا اللون من التأليف إذ هو  
كما عهدناه في مؤلفاته يميل إلى التحليل والتعليل لما يقوله هو  
أو يقوله الآخرون وذلك حتى يقنع بما يقول بالحجة والبرهان .

---

(١) المحتسب : ١ / ٣٣ ، ٣٤ .  
٥٠

### مصادر ابن جنى فى المحتسب (١) :

- ومصادر المحتسب كما يقول فى المقدمة : كتب يأخذ منها ، وروايات صح لديه الأخذ بها ، فأما الكتب فهى :
- ١ - كتاب أبى بكر أحمد بن موسى بن مجاهد الذى وضعه لذكر الشواذ من القراءة .
  - ٢ - كتاب أبى حاتم سهل بن محمد بن عثمان السجستانى .
  - ٣ - كتاب أبى على محمد بن المستنير قطرب .
  - ٤ - كتاب المعانى للزجاج .
  - ٥ - كتاب المعانى للفراء .
- وأما ما صح عنده الأخذ به مما يرويه عن غيره فيقول عنه : ولا تألوفيه ما تقتضيه حال مثله من تأدية أمانته ، وتحسرى الصحة فى روايته .

### منهج ابن جنى فى المحتسب :

كان ابن جنى " يعرض القراءة ، ويذكر من قرأ بها ، ثم يرجع فى أمرها إلى اللغة ، ويلتمس لها شاهداً يرويه ، أو نظيراً فيقيسها عليه ، أو لهجة فيردّها إليها ويؤنسها بها ، أو تأويلاً

---

(١) ينظر: المحتسب : ١/ ١٥ ، ٣٦ .



أو توجيهها فيعرضه في قصد وإجمال ، أو تفصيل واقتنا على حسب ما يقتضيه المقام ، ويتطلبه الكشف عن وجه الرأي نفسى .  
 ١ القراءة ، وهو فى الجملة أخذ بها واطمئنان إليها ، وربما وقع فى نفسك من كثرة ما عُدَّ من خصائصها واستخرج من لطائفها أنه يؤثرها ويحكم لها على قراءة الجماعة ، كما فى الاحتجاج لقراءة الحسن : (أهدنا صراطاً مستقيماً) (١) .

وان هو لم يجد للقراءة وجهاً يسكن إليه ، اما لشذوذه فى اللغة ، واما لحاجته فى الاحتجاج الى ضرب من التكلف والاعتساف لم يتخرج أن يردّها أو يصفى القراءة بها ، لا يكاد يأخذ بها هى نفسها بهذا أو ذاك ، ولكن يأخذ به الوجه الذى يتجه بها إليه ، فهو أخذ غير مباشر ولا صريح .

فقال مثلاً فى الاحتجاج لقراءة ابن محيص : ( ثم اطرأ لى عذاب النار ) (٢) يردغام الضاد فى الطاء ، هذه لغة مرزولة وقال فى الاحتجاج لقراءة أبى جعفر يزيد : (لِلْمَلَائِكَةِ اسْتَجِدُوا) (٣) ، بضم التاء : (هذا ضعيف جداً) (٤) .

(١) الفاتحة / ٦ ، ويقول فى ذلك : ولعله أى الخارج عن قراءة القراء السبعة ، وكثيراً منه ما وفى الفصاحة للمجتمع عليه : المحتسب : ٣٢ / ١ .

(٢) البقرة / ١٢٦ ، وينظر : ١٠٦ / ١ من المحتسب .

(٣) البقرة / ٢٤ ، وانظر المحتسب : ٧١ / ١ .

(٤) ينظر : مقدمة محققى المحتسب : ١٣٠ / ١٢ .

النص

في الإمام أبي الفتح عثمان بن جني لكتاب التصريف ،  
للإمام أبي عثمان الغزالي النحوي البصري (١) .

نصونج ::

قال أبو الفتح : يقول فإن قال قائل : هلا أَعْلَوْ قِيَرًا (حَيْدَ)  
كما أَعْلَوْ (خَافَ وَهَابَ) وأصلها : خَيفَ ، وَهَيْبَ ؟ فالجواب :  
أن (عَيَّرَ) في معنى (اعْتَرَى) ، فلما كان (اعْتَرَى) لا بد له  
من الصحة لسكون ط قبل الواو وصحت العين في (عَيَّرَ) و(حَوَّلَ)  
ونحوها ، لأنها قد صحت فيها هو بمعناه فَعَيَّرَكَ صحته  
العين في (فَعَّلَ) إمارة ، لأنه في معنى (افْعَلَّ) وحكى  
أبو زيد : (أَوْدَ) (٢) الهمزة يَأْوَدُ أَوْدًا ) وإنما صح هذا عندي  
لأنه رَسِمِلَ عَيَّرَ يَتَعَيَّرُ عَرَجًا ، فأجرى مجرى نظيره ، ولم  
أسمعهم استعمالوا من أَوْدَ : افْعَلَّ ، ولو جاء لكان قياسه  
(إِيْتَوَدَ) .

(١) قرأت وأتكرر فيها أ. د. / إبراهيم أبو سكين ص : ١١ .  
(٢) أود : امع .

فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : هَلَا صَحَّتْ فِي أَقَامَ ، وَأَمَالَ ، وَأَصْلَمَا :  
أَقْرَبُ ، وَأَمِيلَ ، لَسَكُنَ مَا قَبْلَهُمَا كَمَا صَحَّتْ فِي (عَوَّرَ) وَ(أَحْوَلَ)  
لَسَكُنَ مَا قَبْلَهُمَا ؟ فَلَنْ أَقَامَ وَأَمَالَ إِنَّمَا لَعَنَ وَإِنْ كَانَ قَبْلُ  
الْعَيْنِ مِنْهَا سَاكِنٌ لَعَنَ (فَعَلَ) مِنْهَا قَبْلَ النُّقْلِ ، أَلَا تَرَى  
أَنَّ الْأَصْلَ : (قَامَ وَمَالَ) نِمَ نَقَلْتَ الْفِعْلَ بِمَعْنَى النُّقْلِ فَقُلْتَ :  
( أَقَامَ وَأَمَالَ ) .

و(اعْوَرَّ) لَمْ يَنْقُلْ مِنْ (عَارَ) ، فَجَبَّ إِعْلَالَهُ لَعَنَ لَلَّ  
(فَعَلَ) مِنْهُ بِغَيْرِ زِيَادَةٍ ، وَقَدْ قَالُوا : (عَارَتْ عَنْهُ تَعَارَ) وَهُوَ  
قَلِيلٌ ، لَا تَقُولُ مِثْلَهُ : حَالَتْ فِيهِ عَالٌ . . . فَهَذَا الْفِعْلُ  
بَيْنَهُمَا (١) .

~~~~~

(١) النصف : ٢٥٩/١ - ٢٦٩ ، وقراءات مؤانكار وقضايا ،
ص : ١٢ .
ع. ٥٤

سر صناعة الإعراب

موضوعه :

الكلام على حروف المعجم ، وهي المعرفة بحروف المعاني ،
لأنها التي تألف منها أبنية الكلمة ، وسميت بحروف المعجم
لنزول معجمتها بالإعجام ، وهو النقط ، وتسمى أيضا بحروف
الهجاء .

تناول ابن جني هذه الحروف بالدراسة من جوانب عدة من
حيث مخارجها وصفاتها العامة من همس أو جهر ومن شدة
أو رخاوة ، ومن إطباق أو انفتاح ، ومن استعلاء ، أو استئصال ،
وما يعرض لها من إبدال أو إظهار أو إدغام ، أو إخفاء أو إظهار
وغير ذلك مثل فصاحة اللفظ المفرد وسببها (١) .

الغرض من تأليفه :

ذكر ابن جني في مقدمة هذا الكتاب أنه ألفه تحقيقا لرغبة
أحد الرجال في عصره من لهم منزلة عالية ، فقد طلب هذا
الرجل الذي لم يصح باسمه ، من ابن جني

(١) قرائك وأفكار وقضايا من : ٣ .

أن يضع كتابا به شتمل على جميع أحكام حروف المعجم وأحوال كل حرف (١) .

منهجية :

١ - رتب الحروف ترتيبا أبجديا عاديا ، وفق ترتيب نصر ابن عاصم ويحيى بن عمر المدائني .

٢ - الاستقلال بالرأى كقوله في الكلام على الشاهد
”أَيُّكُمْ لَمْ يَقْدَرَ أَمْ حِينَ قُدِّرَ“ حيث علل فتحة الراء ، فذهب إلى أن الراء نقلت إليها فتحة الهزة حيث جاورها الهزة المفتوحة وهي ساكنة ، وقد أجرت العرب الحرف الساكن إذا جاور المتحرك مجرى المتحرك ، وذلك قولهم فيما حكاه سيدهم الراء والكساء يريدون المرأة والكساء (٢) .

٣ - فزارة مادة العلمية واستيعاب ما يتعرض له ، ففسى باب الهزة يدل كلامه على إحاطته بكل ما كتب عنها مع التحليل والنقد للآراء التي تناولت الموضوع .

-
- (١) ينظر: مقدمة سر صناعة الأعراب من: ٣-٥٥ وما للمص
البحث اللغوي من: ١٣٥ .
(٢) نوع من النبات يحيى ويؤكل مطبوخا .
ع

٤ - الاستطراد لأدنى ملاحظة ، فمثلا عند كلامه عن الكاف يقول : وهذه مسألة لطيفة منت لنا في أثناء هذا الفصل نحن نشرحها ونذكر خلاف العلماء فيها ونغير بالصواب عندنا من أمرنا إن شاء الله وهي قوله عز اسمه : (إِيَّاكَ تَعْبُدُ) وما كان مثله . . وهذا الاستطراد كان سنة العصر .

• - أسلوب الكتاب أسلوب علمي أدبي (١) .

الآخذ التي أخذت عليه :

١ - ترتيب الكتاب حسب الأبجدية العادية لا يتناسب مع الدراسة الصورية المتخصصة .

٢ - مخالفته لما رسمه لموضوع الكتاب وهو حروف المعاني حيث ذكر بعض حروف المعاني مثل تعرضه للكاف الزائدة وفسر الزائدة والجارة وفسر الجارة .

٣ - الاستطراد لأدنى ملاحظة (٢) .

(١) قراءات وأفكار وخفايا ص : ٤٥٣ .

(٢) السابق ص : ٤ .

أهم المراجع

- ١ - الإبدال لأبى الطيب اللغوى ت التتوخى - دمشق ١٣٧٠هـ - ١٩٦١م .
- ٢ - الإبدال لابن السكيت ت د/حسين شرف - ط الهيئة المصرية العامة لشئون المطابع الأميرية بالقاهرة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
- ٣ - ابراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع للشاطبى - تأليف أبى شامة ت إبراهيم عطوه - مصطفى الحلبى بمصر ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م .
- ٤ - اتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربع عشر للبناء - دار الندوة لبنان .
- ٥ - أدب الكاتب لابن قتيبة - ت محمد الدالى - مؤسسة الرسالة ط ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ٦ - أسس - علم اللغة - ماريوباي - ترجمة وتعليق د/أحمد مختار عمر - عالم الكتب ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م .
- ٧ - إصلاح المنطق لابن السكيت - ت أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون - دار المعارف بمصر ط ٢ - ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م .
- ٨ - الأمالى للقالى - الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م .
- ٩ - البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى - دار إحياء التراث بيروت/ لبنان ط-١ ١٤١١هـ / ١٩٩٠م .
- ١٠ - تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة - الحلبى ١٩٥٤م .

- ١١- تفسير الطبرى - دار الفكر - بيروت ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م.
- ١٢ - تهذيب اللغة للأزهري ت محمد أبو الفضل إبراهيم - الدار المصرية العامة للتأليف والترجمة - مطابع سجل العرب .
- ١٣ - التيسير فى القراءات السبع للدانى - مطبعة الدولة ١٩٣٠م.
- ١٤ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبى - دار الشام للتراث بيروت/لبنان ط ٢ .
- ١٥ - الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه - ت د/عبد العال سالم مكرم - مؤسسة الرسالة - ط ٥ ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
- ١٦ - الخصائص لابن جنى - ت محمد على النجار - عالم الكتب بيروت ط ٢ .
- ١٧ - خصائص لهجة تميم وقريش د/الموافى الببلى ط ٢-١٩٨٧م.
- ١٨ - دراسات حول العربية ولهجاتها د /محمد عزت قناوى نشر المكتبة الإسلامية ١٩٨٨ م .
- ١٩ - دراسات فى فقه اللغة د/صبحى الصالح ط ٩- دار العلم للملايين بيروت ١٩٨١م.
- ٢٠ - شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك - ط المعاهد الأزهريّة ١٤٠٥هـ-١٩٧٥ م .
- ٢١ - شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري دار إحياء الكتب العربية ط مصطفى الحلبى .
- ٢٢ - شرح شافية ابن الحاجب للرضى - دار الكتب العلمية بيروت/لبنان، ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥م.

- ٢٣ - شرح المفصل لابن يعيش - عالم الكتب - بيروت - مكتبة المتنبى بالقاهرة .
- ٢٤ - الصحبى لابن فارسى ت السيد أحمد صقر مطبعة الحلبي بالقاهرة .
- ٢٥ - العربية دراسة فى اللغة واللهجات والأساليب - يوهان فك ١٩٨٠ م .
- ٢٦ - العين للخليل - د/مهدى المخزومى ود / إبراهيم السامرائى - بيروت .
- ٢٧ - فصول فى فقه العربية د/ رمضان عبد التواب - مكتبة الخانجى ط ٣ ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧ م .
- ٢٨ - فقه اللغة د / وافي - دار نهضة مصر .
- ٢٩ - فقه اللغة وخصائص العربية / محمد المبارك - دار الفكر .
- ٣٠ - فقه اللغة العربية د/ جبل ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م .
- ٣١ - فقه اللغة وسر العربية للثعالبي - ت مصطفى السقا وآخرين - مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي بمصر ط ٣ - ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م .
- ٣٢ - فى فقه اللغة د/ عبد الله ربيع ود/ عبد العزيز علام - المكتبة التوفيقية ط ١٩٧٦م .
- ٣٣ - القراءات واللهجات فى تفسير زاد المسير فى علم التفسير لابن الجوزى رسالة دكتوراه لعبد رب النبى عبد الله ابراهيم ١٤١٤هـ / ١٩٩٣م .

- ٣٤ - قضايا لغوية د/ محمد حسن جبل ١٤١٣هـ .
- ٣٥ - الكتاب لسيبويه - مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي ودار الجبل للطباعة ط ٢ / ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م .
- ٣٦ - كتاب السبعة في القراءات لابن مجاهد - دار المعارف بمصر ط ٢ .
- ٣٧ - الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لمكي بن أبي طالب ت د/ محيي رمضان - مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤م .
- ٣٨ - لسان العرب لابن منظور - ط / دار المعارف .
- ٣٩ - لغة تميم د/ ضاحي - الهيئة العامة للمطابع الأميرية بالقاهرة ١٤٠٥هـ / ١٩٨٥م .
- ٤٠ - اللهجات العربية في التراث د/ أحمد علم الدين الجندى - الدار العامة للكتاب ١٩٨٣م .
- ٤١ - محاضرات في فقه اللغة د/ البركاوي - مؤسسة الرسالة - ط ١ ١٤٠٢هـ .
- ٤٢ - المحتسب في تبیین وجوه شواذ القراءات والایضاح عنها لابن جنی ت علی النجدی و د/ عبدالحلیم النجار و د/ عبدالفتاح شلبي ١٣٨٦هـ .
- ٤٣ - مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه - مكتبة المتنبي بالقاهرة .

٤٤ - مدخل إلى علم اللغة د/ محمد حسن عبد العزيز دار
الفكر ١٩٩٠ م .

٤٥ - المزهرة في علوم اللغة - وأنواعها للسيوطي شرح
وتصحيح محمد أحمد جاد المولى وعلى البجاوى محمد أبو الفضل
إبراهيم دار إحياء الكتب العربية - عيسى الحلبي .

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٢	المقدمة :
٤	تمهيد :
٤	١ - اللغة ووظيفتها وطابعها الاجتماعي.
٤	تعريف اللغة
٤	معاني لفظ اللغة فى الاصطلاح
٨	٢ - تعريف فقه اللغة
٨	٣ - مباحث فقه اللغة
٩	٤ - بين علم اللغة وفقه اللغة
١٠	٥ - أطوار التأليف فى فقه عند العرب
١٣	من مناهج البحث اللغوى :
١٤	أولا : المنهج الوصفى أو الملاحظة المباشرة :
٣٨	ثانيا : المنهج التاريخى
٥٢	ثالثا : المنهج المقارن
٦٩	رابعا : المنهج المعيارى
٧٥	الإبدال :
٧٥	مفهومه فى اللغة والاصطلاح
٧٧	شروطه عند اللغويين
٨٠	آراء العلماء فى نشأته

٨٣	أمثلة تطبيقية :
٨٣	أولا : الإبدال فى الحروف
٨٥	ثانيا : الأبدال فى الحركات
١١٩	القلب المكانى :
١١٩	تعريفه
١١٩	سبب وجوده
١١٩	آراء العلماء فى القلب المكانى
١٢٥	تصنيف اللغات البشرية :
١٢٥	أولا : التقسيم على أساس درجة الرقى والتطور
١٢٦	١ - فصيلة اللغات المتصرفة أو التحليلية
١٢٧	٢ - فصيلة اللغات غير المتصرفة
١٢٨	٣ - فصيلة اللغات اللصقية أو الوصلية
١٢٩	ثانيا : التقسيم على أساس القرابة :
١٢٩	١ - الفصيلة الأولى : فصيلة اللغات الهندية الأوروبية
١٣٢	٢ - الفصيلة الثانية : الحامية السامية
١٥٦	٣ - الفصيلة الثالثة : الطورانية
١٥٨	ثالثا : التقسيم على أساس النصوص الواردة فى التوراة
١٥٩	الإعراب

١٦٧	المناسبة بين الألفاظ ومعانيها
١٧٧	الحمل على المعنى :
١٧٨	تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني
١٨١	إمساس الألفاظ أشباه المعاني
١٨٥	مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث
١٨٩	الاشتراك اللفظي :
١٨٩	تعريفه
١٨٩	آراء العلماء في وقوعه
١٩٢	أسباب وجوده في اللغة العربية
١٩٥	التضاد :
١٩٥	تعريفه
١٩٥	آراء العلماء في وقوعه
١٩٨	أسباب وجوده في اللغة العربية
٢٠١	الترادف :
٢٠١	تعريفه
٢٠١	آراء العلماء في وقوعه
٢٠٥	أسباب نشأته
٢٠٨	التعريب
٢٠٨	تعريفه
٢٠٨	كيف نشأ التعريب

٢٠٩	منهج العرب في تعريب الكلمات الأعجمية
٢١٠	تمييز الأجنبي من الأصل
٢١١	المعرب في القرآن الكريم :
٢١١	آراء العلماء في وقوع المعرب في القرآن الكريم:
٢١٤	ابن فارس
٢٢٤	١. المصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها
٢٣٤	ابن جني وجولة مع بعض مؤلفاته

